

منشورات جامعة دمشق
كلية العلوم السياسية

مناهج البحث

الدكتور

عدنان غانم

أستاذ مساعد في قسم الإحصاء التطبيقي
كلية الاقتصاد

الدكتور

عبد العزيز المنصور

مدرس في قسم العلاقات الدولية
كلية العلوم السياسية

١٤٢٩-١٤٢٨
٢٠٠٩-٢٠٠٨

جامعة دمشق

مقدمة:

تمثل عملية البحث العلمي، رؤية فكرية فعالة ومتميزة، فهي تساعد على فهم وإدراك كيفية تفاعل الأحداث التي تجمعها علاقات مشتركة، وفي كثير من الأحيان تمدنا بالسبل التي تُعيننا على التكيف مع البيئة المحيطة بنا، وتشتمل عملية البحث العلمي كل مناهج البحث المعروفة والتي تعتمد على جمع البيانات والمعلومات للوصول إلى استنتاجات تؤدي إلى اتخاذ قرارات وتوصيات رشيدة وهادفة.

وتعد معرفة كيفية إجراء البحوث، على درجة كبيرة من الأهمية لجميع الباحثين، وذلك لاعتبارات كثيرة، منها أن البحث يقود إلى التوصل لمعارف جديدة، باعتبار تلك المعارف ذات أهمية قصوى للقيام بعمليات تحليل واسعة النطاق، سواء في مجال السياسة أو غيرها، كما تعد الأبحاث - التي تتخذ بقدر معقول من الجودة - قاعدة صلبة للدراسات التقييمية وهذه المسألة تستحق منا البحث والتمحيص، كما أن معرفة الكثير عن تعقيدات الحياة السياسية وتشابكاتها يحتاج معرفة منهج البحث المناسب لمعرفة التعقيدات وخصائصها من خلال تحديد المفاهيم بدقة، والاختيار الدقيق للإجراءات البحثية المناسبة سعياً وراء تحليل هذه التعقيدات وتفكيكها، ومن ثم تفسيرها تبعاً لقواعد "علمية".

لقد بات معروفاً، بأن تدريس أصول البحث العلمي ومناهج البحث لم يعد مقتصرًا على تخصص بعينه، بل أصبح يشمل كافة التخصصات، اجتماعية كانت، أم اقتصادية، أم تطبيقية، أم إنسانية.... الخ، لأن مناهج البحث أصبحت بالنسبة لهذه التخصصات الطابع المميز، وبخاصة تخصص العلوم السياسية. ونأمل أن نكون قدّمنا في فصول هذا الكتاب، مفهوماً واضحاً لأصول البحث العلمي ومناهج البحث الأكثر أهمية ومدى فائدتها لتخصص السياسة، إذ تجلّى هدفنا تزويد طلاب العلوم السياسية، والمهتمين في هذا التخصص بالمفاهيم والمقاربات والأدوات والطرائق التي تتضافر فيما بينها وتقدم للباحث أو الطالب دليلاً إرشادياً يتبعه لإدراك الظواهر السياسية المختلفة والتعامل معها، للوصول إلى الحقائق أو إزالة الغموض عن الكثير من العمليات السياسية وتفاعلاتها.

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أبواب رئيسية، توزعت على أهم مراحل البحث العلمي، إذ تناولنا في الباب الأول أسس المعرفة العلمية والمنهج العلمي، وفي الباب الثاني أدوات جمع البيانات، وفي الباب الثالث مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، كما قمنا بوضع قائمة بالمراجع العربية والأجنبية بالإضافة إلى قائمة بالمصطلحات العلمية ومواقع الانترنت في نهاية الكتاب.

إن إعداد هذا الكتاب، هو إعداد جماعي ومسؤولية مشتركة، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي تخصيص دور كل مؤلف على حدة، فقد قام الدكتور عبد العزيز المنصور بكتابة البابين الأول والثاني والدكتور عدنان غانم بكتابة الباب الثالث.

لقد بذلنا جهدنا في تقديم الأفكار التي تثير اهتمام طلاب العلوم السياسية والمختصين منهم في هذا المجال في أهمية البحث العلمي ومناهجه، وإننا إذ نضع هذا الكتاب بين أيديهم، نأمل منهم جميعاً أن يتفضلوا بتقديم أي نقد يساهم في إغناء موضوعاته وإخراجه مستقبلاً بشكل نجعل منه أكثر نفعاً وفائدة،

ولا يمكننا الادعاء بأن هذا الكتاب أحاط بشكل كامل بمناهج البحث، إلا أنه جاء مرضياً ومكتفياً لإبراز مبادئ أصول البحث العلمي ومناهجه. ونشير هنا بأننا لسنا الأوائل من كتب في هذا الموضوع فهناك الكثير من الأساتذة الأفاضل الذين تناولوا أصول البحث العلمي ومناهج البحث في تخصصات مختلفة، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة من تلك الكتب والمراجع وإعادة صياغتها بما يتناسب مع خصوصية التخصص، ومع هذا لا مناص من الإقرار أيضاً بأن هذا العمل وعلى الرغم مما بذل فيه من جهد وعناء فإنه يبقى ولا - ريب - اجتهاداً يؤخذ منه ويرد عليه.

أخيراً نقدم شكرنا وتقديرنا لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب والله ولي التوفيق

دمشق في ٣ كانون الأول ٢٠٠٨

المؤلفان

فهرس المحتويات

الصفحة

المقدمة

الباب الأول

أسس المعرفة العلمية والمنهج العلمي

الفصل الأول: ماهية البحث العلمي: ماهيته وأهميته

١-١- المعني اللغوي والاصطلاحي

١-٢- أهمية البحث العلمي وغايته

١-٣- مفترضات البحث العلمي

١-٤- وجود مشكلة

١-٥- الباحث

الفصل الثاني: أسس البحث العلمي

١-٢- المعرفة العلمية

٢-٢- شروط البحث العلمي

٢-٣- البحوث السياسية والمنهج العلمي

الفصل الثالث: المنهج العلمي: مفهومه ووظائفه

٣-١- تعريف المنهج العلمي وأساسه

٣-٢- قواعد المنهج عند "ديكارت"

٣-٣- وظائف المنهج

٣-٤- تنوع أشكال البحث العلمي

الفصل الرابع: عناصر المنهج العلمي

٤-١- الملاحظة العلمية

٤-٢- المفاهيم

٤-٣- الفروض

٤-٤- النظرية

الفصل الخامس: مفهوم الخطة وخصائصها

٥-١- أسس الخطة البحثية

٥-٢- مراحل ومكونات العملية البحثية

٥-٣- الخطة والإطار النظري

٥-٤- مكونات البحث

٥-٥- صفحات ما قبل البحث

٥-٦- عنوان البحث

٥-٧- المقدمة

٥-٨- الخاتمة

٥-٩- الملاحق

٥-١٠- مستخلصات البحوث

الفصل السادس: تحديد الموضوع والمشكلة البحثية

٦-١- عملية اختيار موضوع البحث

٦-٢- المشكلة البحثية

٦-٣- شروط المشكلة البحثية

٦-٤- التساؤلات البحثية

الفصل السابع: مصادر البيانات وتوثيق البحث

٧-١- البيانات الميدانية

٧-٢- الإحصاءات الرسمية

٧-٣- الوثائق

٧-٤- جمع البيانات من المراجع

٧-٥- أنواع الاقتباسات

٧-٦- المراجع والتوثيق العلمي

٧-٧- اعتبارات الدقة والأمانة

٧-٨- قائمة المراجع

الباب الثاني

أدوات جمع البيانات

الفصل الثامن: الملاحظة

٨-١ أهمية الملاحظة.

٨-٢ الملاحظة المباشرة والبحث السياسي العلمي.

٨-٣ خطوات الملاحظة المباشرة وقواعدها.

٨-٤ أهمية الملاحظة بالمشاركة، ومراحلها ومشكلاتها.

٨-٤-١ مرحلة التعرف المبدئي

٨-٤-٢ مرحلة التعرف البؤري.

٨-٤-٣ مرحلة التنظيم والقياس.

٨-٥ تقييم الملاحظة المباشرة.

الفصل التاسع: المقابلة

٩-١- تعريف المقابلة.

٩-٢- استخدام المقابلة.

٩-٣- أنواع المقابلة.

٩-٣-١ المقابلة المفتوحة.

٩-٣-٢ المقابلة المقننة.

٩-٣-٣ المقابلة المقننة- المفتوحة.

٩-٣-٤ مقابلة الصفوة.

٩-٤- خطوات المقابلة وقواعدها.

٩-٥- تقسيم المقابلة.

الفصل العاشر: الاستبيان

١٠-١- تعريف الاستبيان.

١٠-٢- أنواع الاستبيان.

١٠-٢-١ الاستبيان الحر.

١٠-٢-٢ الاستبيان المقيد/ المقفل.

١٠-٢-٣ الاستبيان المختلط.

١٠-٢-٤ استخدام الاستبيان بالمقابلة بدلاً من الاستبيان البريدي.

١٠-٣- شروط الاستبيان

١٠-٤- خطوات الاستبيان والقواعد الأساسية.

١٠-٥- طرق استقصاء الاستبيان.

١٠-٥-١ إرسال استمارة الاستبيان بالبريد.

١٠-٥-٢ استيفاء استمارة الاستبيان بالهاتف / الانترنت.

١٠-٦- أنواع العينات.

١٠-٦-١ العينات العشوائية.

١٠-٦-١-١ العينة العشوائية البسيطة

١٠-٦-١-٢ العينة المنتظمة.

١٠-٦-١-٣ العينة الطبقية.

١٠-٦-١-٤ عينة التجمعات والعينة متعددة المراحل.

١٠-٦-٢ العينات غير العشوائية.

- ١٠-٦-٢-١ العينة بطريقة الحصة.
- ١٠-٦-٢-٢ العينة العمدية والعينة التراكمية.
- ١٠-٧-١ الشروط الواجب مراعاتها في صياغة أسئلة الاستبيان.
- ١٠-٨-١ شروط صحيفة الاستبيان.

الفصل الحادي عشر: تحليل المضمون

- ١١-١-١ تعريف تحليل المضمون.
- ١١-٢-١ أهمية تحليل المضمون وحدوده.
- ١١-٣-١ مستويات تحليل المضمون وخطواته.
- ١١-٤-١ أنواع تحليل المضمون.
 - ١١-٤-١-١ التحليل الكيفي.
 - ١١-٤-١-٢ التحليل الكمي.
- ١١-٥-١ فئات المضمون.
 - ١١-٥-١-١ فئة الغايات والوسائل.
 - ١١-٥-١-٢ فئة الاتجاه وكثافته
 - ١١-٥-١-٣ فئة المستويات
 - ١١-٥-١-٤ فئة القيم والأهداف.
 - ١١-٥-١-٥ فئة السمات والخصائص
 - ١١-٥-١-٦ فئة الفاعل
 - ١١-٥-١-٧ فئة مصدر المعلومة.
 - ١١-٥-١-٨ فئة الجمهور المستهدف.
 - ١١-٦-١ فئات الشكل.
- ١١-٧-١ اعتبارات اختيار فئات التحليل وتحديدها

الباب الثالث

مناهج البحث في العلوم الاجتماعية

الفصل الثاني عشر: المنهج الإحصائي

- ١٢-١-١ ماهية المنهج الإحصائي
- ١٢-٢-١ خطوات المنهج الإحصائي
- ١٢-٣-١ مزايا المنهج الإحصائي وعيوبه

الفصل الثالث عشر: المنهج الوصفي

- ١٣-١-١ ماهية المنهج الوصفي

١٣-٢- أساليب الوصف

١٣-٣- أهمية المنهج الوصفي

١٣-٤- مستويات البحوث الوصفية

١٣-٥- مصادر المعلومات في البحوث الوصفية

١٣-٦- خطوات المنهج الوصفي

١٣-٧- خصائص المنهج الوصفي

١٣-٨- أهم نماذج الدراسات الوصفية

١٣-٩- أهمية المنهج الوصفي في تطور العلم

الفصل الرابع عشر: المنهج التجريبي

١٤-١- معنى المنهج التجريبي والتجربة

١٤-٢- نشأة المنهج التجريبي

١٤-٣- خطوات المنهج التجريبي

١٤-٤- أساليب تصميم التجارب

١٤-٥- تقييم عام للمنهج التجريبي

الفصل الخامس عشر: المنهج التاريخي

١٥-١- أهمية المنهج التاريخي والدراسات التاريخية

١٥-٢- الاهتمام بالتاريخ السياسي الاجتماعي

١٥-٣- خطوات المنهج التاريخي

الفصل السادس عشر: المنهج المقارن

١٦-١- مفهوم المنهج المقارن

١٦-٢- متطلبات وإجراءات المنهج المقارن

١٦-٣- خطوات منهج المقارنة

١٦-٤- أهداف المقارنة

١٦-٥- مجالات استخدام منهج المقارنة

قائمة المراجع العربية والأجنبية، وقائمة المصطلحات العلمية ومواقع الانترنت

الباب الأول
أسس المعرفة العلمية
والمنهج العلمي

الفصل الأول

ماهية البحث العلمي وأهميته

١-١- المعنى اللغوي والاصطلاحي

١-٢- أهمية البحث العلمي وغايته

١-٣- مفترضات البحث العلمي

١-٤- وجود مشكلة

١-٥- الباحث

١. ١. المعنى اللغوي والاصطلاحي :

إن عبارة البحث العلمي Scientific Research مركبة من كلمتين:

"البحث"، و "العلمي" فما المراد بكل منهما؟ في اللغة العربية: "بَحَثَ" فعل، و"بَحَثَ عن الشيء" أي طلبه وفتش عنه، أو سأل عنه واستقصى. و"بحث الأمر"، أو "بحث فيه" اجتهد فيه وتعرّف حقيقته. و"البحث" اسم، وهو بذل المجهود في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به. و"البحث" ثمرة هذا الجهد ونتيجته، وجمع "بحث" "بحوث" و"أبحاث".^(١)

وفي اللغة الإنكليزية: "يبحث" To research فعل، ويعني التتقيب والتفتيش عن مسألة to research a subject بقصد الوصول إلى نتيجة. و"البحث" اسم a research هو دراسة متقدمة ومفصلة لموضوع أو مسألة معينة للتعرف على حقائق جديدة^(٢).

وفي اللغة الفرنسية: "يبحث" rechercher فعل، يعني محاولة التعرف أو الكشف عن حقيقة، أو عن سبب، أو عن شروط أو آثار ظاهرة أو مسألة معينة. و"البحث" اسم، Une recherche هو الجهد الذهني المبذول للوصول إلى المعرفة أو الحقيقة. وهو مجموعة الأعمال والأنشطة الذهنية التي ترمي إلى اكتشاف المعرفة أو القوانين والقواعد الجديدة.^(٣)

وهكذا فإن كلمة "البحث" في اللغات الثلاث ذات معنى واحد، يدور حول بذل المجهود الذهني في تحري، أو تتبع، أو التفتيش، أو التقصي، عن مسألة أو أمر معين، بقصد التعرف على حقيقته وجوهره. أما كلمة "العلمي" Scientfic scientifique، فهي "صفة" للبحث، منسوبة إلى العالم. و"العلم" من الفعل الماضي "علم" أو "تَعَلَّمَ". وتعلّم الأمر أي عرفه وأتقنه. و"العلم" Science اسم، وهو إدراك الشيء بحقيقته. والعلم هو المعرفة، أي أنه مجموعة مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع واحد، وتعالج بمنهج معين، وتنتهي إلى بعض النظريات والقوانين^(٤)، كعلم الفلك وعلم الزراعة وعلم القانون وجمعها علوم. والعلم عكس "الجهل"^(٥)، وأساسه المعرفة، وغايته طلبها، والوصول إليها، ونقصي حقيقتها. فهو يعني الإلمام بالحقائق الكلية، وليس الحقائق الجزئية التي هي قوام المعرفة. والعلم أوسع من المعرفة، فهو عبارة عن مجموعة معارف، أو هو طريقة منظمة للحصول على المعارف. ويتم الحصول على المعارف

^١ - انظر : المعجم الوجيز (القاهرة : مجمع اللغة العربية ، طبعة ١٩٩٣) ، ص ٣٧ .

Longman Active Study Dictionary . ١٩٩٤ .

٢ - انظر :

p.٥١٨.

Petit Robert . dictionnaire de langue francaise (paris S.N.J, ١٩٧٣), p.١٤٧٧.

٣ - انظر :

^٤ - المعجم الوجيز ، مصدر سابق ، ص ٤٣٢ .

٥ - لسان العرب المحيط ، للعلامة ابن منظور ، المجلد الثاني ، ص ٨٧٠ .

عن طريق إقامة النظريات. والنظرية هي سلسلة من القضايا والظواهر التي ترتبط فيما بينها. ومعرفة القوانين والمبادئ التي ترتبط بين تلك القضايا والظواهر بعضها البعض هي جوهر المعرفة التي يرمي العلم إلى تحصيلها^(٦).

والتفاعل بين كلمتي "البحث" و"العلمي"، يقود إلى تعريف "البحث العلمي" بأنه: أعمال الفكر وبذل الجهد الذهني المنظم حول مجموعة من المسائل أو القضايا، بالتفتيش والتقصي عن المبادئ أو العلاقات التي ترتبط بينها، وصولاً إلى الحقيقة التي ينبني عليها أفضل الحلول لها.^(٧) ويمكن الإشارة إلى وجود العديد من التعاريف للبحث العلمي تقترب من التعريف السابق. حيث يرى البعض أن البحث العلمي هو: "العمل الدقيق الذي يؤدي إلى اكتشاف حقائق يقينية وقواعد عامة شاملة"^(٨). ويذهب البعض الآخر إلى تعريف البحث العلمي على أنه: "المحاولة الدقيقة الناقدة التي تؤدي إلى حلول أو علاج المشكلات التي تؤرق الإنسانية وتحيرها"^(٩). في حين يعرف البعض الثالث البحث العلمي بأنه: "الوسيلة التي تؤدي إلى الوصول إلى حل مشكلة محددة بالتقصي الشامل والدقيق لجميع الظواهر والبيانات التي يمكن التحقق منها"^(١٠).

ويُعرف البحث العلمي أيضاً على أنه: أسلوب يهدف إلى الكشف عن المعلومات والحقائق والعلاقات الجديدة والتأكد من صحتها مستقبلاً بالإضافة إلى تطوير المعلومات القائمة وإلى الوصول إلى الكلية أو العمومية؛ أي التعمق في المعرفة العلمية والكشف عن الحقيقة والبحث عنها. ويهدف البحث العلمي كذلك إلى الاستعلام عن صورة المستقبل أو حل لمشكلة معينة، وذلك من خلال الاستقصاء الدقيق والتتبع المنظم الدقيق والموضوعي للمسألة أو القضية المدروسة، ومن خلال تحليل الظواهر والحقائق والمفاهيم^(١١).

ومن التعريفات الأخرى للبحث العلمي ما يلي:

- إنه "التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية، بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها".

٦ - عطية، د. طاهر مرسي، إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه (القاهرة : دار النهضة العربية ، د.ت) ، ص ١٠ .

٧ - المصدر السابق نفسه .

F.Whitney , Elements of research , New York : ١٩٦٤ ,

- ٨

p.١٨.

D.B.Van Dalen , Understanding educational research , New York , ١٩٦٢ ,

- ٩

p.١٠.

H.Tyrus. Introduction to research writing , Boston : Houghton Mifflin co., ٢nd ed., ١٩٦٤ , p. ٥ .

- ١٠

١١ - فوزي، صلاح الدين ، المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث القانونية (القاهرة : دار النهضة العربية ، ٢٠٠٠) ، ص ٢ .

• إنه البحث الذي يهدف " معرفة الحقيقة بمحاولة معرفة حقائق لم تكن معروفة من قبل أو استكمال حقائق عُرف بعضها".

وفي هذا السياق، يذهب البعض إلى أن البحث العلمي بهذا المعنى يعتبر ضرورة حياتية لا تستقيم حياة الإنسان بدونها، فالوجود في الحياة يتطلب إجراء "البحث" عن الحقيقة^(١٢).

وبصفة عامة، هناك شروط يجب أن تتوافر في التعريف الصحيح للبحث العلمي، أبرزها ما يلي^(١٣):

١. أن يكون التعريف جامعاً مانعاً. فإذا سألتك عن تعريف "الحديد" وقلت: إنه معدن، فإن هذا التعريف يكون جامعاً لأنه يشمل كل الحديد، لكنه لا يكون مانعاً، لأن النحاس معدن، والذهب معدن، والرصاص معدن، وهكذا.

٢. أن يكون التعريف سليماً، بحيث أن تستخدم فيه ألفاظ بسيطة متفق على معناها المحدد، ولا تحتاج بدورها إلى تعريف.

٣. أن ألا يستخدم في تعريف الشيء اللفظ ذاته المطلوب تعريفه، فمثلاً إن "باكلي" و"هانج" يعرفان البحث بأنه: "هو البحث المنظم عن الحقيقة أو الزيادة وتنمية المعرفة". فهذا التعريف يقول إن "البحث" هو "البحث" المنظم عن الحقيقة وهذا خطأ، وإلا نكون قد عرّفنا البحث بذاته.

وعندما نقول إن التعريف الأكثر دقة للبحث العلمي هو اتباع خطوات نظامية منطقية، وصولاً إلى زيادة المعرفة المتاحة، عن طريق كشف معلومات أو علاقات أو تطبيقات جديدة أو للتحقق من ذلك، فإن هذا التعريف يثير العديد من النقاط، أبرزها ما يلي^(١٤):

١- إن البحث يتطلب اتباع "خطوات" معينة. وهذه الخطوات قد أصبحت قانوناً أو عرفاً مستقراً تعارف عليها الباحثون. سواءً أكان هذا البحث نظرياً أم تجريبياً أم ميدانياً أم غير ذلك. والسؤال المطروح هنا هل هذه الخطوات متتابعة زمنياً بالضرورة؟ فهل يلزم بالضرورة أن تكون البداية خطوة معينة وبعد أن ننتهي منها، علينا أن ننطلق للخطوة الثانية وهكذا ؟ أو يمكن أن تكون هذه الخطوات متلازمة بحيث يمكن إجراؤها جميعاً معاً ؟ أو يمكن أن يكون بعضها متتابعاً والآخر متزامناً؟

لقد قلنا من قبل إن للبحث " خطوات " ، ولا نعني بذلك أبداً ضرورة اتباع كل هذه الخطوات أو المحافظة عليها وعلى تتابعها الزمني ، فهذه الخطوات ، وإن كانت قد استقرت وتعارف الباحثون عليها، فإنها ليست

١٢ - المصدر السابق نفسه.

١٣- د. طاهر مرسى عطية، إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، مصدر سابق ، ص ١٠-١٢ .

١٤ - المصدر السابق نفسه.

مقدسة ، فالعمل العلمي عمل ابتكاري إبداعي ، وقد يتطلب الإبداع أحياناً تجاهل بعض هذه الخطوات أو كلها.

٢- إن هذه الخطوات " نظامية " . فالبحث العلمي عمل منظم بطبيعته . ولا يمكن التوصل لحقائق جديدة أو معلومات متاحة بشكل فوضوي . صحيح إن سقوط التفاحة على رأس " إسحاق نيوتن " كان صدفة ، وأن هذه الصدفة قد كشفت له قانون الجاذبية ، وأن طفو الماء حول " أرخميدس " كان أيضاً صدفة كشفت له قانون الطفو ، إلا أن هذه الصدفة قد التقت بحواس يقظة لدى الباحث - نيوتن أو أرخميدس- ولو أنه لم ينتبه لها ، وما لم يتبع خطوات نظامية بعد ذلك ، لما توصل إلى القانون أو النظرية التي توصل إليها . وقد يعتمد البحث في بعض مراحله على " الحدس أو التخمين " ، ولكنه سرعان ما يترك هذه المرحلة ليعتمد على اتباع خطوات نظامية للتوصل إلى النتائج المستهدفة .

٣- إنها خطوات منطقية . فالبحث العلمي يعتمد على استخدام قواعد علم المنطق - أحد علوم الفلسفة- أي أنه يعتمد على تفكير سليم لا يصطدم بالعقل بل يتفق معه . فعلم المنطق أول من قدم قاعدة - أو قضية - بسيطة استطاعت أن تحل لنا مشكلات عديدة فيما بعد . فإذا كان (أ) يساوي (ب) ، و(ب) تساوي (ج) ، فإن المنطق يحدد فوراً أن (أ) يساوي (ج) . إذاً كلمة " منطقية " هنا تشير إلى أسلوب التفكير المنظم .

٤- إن للبحث العلمي هدفاً ، ويقسم بزيادة المعرفة المتاحة وأن زيادة هذه المعرفة تتحقق عن طريق كشف معلومات أو علاقات أو تطبيقات جديدة ، أو التحقق من وجود ذلك .

٥- إن البحث لا يكون إلا إذا توافرت حالة من حالات عدم الوضوح في موقف ما ، أو حالة عدم التأكد من شيء ما ، أو حالة غياب حقيقة شيء أو نقص المعرفة عنه (١٥) .

ومما سبق يعني أن وظيفة الباحث هي بالأساس وظيفة استكشافية بما يشمل ذلك من دراسات وتحليل بهدف الإيضاح أو التوصل إلى معرفة جديدة . ويدخل ذلك ضمن البحث الذي يستهدف التأكد من نتائج بحث سابق في الموضوع ذاته . حيث إنه طالما وجدت نسبة من عدم التأكد ، فإن ذلك يعطي للبحث الجديد مزيداً من المصادقية ، شريطة : أن يقوم الباحث بتغطية عدد من الخطوات أو المراحل البحثية في جمع وتحليل البيانات واستخلاص وعرض النتائج والتوصيات .

وبهذا المعنى ، فإن شرط إطلاق كلمة " بحث " هو وجود نسبة من عدم التأكد ، مهما تضاءلت هذه النسبة ، فحالة التأكد تنفي الحاجة إلى البحث .

٦- إن البحث يتطلب بذل جهود لجمع المعلومات وتحليلها . ويجري جمع البيانات باستخدام أساليب وطرق بحثية موثوق فيها وصولاً إلى نتائج سلمية .

١٥ - حمودة، محمد عفيفي ، البحث العلمي (القاهرة : د. ن ، ١٩٨٠) ، ص ١١ .

٧- إن البحث بطبيعته عمل علمي ، ولذلك آثرنا أن يكون تعريفنا " للبحث " هو في الوقت ذاته تعريف " للبحث العلمي " ، هذا مع أن كثيراً من الأساتذة يضعون تعريفاً مستقلاً للبحث وتعريفاً آخر للبحث العلمي كما سنرى .

ومما سبق يمكن أن نستخلص شروطاً معينة يجب أن تتوافر في البحث ، ومنها :

- أن يكون بحثاً منظماً لمشكلة محددة .
- استخدام طرق بحثية علمية .
- عرض مبررات كافية .
- اعتماد الموضوعية وعدم التحيز .
- استعداد الباحث لإثبات صلاحية توصياته ومنطقيتها .
- إمكانية تعميم النتائج داخل الحدود المحددة في البحث .

ويُستخلص مما سبق ، ومن مختلف الكتابات عن البحث العلمي أنه يشمل الخطوات التالية بصفة عامة :

- تكوين فكرة مشكلة البحث ، وذلك من خلال القراءة والملاحظة والتجربة ...إلخ .
- تحديد المشكلة بدقة بقدر الإمكان بما يوضح أهداف البحث وما يسعى إلى تحقيقه .
- إعداد خطة البحث أي تحديد فروض البحث والبيانات اللازمة لاختبارها ومصادر الحصول على البيانات وطريقة الحصول عليها ، وذلك بما يتناسب مع طبيعة البحث ، سواء أكان الجانب الأكبر منه استنباطياً أم استقرائياً .
- توجيه عملية جمع وتحليل البيانات بما يخدم خطة البحث (اختبار الفروض أساساً) .
- توضيح نتائج البحث بدقة سواءً بتأكيد أو برفض كل فرض من الفروض .
- التوصل إلى توصيات على أسس قوية ومبررات واضحة .

١ . ٢ . أهمية البحث العلمي وغايته :

إذا كان البحث العلمي يمثل ضرورة حياتية للإنسان ، باعتبار الإنسان يستطيع - من خلاله البحث العلمي - أن يوظف الطبيعة ويحاول السيطرة عليها ، فإنه يمكن النظر إلى البحث العلمي بالنسبة للدول على أنه ضرورة وحياةٍ شرطاً أساسياً للتقدم والتحديث والتطوير .

وعلى ذلك ، فإن استثمار الدول في البحث العلمي يقوي بنيانها ويزيد من حضورها ونفوذها على المستوى الدولي . فقوة الدولة أصبحت تقاس بقدرتها العلمية، لأن البحث العلمي قد يسّر لدول صغيرة المساحة والسكان أسباب نفوذ وقوة كبيرة ، نظراً لاهتمامها بالبحث العلمي .

كما أن البحث العلمي ، أياً كان ميدانه ، له غاية أساسية ، وهي تكوين المعرفة التي هي خلاصة التفكير العلمي . والمعرفة هي مجموعة المعلومات التي يتمخض عنها البحث العلمي والتي لها القابلية لوصف الظواهر والأحداث وتفسيرها ، وكذلك التنبؤ بما سيقع تحت ظروف معينة ^(١٦). أي أن المعرفة قد تكون اختراعاً جديداً ، واكتشاف مجهول ، أو تكميل نقص ، أو تفصيل مجمل ، أو تعيين مبهم ، أو تصحيح خطأ . فضلاً عن ذلك ، تبدو أهمية البحث العلمي في عدة أمور أبرزها مايلي :

١- تنمية روح الاستنساخ العقلي ، وحضور البديهة ، والقدرة على ربط الأشياء بنظائرها ، وإذكاء روح البحث والاستقصاء والابتكار والإبداع لدى الباحثين . وذلك ، لأن الغاية من البحث والدرس ليس جمع المعلومات واستظهارها بل النشاط الفكري والحصول على الملكة التي بها يستطيع الباحث أن " يستنبط "أو" يستخرج " .

٢- تكوين الشخصية العلمية القادرة على التفكير المستقل ، والنقد الحر والمنطق السليم والمنظم .
٣- رفع الكفاءة على حسن التعبير عنه الفكر الذاتي ، وأفكار الغير بأسلوب وصياغة منتظمة وصحيحة .

٤- تأكيد ممارسة حق وحرية التعبير عن الرأي ، وحق الحصول على المعلومات والبيانات ، كحقيين أو حريتين من الحقوق والحريات الدستورية العامة .

٥- اكتشاف الظواهر الطبيعية ، ومحاولة فهمها ، ومعرفة أسبابها ، والسيطرة عليها ، والتحكم في بعض العوامل الأساسية التي تسبب ظاهرة أو حدثاً معيناً ، وكذلك إمكانية التنبؤ بحدوث تلك الظواهر . هذا فضلاً عن المردود الذي تحققه البحوث العلمية في الميادين العلمية التجريبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... ولا سيما عندما تتوافر الإمكانيات اللازمة لتطبيق نتائج تلك البحوث على المشكلات التي تطرأ في تلك الميادين ^(١٧) .

١ . ٣ . مفترضات البحث العلمي :

نعني بمفترض الشيء ما يوجد قبله ويكون سابقاً عليه ، ومفترض الشيء هو ركنه الذي لا غنى عنه . وعليه فإن مفترضات البحث العلمي هي ما يلزم وجودها والتي تبعث التفكير في القيام بالبحث العلمي ، وولوج دروبه ، واستخدام أدواته ، وتحقيق أغراضه ومراميه ^(١٨) .
وكي يحقق البحث العلمي نحو غايته ، يلزم توفر مفترضين أساسيين :

١٦ - سلامة، أحمد عبد الكريم ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية (القاهرة : د. ن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧) ، ص ١٥ .

١٧ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٥ .

١٨ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٦-١٧ .

٤.١. وجود مشكلة :

البحث العلمي هو طريقة تفكير ، وجهد وتنقيب ، وفحص دقيق ، يهدف إلى تحديد مشكلة تواجه الإنسان ، وتحليلها إلى عواملها من خلال دراسة عميقة ومنهج سليم . أو هو مسعى منظم نحو الفهم ، مدفوع بحاجة أو صعوبة محسوبة وموجه نحو دراسة مشكلة محددة .

وهذا التعريف للبحث العلمي لا يوجد لذاته ، بل خدمة لغرض محدد ، هو البحث عن حل لمشكلة قائمة . والمشكلة هي كل ما يحتاج إلى حل من الظواهر والوقائع التي تحيط بالإنسان أو يتدخل هو في إيجادها .

ومن المشكلات التي تقتضي البحث وتستلزمه لبلورتها ، وإيجاد الحلول لها في المجال السياسي : تآكل السيادة الوطنية في ظل العولمة ، دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية ، الخلط بين الإرهاب الدولي والمقاومة الوطنية ، ازدياد ظاهرة التدخل الدولي تحت مسميات عديدة : كالتدخل لأغراض إنسانية أو لنزع أسلحة الدمار الشامل ، أو لمحاربة " الإرهاب " ... وغيرها . فهذه مشكلات عملية تواجه القائمين على شؤون الحكم في الدول المختلفة ، وهناك صعوبة في إيجاد حلول لها ضمن أطر قواعد السلوك الدولي التقليدية .

إن العمل البحثي الذي يقوم به الباحث ، لا يعد بحثاً علمياً ما لم يستهدف حل مشكلة معينة ، أو تفسير ظاهرة ، أو إضافة معرفة جديدة . فمن يمتشق القلم بقصد ملء فراغ في مجلة أو تسطير صفحات ليحصل منها على درجة علمية أو منفعة مالية ، دون القصد إلى مشكلة يعالجها ، ويبين أسبابها ، ويقترح ما يعتقده صواباً لحلها ، فهو عابث . ومثل هذا الصنف المتجمل بثوب العلم لم يفعل سوى الاستفادة مما وقع في يديه ، وربما بطريقة الصدفة ، وهو الغالب ، من مراجع ومقالات وبحوث، واختار مشروعاً لبحثه مضطرباً هزيل البنیان ، لا يتصل بمنفعة لمجتمعه ، ولا يكلفه الكثير من المعاناة والجهد حيث إن هدفه من إعداد بحثه ، إن جاز تسميته بحثاً ، هو منفعة شخصية أو مأرب وقتي أو للترقية والترفيه في وظيفته .

وإذا كان وجود " مشكلة " هو ركن البحث العلمي ، فليست أية مشكلة صالحة لأن تكون موضوعاً للبحث العلمي . فموضوع البحث العلمي ، أي وجود مشكلة ، يلزم فيه : (١٩) أ - أن يكون جديداً ، ذا قيمة علمية وعملية ، يلبي حاجة عامة للمجتمع ، ويضيف معارف جديدة إلى التراث المعرفي .

١٩ - سلامة، أحمد عبد الكريم، ص ٢٠-٢١ .

غير أن جودة موضوع البحث لا تعني بالضرورة أن يكون غير مطروق من قبل ، ذلك أنه لا يمكن الزعم بأن هناك ، على الأقل في حقل الدراسات السياسية والاجتماعية أو الإنسانية عموماً ، موضوعات قد استفدها البحث . ذلك ، أن صحة الحقائق في هذا المجال نسبية زماناً ومكاناً . فما هو صحيح في زمن معين ، أو بلد معين ، قد لا يكون كذلك في زمن ، أو بلد آخر . وما قيل عن مشكلة ما يمكن تعديله أو إعادة النظر فيه ، في ضوء المعطيات والمستجدات .

ولكن من ناحية أخرى ، يمكن الإشارة إلى أنه في مجال البحث العلمي فإنه من الممكن اتخاذ موضوع سبق للباحثين تناوله ، إن استطاع الباحث أن يأتي فيه بجديد ، سواءً تمثل ذلك في زيادة على السابقين ، في إظهار جوانب القصور في الدراسات والأدبيات السابقة على هذا الموضوع .

إن البحث العلمي هو دوماً حلقة في السلسلة اللانهائية للعلم والمعرفة ، وما كان للباحثين والدارسين أن يكملوا أبحاثهم أو دراساتهم أو ينجزوها لولا الأبحاث التي قام بها الباحثون السابقون . وذلك بالنظر إلى أن العلم والمعرفة ذات طبيعة تراكمية ، فيبني الخلف على ما بناه السلف وهكذا .

ب - أن يكون الموضوع محدداً . والتحديد هنا يعني أمرين، أولاهما: ألا يكون الموضوع واسعاً فضفاضاً ، وثانيهما: ألا يكون الموضوع محدوداً ضيقاً . فالأمر الأول سيؤدي إلى إجهاد الباحث وتبديد طاقاته دون أن يسبر غور جوانب موضوع بحثه بالعمق الكافي ، ويبعده عن الدقة في التحليل ، ويصبح مشتتاً بين المراجع التي تتصل بمختلف جوانب موضوع بحثه .

ففي مجال العلوم السياسية ، يكون من غير المقبول إجراء بحث أو إعداد رسالة علمية عن " الصراع العربي - الإسرائيلي " ، أو " المعاهدات في القانون الدولي العام " ، يتضمن كل من هذه العناوين موضوعات فرعية يكفي كل منها ليكون موضوع رسالة علمية .

أما الأمر الثاني ، فسوف يؤدي إلى تقييد انطلاقة تفكير الباحث ، بسبب ندرة المراجع ذات العلاقة التخصصية بموضوع البحث ، وعلى نحو يفقد الباحث الثقة في نفسه ، وقد يحمله على عدم استكمال مشروعه .

فمن غير الملائم إعداد بحث أو رسالة في موضوع محدود أو ضيق جداً ، فمثلاً في القانون الدولي العام : التصديق على المعاهدات الدولية ، ماهية الاعتراف في القانون الدولي ، أو آثار هذا الاعتراف، و في الدبلوماسية : الحصانات الدبلوماسية ، وتقديم أوراق الاعتماد ، ودبلوماسية القمة و...إلخ.

وبصفة عامة ، إن حسن اختيار موضوع البحث يعتمد على التحديد الدقيق لدوافع الباحث والأهداف التي يحددها ويأمل في الوصول إليها ، وهذا يتأتى عندما يكون الباحث على معرفة ودراية تامة بحقيقة المشكلة البحثية أو الموضوع الذي يزمع دراسته وبحثه ، ومدى سيطرته على فكر الباحث

واهتمامه ، كل ذلك من خلال حصيلته من المادة العلمية عن بحثه ، على أن هذه الأمور تعتمد بدورها على نوع البحث العلمي ومنهجه كما سنرى .

٢ - الباحث :

أما المفترض الثاني للبحث العلمي هو الباحث ، أي الشخص ، الفرد أو الفريق البحثي ، وهو ركن البحث الرئيسي ، بل هو الركن الأول . والباحث هو الذي يعايش المشكلة ، وينقب في المصادر والمراجع ليصل إلى ما فيها من معلومات وبيانات تخدم بحثه .

والبحث العلمي مهنة شاقة، إذ إنه يقتضي البحث والتنقيب ، وتقليب الأمور على وجوها مختلفة، ووزن الآراء والترجيح بينها ، والخلوص إلى نتائج محددة . وهذه وتلك عمليات مركبة ومتداخلة تحتاج من الباحث إلى خصال عديدة وملكات شخصية فريدة ، واطلاع كبير وثقافة واسعة وقدرة على تفهم الأمور وسبر أغوارها (٢٠) .

والبحث العلمي بهذا المعنى على ما يرى البعض إنما هو: " موهبة تمنح لبعض الناس ولا تمنح للآخرين ، فالبحث خلق وإبداع ، وتلك قدرة خاصة تبرز أو تتألف لدى بعض الأفراد ، وتتضاءل أو تنعدم لدى آخرين (٢١) . وإذا كان هذا القول صحيحاً إلى حد كبير ، نظراً لأن الواقع العلمي يثبت صحته في فروع كثيرة ، حيث نجد طلاباً قد تفوقوا في مراحل الدراسة الجامعية ، إلا أنهم لم يحققوا نجاحات تذكر في عملهم كباحثين . ومنهم من لم يكن له إنتاج علمي على الإطلاق ، وهو أمر تحوّل له قانون تنظيم الجامعات في سورية رقم ٦ لسنة ٢٠٠٦ إذ نص في مادته ١٣٧/ب على فقدان المعيد صفته معيداً إذا لم يحصل على المؤهل العلمي المطلوب بعد انقضاء ثلاث سنوات على انتهاء إيفاده . كما اشترطت المادة ٧١/ب أن يقوم المدرس بإجراء بحوث علمية أصيلة ونشرها لتعيينه أستاذاً مساعداً.

٢٠ - نصار، جابر ، أصول وفنون البحث العلمي (القاهرة : دار النهضة العربية ، ٢٠٠٥) ، ص ٥١ .

٢١ - شلبي، أحمد ، كيف تكتب بحثاً أو رسالة ؟ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ط ٢٤ ، ١٩٩١) ، ص ٤١ .

The background of the page features a large, faint watermark of the Damascus University logo. The logo is circular, with the university's name in Arabic 'جامعة دمشق' at the top and 'Damascus University' at the bottom. In the center is a stylized sunburst or star symbol.

الفصل الثاني

أسس البحث العلمي

١-٢- المعرفة العلمية

٢-٢- شروط البحث العلمي

٢-٣- البحوث السياسية والمنهج العلمي

يعد البحث العلمي أهم الطرائق والمصادر الأساسية لفهم الكون ، وقد تكون خبرات الفرد وتجاربته الذاتية مصدراً آخر ، لكن أهميته محدودة . والعلم له وظائفه الواسعة في حياة البشرية ، ومن أهم وظائف العلم والبحث العلمي التالي :

١. فهم العالم المحيط بنا ، والمساهمة في تشخيص المشكلات وتحديدتها ، وإثارة التساؤلات البحثية وفرض الفروض وتطويرها ، واختبار صحتها ، والسير في طريق بناء النماذج والنظريات .
٢. يساعد في تجميع البيانات والمعلومات ، وفي تصنيفها وتنظيمها وتوثيقها ، واستدعائها واستخدامها وتحليلها ، فالعلم ييسر إمكانية استخدام المعلومات والمعارف وتطبيقها .
٣. إمكانية الوصول إلى نتائج على درجة من الصحة وإمكانية الاستفادة منها في التطبيق والتقييم من خلال تحديد المنهج الملائم وأدواته (٢٢) .

وإن تطوير العلم والبحث العلمي ، من شأنه تعزيز أهمية العلم ووظائفه في حياتنا ، كما في مختلف فروع المعرفة ، ومن أهم المراحل التي يتحقق بها هذا التطور في حقول العلم المختلفة:

١- مرحلة تعريف العلم ، وتحديد نطاق الحقل العلمي وما يندرج في نطاقه من ظواهر ومتغيرات وعوامل ، بما فيها تحديد أهم المصطلحات المرتبطة به .

٢- مرحلة بناء النماذج أو النظريات ؛ وتنبتق بدايات هذه المرحلة مع تطور البحوث في العلاقات بين المتغيرات ، وتتعرز بشكل أوثق عند الانتقال من مرحلة " الترابط بين المتغيرات " إلى مرحلة " العلاقات السببية بين المتغيرات " ، حيث إمكانية التحكم في المتغيرات وضبطها .

٣- بإتمام المرحلة السابقة يصبح للعقل مجموعة نظريات ، وقوانين علمية معترف بها ، وقد يحدث التطور في اتجاه استخدام هذه النظريات والقوانين في حل المشكلات أو في طرح الفروض وتطويرها (٢٣) .

ويرى البعض صعوبة كبيرة في تحقيق هذه المراحل في العلوم الاجتماعية عامة ، وفي علم السياسة خصوصاً . وهناك من يرى أن هدف العلم هو الكشف عن حقائق جديدة ، لتضاف إلى المعارف القائمة ، فيحدث التراكم في المعارف ، ويصبح من الضروري تشجيع العلماء والباحثين على المزيد من الاكتشافات ، وتحقيق المزيد من التراكم .

العلم تراكم منظم ومنضبط ونقدي :

٢٢ - القصبي، عبد الغفار ، التحليل السياسي : كيف تكتب بحثاً أو رسالة (القاهرة : جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤) ، ص ٢٣ .

٢٣ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٣-٢٤ .

العلم تراكم وتصحيح وتعاون وفضول لا يتوقف^(٢٤) ، فهو يتميز بالنسبية ولا يعرف الثبات، أي أنه ليس مجرد تراكم فحسب ، وإنما تراكم ذو طابع تصحيحي لا يتوقف ، من خلال إعادة النظر وتقويم أو تصويب وتنقيح المعارف القائمة . فالتراكم قائم على التصحيح وإحلال معرفة جديدة وتقويض معارف قديمة ، ويتحقق التقدم المتواصل من خلال هذا التراكم والتصحيح في وقت واحد ، ويحركه للأمام فضول الإنسان المتواصل لاكتشاف المجهول ، وتضافر الجهود ، ولا يستطيع عالم بمفرده ، مهما كانت طاقته و قدراته ، أن يقوم بنفسه بجميع الخطوات والإجراءات ، ولا بد من تضافر وتعاون " الجماعة العلمية " ^(٢٥) ، وترسيخ روح " فريق العمل " ليتحقق بناء مشروع علمي حقيقي ، وكذلك لا بد من الحرية ، وبدون الجهد الجماعي والحرية والتصحيح ، لا تنبثق الروح العلمية، ولن تكون المعرفة العلمية ممكنة .

يصبح العلم والبحث العلمي مصدراً للمعرفة ، وهو مصدر يتميز بأنه مقنن وناقد ، ومنظم ، ومنضبط . فهو أولاً مقنن بمعنى أنه يسمح بتدريب القائمتين عليه من استخدام المنهج وتطوير الأدوات البحثية بشكل صحيح ، وتصبح مختلف أسس وقواعد ملاحظة واختبار الواقع واضحة وموضع التزام . وهو ثانياً مصدر ناقد أو انتقادي ، لأنه يقوم على التصحيح الذاتي ، لأن التصحيح والنقد ضروريان لأجل التطور والمزيد من الدقة والتمحيص . وهو ثالثاً مصدر منظم للمعرفة ، لأنه لا يقنع بالمصادفة أو العشوائية والتي قد يكون من شأنها إغفال بعض الشواهد التي قد تكون ذات مغزى أساسي في دراسة الظاهرة موضع البحث . وهو رابعاً مصدر منضبط يسمح بفهم أكثر عمقاً وتدقيقاً للواقع وفق ظروف وشروط يتم تحديدها بدقة ، بما لا يسمح بالتباين أو التشويه في فهم هذا الواقع مهما كان ضئيلاً ^(٢٦) .

١ . ٢ . المعرفة العلمية :

يشير علم المعرفة Epistemology إلى أسس المعرفة ، وطبيعتها وأشكالها ، وكيفية الحصول عليها ، وكيف يمكن تبادلها أو إيصالها للآخرين . وتتضمن نظرية المعرفة ثلاثة محاور ، يشار إليها عادة ، وهي :

- ١ . إمكانية الوصول إلى المعرفة ، وكيفية وصول الإنسان إلى الحقيقة عن طريق العلم .
- ٢ . العلاقة بين الباحث وموضوع بحثه ، هل هي علاقة تتشكل وفق عقله ؟ أم أنها هي واقع خارج مستقل عن إدراكه ؟

٢٤ - صلاح قصوة ، فلسفة العلم (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢) ، ص ١٣٧ .

٢٥ - لمزيد من التفاصيل عن أهمية الجماعة العلمية ، انظر : W.L.Neuman , Social Research Methods (Boston: Allyn and Bacon , ٢٠٠٠) , pp ٨-٩ .

٢٦ - القصبي، عبد الغفار ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .

٣. أدوات المعرفة ومصادرها ، وأهمية العقل ، ومعطيات الحس في ذلك . وقد تثار بشأن طبيعة المعرفة تساؤلات : فهل هي جامدة أم حقيقية ؟ وهل يمكن تحويلها إلى شكل ملموس ؟ أم أن المعرفة تتسم بالمرونة والنسبية ، أو أكثر ذاتية أو تبنى على أساس من خبرة الفرد ؟

ويمكن تحديد عدد من سمات المعرفة العلمية (للعلوم السياسية والاجتماعية عامة) ، فيما يلي أهمها :

١- النسبية : فالقوانين العلمية في العلوم السياسية ، والعلوم الاجتماعية عامة ، هي من صنع العلماء ، وهي تعبر عن درجة من النظام أو الانتظام وفق رؤية هؤلاء العلماء ، وليس وفق طبيعة الأشياء . فالوقائع والأحداث والوقائع التي يشهدها العالم المحيط بنا تكون موضع ملاحظة الباحثين ، ومن ثم فإن التفسيرات والمعاني المرتبطة بهذه الوقائع تميل لأن تكون من اختراع الإنسان . والواقعة تمثل " متغيراً أكثر مما تمثل حقيقة ثابتة " ، خلال العملية البحثية ، وهذه النسبية تتفق وطبيعة العلوم الاجتماعية .

٢- الاحتمالية : فالباحث السياسي قد يجد لزماً عليه أن يعالج العلاقات بين الوقائع في شكل علاقات ارتباطية محتملة أكثر من معالجة هذه العلاقات من منظور حتمي أو من منظور العلاقات السببية .

٣- الميل المتزايد إلى التعبير عن الوقائع والمعلومات والبيانات بصورة كمية أو عددية بحيث يكون منطق التفكير استقرائياً ، ينتقل الباحث بمقتضاه وفق منطق الاستنتاج من الملاحظات لمفردات أو حالات محدودة وفق التعميمات ، من الجزء إلى الكل . أي ينتقل من وصف كل مفردة أو حالة على حدة إلى التعميم بصدد كل المفردات أو الحالات من النوع نفسه ، وهو ما يقتضي حذر الباحث وتدقيقه ، لأن من الخطأ التعميم عبر مستويات التحليل المختلفة .

٤- تعددية أبعاد السلوك الإنساني ، ويعالج كل فرع من فروع العلوم الاجتماعية بعضاً من هذه الأبعاد ، وقد يقدم تفسيرات بديلة لهذا السلوك ، موضع الملاحظة والبحث .

فهناك من بسبر إلى تفسير سوسيولوجي ، أو تفسير جغرافي لظاهرة معينة - أو ما يسمى الحتمية الاجتماعية أو الحتمية الجغرافية - وغيرها من تفسيرات سيكولوجية أو بيولوجية ، تُعد في واقعها بمثابة أطر بديلة للتفسير .

٢ . ٢ . شروط البحث العلمي في العلوم السياسية:

هناك خمسة شروط أو سمات أساسية يجب توافرها للبحث العلمي في حقل العلوم السياسية وهي:

(٢٧)

أولاً : الارتباط بالواقع وبالأحداث الحسية والمرئية كما نشاهدها على أرض الواقع ، مع إمكانية التحقق من صدق نتائج البحث وقابليتها للمقارنة مع الواقع .

ثانياً : الموضوعية وتجنب عوامل التحيز قدر الإمكان ، لأن التركيز على ما هو كائن ، وعلى ما يجب أن يكون في البحوث القيمية ، وترتبط بتفضيلات الباحث الذاتية .

ثالثاً : وضوح خطوات البحث بطريقة يمكن للآخرين اتباعها وتكرارها ، أي ما يسمح لباحثين آخرين باتباعها لمجارية نتائجهم وتحقيق الضبط لنتائج هذه البحوث ، وهو ما يفترض الموضوعية والوضوح والبساطة ، ووضوح خطوات البحث يثير اعتبارات أهمها:

- تحديد الخطوات التي يتعين على الباحث اتباعها ، ويلزم نفسه بها .
- انطلاق العملية البحثية وفق خطة محددة ، وتصميم واضح ، بحيث تبدأ العملية من نقطة بدء ، وقد تحددت زماناً ومكاناً وموضوعاً ، وعدم التوقف إلا بعد التوصل إلى النقطة التي يجد الباحث عندها الإجابة عن تساؤلاته ، وإثبات فروضه ، واختبارها ، والتوصل إلى نتائج مبنية على الواقع .

رابعاً : أن تكون نتائج البحث قابلة للتعميم على الحالات المماثلة ، وفي حال استخدام العينة يجب التزام الأسس التي تكفل التمثيل الصادق لمجتمع الدراسة .

خامساً : الالتزام بالدقة ، وأسس التفكير العلمي ، وقواعد المنهج ، ويفرض هذا بطبيعة الحال إفادة الباحث من التطور المنهجي في إطار الحقل الذي ينتمي إليه ، فلم يعد البحث السياسي قاصراً على الوصف أو إبراز جوانب شكلية أو سطحية ، ولا يمكن لباحث في القرن الحادي والعشرين أن يكتفي بالوصف والسرد والرصد ، أو أن يقنع بتسجيل ما حدث فقط ؟ فالبحث العلمي أضحى اليوم يتعمق في التحليل ويحاول التفسير والتنبؤ ، فضلاً عن محاولة استكشاف العلاقات والروابط والأسباب والمسببات .

٢٧ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧-٢٨ . ولمزيد من التفاصيل عن خصائص المعرفة العلمية وأسس التفكير العلمي ، انظر :

رشاد ، عبد الغفار ، أسس المنهج العلمي (القاهرة : جامعة القاهرة ، ١٩٩٦) ، ص ٢٥-٩ .

٢ . ٣ . البحوث السياسية والمنهج العلمي :

تلتزم العلوم السياسية بالمنهج العلمي ، ووجهة النظر العلمية كمبدأ عام ثابت ، ولا تختلف في ذلك الالتزام عن العلوم الطبيعية . ولكن رغم ذلك ، لا يمكن الإدعاء بأن علم السياسة ، أو العلم الاجتماعي عامة ، قد حقق القدر نفسه من الإنجاز والنجاح الذي حققه العلم الطبيعي .

قد يكون صحيحاً أن العلوم السياسية ، والاجتماعية عامة ، قد حققت تراكمات هائلة من الدراسات والبحوث والمعرفة العلمية ، ومن المناهج والأطر التحليلية المعترف بها والتي يمكن الاعتماد عليها ، لكن من غير المؤكد بأن المحصلة النهائية لما حققه علم السياسة والعلوم الاجتماعي عامة لا يعادل في حجمه أو في نوعيته ما حققه العلم الطبيعي .

- وفي الواقع ، هناك عقبات تواجه تطبيق المناهج العلمية في دراسة الظواهر السياسية ، أهمها: (٢٨)
- ١ . طبيعة السلوك السياسي وتغيراته ، وهو أكثر تعقيداً من السلوك الاجتماعي ، والذي يُعد ذا طبيعة مركبة وهلامية غير مستقرة .
 - ٢ . طبيعة الموقف الذي تجري ملاحظته ، بما في ذلك سلوك الأفراد ومفاهيم وتصورات هؤلاء الأفراد لوجودهم تحت الملاحظة .
 - ٣ . تحيزات الباحث المسبقة ، وأخلاقياته ، وقيمه ، وتعصبه لجماعة أو فكرة أو نسق قيمي أو عقدي معين ، وميوله كذلك ودوافعه الداخلية .
 - ٤ . عوامل سياسية أو مادية قد تقيد حرية البحث ، أو تجعل من البحث العلمي أداة للتستر على واقع معين ، أو للترويج لادعاءات معينة ، أو كسلاح في وجه جماعة أو قوى معينة دون مراعاة للوقائع أو الأحداث والمتغيرات الفعلية .

خصائص المنهج العلمي وتقدم العلم :

تمثل الطريقة العلمية أو المنهج العلمي أهم وسائل الإنسان لاكتشاف حقائق العالم المحيط بهذا الشأن ، وتتميز الطريقة العلمية بسمات من أهمها : التجريبية ، والانضباط ، والموضوعية ، والتصحيح الذاتي . فالطريقة العلمية تتسم بأنها منضبطة ومنظمة وتقوم على مجموعة إجراءات واضحة ومحددة تتوج بالوصول إلى النتائج ، بحيث يمكن لأي باحث أن يقوم باتباعها ، وصولاً إلى تلك النتائج . والطريقة العلمية أو المنهج العلمي Scientific Method تتميز بسمات أهمها مايلي :

- ١ . إنها منظمة ومنضبطة ولا تقنع بالمصادفة أو الأحداث التي تقع عرضاً .
- ٢ . تعتمد على إجراءات علمية موضوعية ، فالباحث العلمي عليه ألا يقنع بأرائه الذاتية أو يتمسك بنتائج لا تثبت صحتها من خلال الفحص العلمي والاستقصاء والاختبار .

٢٨ - د. عبد الغفار القصبي ، مصدر سابق ، ص ٢٨-٢٩ .

٣. وتتميز بالتصحيح الذاتي . فمن أهم صفات البحث العلمي اكتشاف أية نتائج غير صحيحة في الوقت الملائم ، والعمل على تلافي الخطأ بقدر ما يمكن في حدود قدرة الباحث كبشر . بتعبير آخر ، تصبح نتائج وإجراءات عرضة للتدقيق والمراجعة والتقويم من جانب الباحث نفسه ومن جانب زملائه أعضاء الجماعة العلمية في تخصصه .

كما أن الطريقة العلمية بطبيعتها لها طابع تجريبي على أساس أن العلم والبحث العلمي يحققان تقدماً باقتربهما من الواقع والحقيقة ، واكتشاف العلاقات الواقعية بين الظواهر ، وتوصيف هذه العلاقات وتصنيفها ، وهذا يفترض ، على الأقل ، ثلاثة عناصر أساسية تشمل :

أولاً : ملاحظة الواقع ، وما نفرسه من خبرة ونظرة ثاقبة ، والاختبارية والتجريبية ، لا تتحقق إلا من خلال تلك الخبرة المباشرة هذا من ناحية . ولا يتم طرح افتراض أو مسلمة والاحتفاظ بها دون أدلة واقعية تدعمها من ناحية ثانية ، بحيث يجري التأكد منها عن طريق الملاحظة ، وما تقدمه الملاحظة المباشرة والنظرة المدققة للباحث (الخبرة) من بيانات وبراهين تحمل تأكيداً قوياً لتلك الفروض أو المسلمات في إطار البحث العلمي . ومن ناحية ثالثة ، فإن الخبرة كنقطة بداية لأي عمل بحثي رصين ، والبيانات والأدلة المستندة إلى ملاحظة الواقع مباشرة ، تفترض تنظيمياً وتصنيفاً ، وقد تصل إلى مرحلة التحديد الكمي وهي مرحلة متقدمة ، وقد يتم فيها استخدام طرق القياس .

ثانياً : تجميع البيانات وتنظيمها وتصنيفها ، حيث تتراكم هذه البيانات إلى حدود بالغة الاتساع والتعقيد، ومن المفيد استدعاؤها بسهولة وبشكل ملائم يمكن فهمه .

ثالثاً : التحليل والتفسير ، وقد يعتمد على أساليب كمية متقدمة يمكن من خلالها تحليل الظواهر بمستويات أكثر دقة ، وتفسيرها وصياغة نتائج البحوث بطرق ملائمة .

الفصل الثالث

مفهوم المنهج العلمي ووظائفه

٣-١ - تعريف المنهج العلمي وأأسسه

٣-٢ - قواعد المنهج عند "ديكارت"

٣-٣ - وظائف المنهج

٣-٤ - تنوع أشكال البحث العلمي

يقصد بالمنهج Method طريقة البحث؛ أي الطريقة أو المسلك الذي يتخذه الباحث في المراحل المختلفة لعملية البحث ، لكن بعض التعريفات توسع مفهوم المنهج ليشمل القواعد والأسس العلمية في البحث ، ويخلط كثير من الباحثين بين المنهج ومفاهيم أخرى منها على سبيل المثال: أدوات البحث التي من خلالها يقوم الباحث بجمع بياناته.

وفق ذلك يعتبر المنهج هو أدوات البحث. ومنها كذلك الإطار النظري أو النظرية التي توجه الباحث وترشده.

وثمة من يفرق بين مصطلح المنهج Method ومصطلح علم المناهج Methodology ، فالمصطلح الأخير يشير إلى وصف المناهج المستخدمة وتحليلها ، ويلقي الضوء على مصادرها الفكرية، وإمكاناتها في التفسير والتنبؤ، وحدودها والقيود والصعوبات التي تواجهها ، ويوضح الفروض التي تبني عليها ، والتوقعات والنتائج المرتبطة بها، ومدى دقة المنهج ونجاحه في تحقيق أهداف البحث ، ويشير أيضاً إلى آلية جمع البيانات المستخدمة، وقد تقترح حلولاً بديلة لتلك المشكلات ، بإيجاز فإن علم المناهج يهدف إلى الفهم الشامل والوعى ليس لنتائج البحث وإنما لعملية البحث ذاتها (٢٩) .

وفي الاصطلاح ، يعرف المنهج من ناحية الموضوع بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الكشف عن حقيقة معينة . ويكون ذلك من خلال مجموعة من القواعد والوسائل التي يتبعها الباحث للوصول إلى هذه الحقيقة . ومن الناحية الشكلية ، فإن المنهج هو الإطار الذي توضع فيه البيانات والمعلومات والتي يتم تنظيمها والتعامل معها وفقاً لقواعد وإجراءات معينة (٣٠) .

ويعرف البعض المنهج بأنه " الطريق الذي يسلكه العقل والتفكير الإنساني من دراسة مشكلة أو موضوعاً ، في مجالات العلوم عموماً ، بقصد الوصول إلى الهدف المرسوم سواء تمثل ذلك في التعرف على المبادئ والقواعد التي تحكم الظواهر والقضايا العامة في إيجاد حل لما تفرزه تلك الأخيرة من مشكلات " (٣١) وبهذا المعنى يتصف المنهج بالعلم.

وعرف البعض العلم بأنه: المقدرة على التنبؤ والفهم ، ويقتضي المنهج العلمي ألا تقبل أي فكرة إلا إذا أيدها دليل مناسب . ويشترط في هذا الدليل أمران : الأول: يتمثل في قبول الدليل أو رفضه باعتباره

٢٩ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧ . وانظر أيضاً : نصار، جابر ، مصدر سابق ، ص ٢٨-٢٩ .

٣٠ - الماجد، د. حامد عبد ، مقدمة في منهجية ودراسة وطرق بحث الظواهر السياسية (القاهرة : جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠) ، ص ١٧ .

٣١ - سلامة، أحمد عبد الكريم ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية ، مصدر سابق ، ص

مناسباً أو غير مناسباً ، يقوم على نظرة موضوعية مبرأة من كل هوى خاص أو ميل شخصي. أما الثاني: فيتمثل بعدم قبول أي دليل يستند إلى قوة خفية أو أسطورية كانت أم دينية .

٣ . ١ . تعريف المنهج وأأسسه :

يعرّف الدكتور بدوي، محمد طه المنهج بأنه : " مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدماً لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها . أما المعرفة فهي تلك الإجراءات الذهنية حين تتجه إلى المادة المستهدفة. من هنا تنتمي مناهج المعرفة إلى " فلسفة العلم " والتي تُعنى بالقضايا العامة للمعرفة ، وبصرف النظر عن طبيعة المادة المستهدفة ، وإن كان اهتمام كل فرع من فروع المعرفة يتجه إلى دراسة وتناول إجراءات البحث وأدواته بالنسبة لمادته بالذات .

وتُعنى فلسفة العلوم بقضايا " علمية المعرفة " بالنسبة للعلوم جميعاً طبيعياً كانت أم اجتماعية ، فهو بمثابة الجذع المشترك أو علم العلوم ، وتكون المعرفة منظمة وعلمية كلما التزمت منهجاً من المناهج العلمية ، وتكون تبعاً لذلك معرفة منهجية .

ويعتبر ربيع، حامد ربيع المنهج بأنه: " أحد العناصر الأساسية للمعرفة العلمية التي يجب أن تتضمن إلى جانب المنهجية الذاتية تتضمن عنصرين هما :

١ . موضوع قابل للتحديد أو مشكلة بحثية .

٢ . أن تكون هذه المعرفة العلمية قد أمكن لها أن تشكل جسداً من الحقائق والمدرجات .

وبهذا المعنى، فالمنهج ما هو إلا طريق للإمساك بالظاهرة ، أو الاقتراب منها ، فالوصول إلى طبيعة الظاهرة إذن يفترض طريقاً محدداً هو المنهج . أما أداة البحث فهي بمثابة " وسيلة " الباحث للوصول إلى الحقيقة، وعليه يتسم المنهج بسمه أساسية هي: ثبات النتائج التي يتم الوصول إليها من خلال هذا المنهج ، وذلك بغض النظر عن شخص الباحث (٣٢) .

وهكذا يوضح المنهج طريقة البحث ، ويمنح الباحث مخططاً عاماً ليتمكنه حل مشكلة بحثه ، أو تحقيق هدفه ، وفق مجموعة من الأسس والقواعد والمقولات التي توجه نشاط الباحث وتحدد معالجته . ويمتاز المنهج بأنه يطبع البحث بطابعه ، وهذا ينعكس بوضوح على تقسيم البحث ، وطريقة المعالجة.

وهناك من يرى أن المنهج العلمي ليس مجموعة محددة من الخطوات أو الإجراءات فقط ، وليس مجرد جمع بين الاستنباط والاستقراء ، ذلك لأن العلم يتطور ، وكذلك فإن منهجه يتطور أيضاً .

٣ . ٢ . قواعد المنهج عند " ديكارت " :

٣٢ - انظر ربيع، حامد ، نظرية التحليل السياسي : نص محاضرات بقسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧١ ، ص ٢-١٥ .

هناك أربع قواعد للمنهج عند "ديكارت" ، وهي : اليقين ، والتحليل ، والتركيب ، والاستقراء . فاليقين لا يدخل الباحث في اعتباره إلا ما يتمثل أمام عقله جلياً دون شك ، ليتحرر من كل الأحكام المسبقة ، ومن كل ما لا يعبر عن واقع ملموس في حكم اليقين، وهذه القاعدة تربط المنهج والعلم بالواقع .

وفي التحليل ، يتم تفكيك الظاهرة إلى عناصرها الأولية ، أو القضايا المركبة أو المبهمة إلى قضايا أبسط ، وهذه القاعدة تجعل المنهج أداة لترتيب الأشياء وتنظيمها فضلاً عن تبسيطها^(٣٣). وتأتي بعد ذلك التركيب ، حيث تسير أفكار الباحث بنظام يبدأ من الأبسط والسهل في المعرفة إلى ما هو أكثر تركيباً ، وهذه القاعدة تجعل المنهج متدرجاً ، والانتقال خطوة ، وليس الوثبة الواحدة في العمل العلمي^(٣٤) .

التجريبية وضرورة الجمع بين الفكر والواقع :

تعني التجريبية الاحتكام إلى الواقع ، وهي تعتمد في الأساس على تحليل كمي ، لكن التجريبية في معناها الواسع، أنها تأخذ بالحسبان جوانب عديدة تتراوح بين نصوص دستورية ، ونصوص قانونية إلى وثائق تاريخية وسجلات أو إحصاءات رسمية . كذلك ، فهي وإن اعتمدت على الملاحظة أو المقابلة أو الاستبيان أو التجريب ، فهي تعتمد على كل ذلك وفق مفاهيم وفروض وأطر نظرية معينة تحدد لها المقصود بالنظام أو المؤسسة ، أو الدور أو الحياة السياسية ، وتوضح لها المعاني ، بل وترسم الطريق وتحدد الخطوات في عمليات جمع البيانات ومعالجتها وتحليلها . ومن ثم أهمية الجمع بين النظرية أو الفكر ، والواقع .

معنى التجريبية :

يتضمن البحث العلمي أن ندع الوقائع نتحدث عن نفسها ، والواقعة السياسية هي أقل صلابة ، فهي عرضة للتشويه أكثر من غيرها . هذا فضلاً عن صعوبات إضافية مصدرها :

١. علم السياسة كعلم يقوم على التحليل الكلي دون أن يلغي التحليل الجزئي .
٢. تعقيد الظاهرة السياسية وعدم استقلاليتها .
٣. مشكلات تتعلق بمناهج التجريب والتحليل المعملية وصعوبة تفسير المتغيرات السياسية^(٣٥) .

٣٣ - انظر : د. ودودة بدران (تحرير) ، اقترابات البحث في العلوم الاجتماعية (القاهرة : مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة ، ١٩٩٢) ، ص ٣٩-٤٦ .

٣٤ - يعني التحليل Analysis تفكيك الكل المركب إلى عناصره وأجزائه الأولية ، وتحليل الظاهرة السياسية يعني ليس فقط التفكيك بالمعنى السابق لمكونات الظاهرة أو عناصرها ، وإنما كذلك تصنيف هذه المكونات . ومن شأن التحليل توضيح جوهر الظاهرة ، وبنيتها ، وعناصرها الجوهرية ، وتمييزها عن العناصر الأقل أهمية ، أو الفرعية ، والوقوف على العلاقات التي تربط بين هذه العناصر والمكونات المخلفة للظاهرة .

٣٥ - د. حامد ربيع ، نظرية التحليل .

الحقائق والوقائع :

يرى البعض أن الحقيقة Fact ملاحظة مرتبطة بالواقع ، أو مواقف واقعية ، تحظى باتفاق عام ممكن تأكيده ، أو هي ما ثبت انطباقه على الواقع حيث تكرر إثبات صحته نتيجة تكرار التجربة والملاحظة . لا مجال للتشكيك في صحتها ، إنه يمكن التأكد من صحتها ، فضلاً عن أنه قد تم الوصول إليها بطرق ثابتة ؛ أي بطرق تعطي النتائج نفسها في الحالات كلها رغم اختلاف القائمين عليها . وقد أضيفت هذه " الحقائق والوقائع " كصفة للعلم ليكون " علماً تجريبياً " أي قائم على الحقائق والوقائع .

ورغم ذلك ، يؤكد علماء آخرون أن الحقيقة العلمية ليست هي الواقع Reality بل ليست ثمة حقيقة علمية نهائية ، أي إنها نتاج جهود العلماء ، وتراكم هذه الجهود ، وتظل الحقيقة العلمية تدور في إطار ما يدركه العلماء ، ويقررونه عن الواقع .

والمنهج العلمي ذاته ليس مجرد تسجيل محايد للملاحظة والمشاهدات والوقائع ، إنما تحكمه قوانين ونظريات وأطر يبتكرها الباحث ، أو ينقلها عن علماء آخرين ، وهو في هذا ينتقي ويدرك ويعالج من خلال عقله ، فالعالم لا يمكنه فهم الظواهر المحيطة به إلا من خلال عقله ، مما يمكنه من أن يعزو إلى الأحداث والظواهر معنى ودلالة .

وعليه ، فالحقيقة العلمية ليست تسجيلاً سلبياً محايداً للوقائع ، بل هي دائماً ما يبذله العالم من جهة ، ويضيفه عليها من انتقاء ، وإدراك ، وإبداع ، ويجعلها قابلة للقياس من جهة أخرى . وبهذا الصدد ، يشير د. ربيع، حامد إلى أربع طرائق لحياض العالم تشمل :

١. تعدد الباحثين ، أو إجراء البحث من خلال فريق عمل .
٢. الإكثار من استخدام المقارنة ، والتاريخ ، كأداة حاسمة لضبط النتائج .
٣. وضع قواعد محددة يلتزم بها الباحثون تسمح بالحياد وعدم التحيز قبل جمع البيانات .
٤. المناخ السياسي العام وملاءمته للحياد ، فضلاً عن إيمان الباحث (٣٦) .

والحقائق والوقائع لا قيمة لها في ذاتها ، ومن العبث أن تجمع بيانات عنها أو ملاحظتها ، إن لم يكن ثمة مشكلة يحددها الباحث ، وإطار نظري ، فالوقائع لا نهاية لها ، ولا تحدد إلا من خلال جهد الباحث ، وتحديد الوقائع وانتقائها - أو ما يمكن تسميته تكوين الوقائع العلمية - ليس سوى المفاضلة بين الوقائع على أساس ما تقدمه من إمكانات لتحقيق أهداف المنهج العلمي ووظائفه ، وتحقيق غايات العالم أو الباحث .

٣ . ٣ . وظائف المنهج :

٣٦ - المرجع السابق نفسه ، ص ٧٨ .

يتفق عدد من العلماء حول مجموع الوظائف التي يؤديها المنهج العلمي ، وإن اختلفوا في تحديد الأهمية النسبية لكل منها ، والأولية أو الفاعلية التي تمنح لأي منها قبل الأخرى ، رغم ذلك ، يمكن القول بوجود ثلاث وظائف متكاملة ومتراصة فيما بينها ، لا يمكن الوقوف عند واحدة منها دون الأخريات . وتشمل هذه الوظائف على الأقل ما يلي : (٣٧)

١. الوصف Description

٢. التفسير العلمي Scientific Explanation

٣. التنبؤ Prediction

وهناك من يجعل وظيفة المنهج الأولية إيجاد لغة علمية وتطويرها ، ويتم ترسيخها وإسباغ طابع مؤسسي عليها . وتتكون هذه اللغة من رموز ومفردات ومصطلحات يتداولها العلماء ، وتستخدم في الاتصال بين أعضاء الجماعة العلمية ، كذلك توضيح وترسيخ مجموعة من القواعد التي يستخدمها العقل ، والإجراءات والطرائق التي تستخدم للملاحظة ، والتأكد من صحة النتائج .

١- الوصف . يعد الوصف مهمة المنهج العلمي الأساسية ، ونعني بالوصف رصد ما هو قائم وتسجيله، أو بعبارة أخرى، إن الوصف إجابة عن السؤال : " ماذا هنا " ؟ ويتضمن عادة عدة عمليات أو مستويات كالتصنيف Classification : والتسلسل Seriation ، والارتباط Correlation .

ويقصد بالتصنيف أن خصائص الظاهرة يمكن النظر إليها من خلال روابط ثابتة نسبياً، تربط هذه الخصائص أو الصفات ، فالمجتمعات البشرية مثلاً يمكن وصفها من خلال عدد من السمات والخصائص أو الصفات ، وبحيث يمكن تصنيف هذه الصفات في مجموعتين أو ثلاث . فتصنف مثلاً إلى مجموعات نامية وأخرى متقدمة ، أو زراعية وصناعية ، أو تصنف إلى مجتمعات تقليدية وانتقالية وحديثة ، وذلك على اعتبار أن كل مجموعة تحمل عدداً من الصفات المترابطة معاً ، تتعلق بالأبعاد الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية ... وهكذا .

بينما التسلسل فهو يحمل نوعاً من الترتيب ، بمعنى أن الخصائص أو الصفات المشتركة قد توجد في شكل درجات ، أو مراحل يمكن ترتيبها على خط متصل Continuum ، وهكذا يمكن تحديد ثلاث مراحل أو درجات لتطور المجتمعات البشرية مرحلة تقليدية يليها المرحلة الانتقالية ، ثم المرحلة الحديثة ، أو مرحلتين فقط : زراعية وصناعية وهكذا .

أما الارتباط فهو يشير إلى اقتران صفتين أو أكثر ، الواحدة بالأخرى ، زيادة أو نقصاناً ، وجوداً أو عدماً ، وقد يعرف مثل هذا الاقتران بالتلازم في التغير ، على سبيل المثال إن التغير في سمات التحضر

٣٧ - د. عبد الغفار القصبي ، مصدر سابق ، ص ٤١-٤٤ .

في المجتمع التقليدي قد تلازمها زيادة في مستويات التعليم - بمعنى زيادة نسبة سكان المدن تواكبها زيادة في نسبة المتعلمين دائماً - ، وكذلك قد تتربط معاً سمات كالتحضر والتعليم وعمليات الاتصال والاهتمام السياسي ، والقدرة على توقع أنماط أخرى للحياة في سبيل تحوّل المجتمع من مرحلة تقليدية إلى مرحلة انتقالية أو حديثة ... إلخ .

ترتبط وظيفة الوصف للمنهج بوظائف التفسير والتنبؤ ، وتتكامل معها ، بحيث تؤدي إلى تراكم علمي مع التصحيح والتصويب الذي يعد غاية العلماء في مشروعهم العلمي . أما الوقوف عند الوصف وحده ، فإنه لا يكفي ، إنه يصبح أقرب إلى مجرد التسجيل ، أو الجرد وإمساك الدفاتر ، أو نوعاً من أعمال تقدمها الفهارس والقواميس أو الأطالس ، وعلى أقصى تقدير نوعاً من عمل المؤرخ الذي يكتفي برصد ما يحدث ويسجله ، أو يربطه بما سبق من الأحداث .

ومن هنا ، فإن البناء العلمي لا يقنع بمجرد الوصف ، بل يعتمد على الوظائف الأخرى جنباً إلى جنب مع الوصف . فالوصف يستلزم التعميم ، أي يتجاوز الزمان والمكان ، بمعنى التعميم سواء في الماضي أو المستقبل ، أو في أي مكان في العالم . والمنهج العلمي يدفع العالم إلى أن يشاهد ويلاحظ ويرصد ويسجل ، لكنه يتعدى ذلك إلى تفسير موضوعات وصفه ، وصولاً إلى التنبؤ ، بل وأحياناً إلى إمكانية التحكم في الظاهرة .

٢- التفسير . وهو الوظيفة الثانية للمنهج ، ويعتبرها الكثيرون الأكثر أهمية ، وعمقاً ، لأن التفسير يتضمن التفسير إجابة عن تساؤلات من قبيل : كيف يحدث ؟ ولماذا ؟ والتساؤل الأخير يلخص قضية العلاقة بين الوقائع والمتغيرات ، وهي الحافز الأصلي لإثارة الكثير من المشكلات البحثية ، حيث يكون الهدف عادة الوقوف على الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الأحداث ، أو على الشروط والظروف التي من الممكن أن تعين وقوع الأحداث ، هو ما يعرف بالعلية أو علاقة العلة بالمعلول .

والتفسير يجب أن يصاحب الوصف ، لكنه يتميز عن الوصف باعتماده على المزيد من التجريد . ويحمل في ثناياه استناد الباحث إلى فروض ، ومعالجة عقلية لا تخضع للملاحظة والتجريب المباشر ، كما هو الحال بالنسبة للوصف . فالفروض تدفع بالبحث إلى الأمام ، لكنها تستند إلى قدر من الاستدلال المنطقي ومعالجة عقلية أكثر عمقاً . وإننا نستدل عليها وإن لم نلاحظها ملاحظة مباشرة فإذا ما تحققت من خلال : (١) الاستدلال والمنطق و(٢) التجربة معاً ، فإنها تصبح أكثر احتمالاً .

والتفسير على هذا الأساس ، قد يستند إلى خبرات الماضي ، انطلاقاً لفهم الحاضر والمستقبل ، لكن المعرفة المستمدة من الماضي يجب أن تخضع للتصحيح والتصويب من خلال التفسير ذاته ، لكنه تفسير

يخضع للاختبار والتجربة ، وليس مجرد العقل والمنطق فحسب ، بما يكفل للمعرفة العلمية بناءً تراكم علمي متجدد ومتطور لا يعرف الكلل أو الخلود إلى الراحة .

٣- التنبؤ . وهو الوظيفة الثالثة للمنهج العلمي إلى جانب الوصف والتفسير ، إلا أن التنبؤ يعتبر النتاج الأخير للوصف والتفسير ، وهناك من يعتبر التنبؤ ذاته أحد صور التفسير ، وثمة من يؤكد أن الهدف النهائي للتفكير العلمي والمنهج العلمي يتجاوز الوصف والتفسير إلى إقامة تنبؤات صحيحة للأحداث ، وهكذا يتم ضم الوصف والتفسير وكافة وظائف العلم إلى وظيفة محورية هي " التنبؤ " وحده ؛ والتي تيسر التحكم في الظواهر .

٣ . ٤ . تنوع أشكال البحث العلمي :

يمكن القول ، إن البحث العلمي ليس مجرد قراءة المصادر الخاصة بموضوع ، أو بمشكلة بحثية ، وليس مجرد تجميع عشوائي للبيانات والمعلومات ، وإنما هو البحث نشاط علمي لاكتشاف الحقائق ، اعتماداً على الطريقة العلمية ؛ التي تفرض الموضوعية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق سعياً إلى استخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية .

وتعتمد الطريقة العلمية التي يفرضها البحث العلمي أساساً على الاستقصاء النقدي والتحليلي ، بحيث ووفق هذه الطريقة يتم تحديد المشكلات البحثية ، وفرض الفروض ، وجمع المعلومات وتنظيمها وتحليلها ، واستخلاص النتائج ، والتأكد من مدى ملاءمة الفروض في ضوء ذلك ، واقتراح البدائل أو الحلول الممكنة .

ومثل هذه الطريقة تتم في صورة تحقق شروط الحياد والموضوعية ، وهي لا تكتفي عادة بمجرد الوصف والتحليل والتشخيص ، بالرغم من أهمية الوصف كمتطلب أساسي في البحث العلمي ، إلا أنه لا يمكن أن يكون غاية في حد ذاته ، بل أنه يمثل خطوة في سبيل التحليل والتفسير وطرح التساؤلات . أي أنها تفرض خطوات يقوم عليها البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى جمع الوقائع والبيانات المتصلة بها ، واختيار البدائل والحلول الممكنة ، وتقييم البدائل الأكثر ملاءمة لمعالجة المشكلة المطروحة للبحث (٣٨) .

تقوم الطريقة العلمية على ثلاثة أسس ، أولها : التسليم بأن الحقيقة يمكن اكتشافها من خلال ملاحظة الواقع وإمكانية إرجاع الظواهر إلى أسبابها ؛ وثانيها : أن النتائج لا يمكن التسليم بها إلا إذا توافرت الشواهد والأدلة الواقعية على صحتها ، وذلك ليس فقط من خلال ملاحظة الوقائع ، بل أيضاً محاولة اكتشاف العلاقات التي تربط بين الوقائع للوصول إلى نتائج عامة . والانتقال من الخصوصيات

٣٨ - المصدر السابق نفسه ، ص ٤٢-٤٤ .

إلى القضايا العامة هو جوهر الطريقة الاستقرائية التي أضحت أساس المنهج العلمي . وثالثها : الاستعانة بالتجريب ، وهو ببساطة ملاحظة مقننة ، تهدف إلى التحقق من صحة الفروض الأولية . ولقد أصبح المنهج التجريبي يقوم أساساً على : الملاحظة ، وإجراء المقارنات ، ثم استخلاص النتائج .

وفيما يتعلق بأشكال البحث العلمي ، فيمكن الإشارة إلى أنه يجري التمييز بين أشكال عدة للبحث العلمي ، فيمكن الإشارة إلى أنه يجري التمييز بين أشكال عدة للبحث العلمي ، وذلك وفق معايير مختلفة ، منها : هدف البحث ، أو المعيار الزمني ، أو طريقة النشر .

ووفق معيار هدف البحث ، يمكن التمييز بين ثلاثة أشكال من البحوث العلمية ، وهي : (٣٩)
الشكل الأول : بحوث تسعى للكشف عن الحقائق ، وتتركز أنواع البحوث الميدانية في هذه الفئة ؛ كالاستبيانات والمسوح المختلفة، والتي يتم رصد وتنظيم نتائجها وتحليلها بهدف الوصف والتشخيص، وتحقيق التراكم العلمي ، فضلاً عن فائدتها العلمية في رسم الحلول لمشكلات المجتمع وتحقيق أهداف الأمة .

والشكل الثاني : لا يتضمن هذا الشكل بحثاً تعتمد على جمع بيانات ميدانية يقوم بها الباحث بنفسه ، أو من خلال فريق بحثه ، وإنما يتضمن بحثاً تسعى إلى تحليل بيانات ونتائج دراسات سابقة ومنشورة وتحليلها . مثال ذلك ، توافر بيانات تؤكد ارتفاع معدلات أعمال العنف وعدم الاستقرار في نظام سياسي معين ، وفق أرقام منشورة ، فيقوم البحث بتحليل هذه البيانات وتفسيرها ، ومحاولة الوصول إلى نتائج محددة . ومثال آخر : حول المرشحين المستقلين في انتخابات مجلس الشعب السوري ، حيث تؤكد الأرقام المنشورة ارتفاع نسبة هؤلاء بشكل متزايد في فترة حكم الرئيس بشار الأسد ، وهو ما قد يثير اهتمام بعض الباحثين ، ممن يقومون بدراسة هذه البيانات وتحليلها ومحاولة تقديم تفسيرات لها .

أما الشكل الثالث فهو : بحوث التنظير ، أو ما يعرف أحياناً بالبحوث الأساسية تمييزاً لها عن البحوث التطبيقية. وهدف هذه البحوث الربط بين الوقائع في صورة تمكن الباحث من صياغة قضايا نظرية مجردة قادرة على التفسير ، وربما التنبؤ . ويطلق على مثل هذه الصياغات مصطلح القانون العلمي ، ومثل هذه البحوث النظرية ذات أهمية في تطور حالة العلم ، وإن كانت تواجه صعوبات لا تخفى على الباحثين والعلماء . رغم ذلك ، فالنظرية دائماً ، وإلى جانب كونها الأداة التي تحقق أهداف العلم ، فإنها قد تصبح غاية في حد ذاتها ومطمحاً يسعى الباحث الجاد إلى تحقيقه .

ومما سبق يتبين أهمية التمييز بين :

- بحوث أساسية وبحوث تطبيقية ، وتهدف البحوث الأساسية إلى " العلم من أجل العلم " ، بينما تهدف البحوث التطبيقية إلى توفير المعرفة من أجل حل مشكلات الحياة السياسية . وكلا النوعين قد يخدم أحدهما الآخر ، فالبحوث الأساسية قد تلقي الضوء على مشكلات واقعية ، كما أن البحث التطبيقي قد يعتمد في صياغة فرض من الفروض على نتائج البحوث الأساسية.
- بحوث وصفية وأخرى تحليلية (تفسيرية) ، والتمييز هنا يكون وفق طبيعة البحث وأهدافه وإطاره النظري .
- بحوث ميدانية وأخرى لا تعتمد على التجربة أو الاستبيان .

وفضلاً عن ذلك ، تشير بعض الكتابات إلى التمييز بين البحوث الكمية والبحوث الكيفية ، أو التقليدية والحديثة . إلا أن الاهتمام بالبحوث السياسية قبل الحرب العالمية الثانية اعتبر في إطار المناهج التقليدية ؛ وهي ذات طابع كفي واضح يركز على جوانب وصفية وشكلية ، ولم يتطور إلى الطابع الكمي إلا مع إدخال المنهج السلوكي ، واستخدام أساليب إحصائية ورياضية في البحوث السياسية والاجتماعية .

أما وفق المعيار الزمني ، فهناك من يميز بين نوعين من البحوث أو الدراسات ، وهما :

(١) دراسات طولية Longitudinal . وتتناول هذه الدراسات فترات زمنية ممتدة ، قد تأخذ شكل مراحل كالدراسات التاريخية ، ودراسات التنمية بمراحلها ونماذجها المتتالية ، أو دراسة السلاسل الزمنية التي تتكون من قرون أو عقود أو سنوات أو حتى شهور وأيام .

(٢) دراسات عرضية Gross-Sectional . وتقوم هذه الدراسات على أساس من المعلومات في لحظة زمنية واحدة ، وقد تأخذ شكل دراسات عن طريق الملاحظة أو استطلاعات الرأي وغيرها .

وهناك معيار آخر للتمييز بين أنواع البحوث وهو طريقة النشر ، حيث يمكن ، وفق هذا المعيار ، أن نميز بين الكتب والدراسات والمقالات والرسائل العلمية ، والأخيرة يقوم بإعدادها طلبة الماجستير والدكتوراه^(٤٠) ، وهي تمثل لهم تدريباً على البحث العلمي ، وعلى خطوات ومكونات وإجراءات هذا البحث ، والتعود على أسلوب التفكير العلمي وأأسسه ومتطلباته .

أما الكتب فقد كانت في السابق وسيلة لنشر البحوث ؛ التي كانت تجري لفترات ممتدة في موضوع واحد ، حيث يجري تجميعها في كتاب ، و ذلك في وقت لم تتوافر فيه الدوريات العلمية . لكن مع انتشار الدوريات العلمية المتخصصة ، و مع تحديد حجم و موضوع و أهداف البحث العلمي ، أصبحت

٤٠ - تخضع رسائل الماجستير والدكتوراه بشروط ومواصفات خاصة لا تخضع لها الكتب أو المقالات وذلك من حيث أسلوب الكتابة والتوثيق وغيرها من الشروط الأكاديمية . وتعرف الرسائل العلمية للحصول على الدكتوراه باسم Dissertation وللحصول على الماجستير والدكتوراه باسم Thesis .

الدوريات هي الوسيلة الأساسية لنشر العدد الأكبر من البحوث العلمية ، خصوصاً في عدد من المجالات المتخصصة .

وتستخدم معظم الكتب اليوم كوسيلة لنشر المعارف و المعلومات بعد تجميعها ، في إطار موضوع محدد ، فهي تلعب دوراً بالغ الأهمية في عصر تراكمت فيه المعارف و المعلومات بمعدلات غير مسبقة ، و من أنواع الكتب :

١. كتب دراسية و كتب مرجعية Text books & Reference Books الأولى تلائم هدف التدريس ، و الثانية يرجع إليها الباحثون و الطلاب للاستفادة منها ، و هي كتب موثقة المصادر .

٢. كتب الدليل والكتب السنوية Handbook & Yearbook الأول يُعد مرجعاً وقد يكون كتيباً صغيراً يرشد لموضوعات تتناولها، وقد يكون مجلداً كبيراً ومرجعاً مهماً . أما الكتب السنوية فتصدرها جهة ما كل عام ، وقد يخصص كل عدد لتغطية موضوع معين .

٣. الأطلس والقاموس Atlas & Dictionary الأول يتضمن خرائط ، وقد يتضمن الأطلس مجرد أشكال وصوراً توضيحية . أما القاموس فيتناول بالترجمة والشرح معاني الكلمات ، وقد يكون عاماً أو متخصصاً في حقل معين .

الفصل الرابع

عناصر المنهج العلمي

٤-١ - الملاحظة العلمية

٤-٢ - المفاهيم

٤-٣ - الفروض

٤-٤ - النظرية

إن القول بأن المنهج العلمي يقوم على استقراء الوقائع لا يعني مجرد وقوف الباحث على مستوى الوقائع ، وأن يظل مستغرقاً فيها ، كما لا يعني أن يدرس كل الوقائع والظواهر ؛ التي يتجاوز عددها إمكانات الحصر . وإنما عليه تحديد تلك الوقائع التي يسعى إلى تفسيرها ومعالجتها وطرح الفروض بشأنها ، وفق أطر نظرية تحدد له هذه الوقائع وتيسر له تفسيرها ، واستنتاج النتائج واختبارها (٤١) . وعليه ، إن أهم العناصر الأساسية للمنهج العلمي تشمل الملاحظة العلمية ، والمفاهيم ، والفروض ، والأطر النظرية أو النظريات . وبناءً عليه، يمكننا أن نميز العناصر الأساسية للمنهج العلمي وهي: الملاحظة العلمية، والمفاهيم، و.....

٤ . ١ . الملاحظة العلمية :

تعد الملاحظة العلمية القاعدة الأساسية للعلم بعد أن أصبح الاستقراء أساس العلم الحديث ، فهي المصدر الأساسي للحصول على البيانات ، كما أنها أداة الباحث لضبط النتائج والتحقق من صحة الفروض . وتتراوح مستويات الملاحظة بين : الملاحظة البسيطة أو العابرة ، والملاحظة الدقيقة التي تستخدم فيها الأدوات والأجهزة ووسائل التسجيل المختلفة .

وفي الواقع ، تلعب خبرة الباحث ومهاراته دوراً كبيراً في اختيار الوقائع التي تجري ملاحظتها واستخدام الأدوات المختلفة وتوجيه فريق البحث ، وفي إجراءات الملاحظة وخطوطها وتسجيل البيانات وتصنيفها أولاً بأول بشكل منتظم ودقيق ييسر الفهم والتفسير والضبط الذي يميز البحث العلمي.

وتجدر الإشارة إلى أنه، لا توجد ملاحظة تجريبية محضة أي خالية من أي عنصر فكري ، فالإنسان ذاته يحتاج إلى خبرة ونظرية ، وذلك لكي يقوم بدوره على وجه صحيح في عملية الملاحظة وفق النموذج الاستقرائي / الاستنباطي (٤٢) .

٤١ - د. عبد الغفار رشاد محمد ، أسس المنهج العلمي : أدوات ومناهج البحث السياسي ، مصدر سابق ، ص ١٣ .

٤٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٤ .

٤ . ٢ . المفاهيم Concepts :

تعد المفاهيم رموزاً نعبر بها عن أفكار أو ظواهر تجمعها خصائص مشتركة وليست هي الظواهر ذاتها . فالمفاهيم هي: "التصورات والتجريدات لأوصاف هذه الظواهر" . لأن المفهوم فكرة أو تجريد أو صورة ذهنية تتمثل بها شتى حالات الظاهرة ، وخواصها الرئيسية المشتركة ^(١) .

ونتيجة لأهمية المفاهيم في البحث العلمي ، فإن الجماعة العلمية في إطار كل علم تحرص على الاتفاق على مفاهيم أساسية يجري تحديدها كمفهوم النخبة في علم الاجتماع أو منهج القوة في علم السياسة . فالمفهوم الأخير يجعله علماء السياسة التجريبيون المعاصرون منطلقاً للدراسات السياسية قاطبة وشتى البحوث التي تتناول الظواهر السياسية ^(٢) .

وإذا كان المفهوم تعبيراً موجزاً يدل على ظاهرة ما ، فإن التعريف Definition هو: المناظر المعادل للمفهوم ، ولكنه يتميز بخاصية الشرح والتحليل للظاهرة لجعلها أكثر قابلية للفهم ، ويوجد بين المفهوم والتعريف أصل مشترك هو المتغير الواقعي ، أو التصور النظري الذي يشكل إطاراً مرجعياً لكليهما .

وثمة طريقتين لتعريف أي مفهوم سياسي، هما: طريقة نظرية اسمية وأخرى إجرائية عملية، يمكننا تناولهما كما يلي : ^(٣)

الأولى : التعريفات النظرية الاسمية Theoretical Definition

تعني تقديم عناصر مجردة للمفهوم يصعب إخضاعها للملاحظة وللقياس ، وللباحث حرية اختيار أي تعريف نظري خاص به ، سواء سبق أن قال به دارس آخر أم لا ، ويلاحظ أن الكتابات السياسية تعاني فوضى مفاهيمية ، هي في أحد جوانبها تعبير عن تعدد التعريفات النظرية للمفاهيم السياسية ، إذ إن أي مفهوم له عشرات التعاريف المتباينة والمتناقضة . ولأمر أسبابه ، حيث لا ينفصل تعريف المفهوم عن قيم صاحبه ؛ التي تختلف من دارس لآخر ، كما يفرض الاختلاف الإيديولوجي اختلافاً في تعريفات المفاهيم . فمثلاً نجد أن دلالة المصطلحات السياسية في بلدان العالم النامي تختلف عن دلالتها في الدول الغربية ، كما أنها تتغير بمرور الوقت ، فمفهوم الاستعمار حالياً له معاني تختلف عن معانيه في أوائل القرن

٤٣ - د. حامد عبد الماجد ، مقدمة منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية (القاهرة : جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠) ، ص ١٢٩-١٣٠ .

٤٤ - د. عبد الغفار رشاد محمد أسس المنهج العلمي ... ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

٤٥ - د. حامد عبد الماجد ، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية ، مصدر سابق ص ١٣٠-١٣٢ .

العشرين ، كما تختلف المفاهيم باختلاف المرجعية الحضارية للأمم والشعوب ، فعلى سبيل المثال : مفهوم اليمين واليسار السياسي في الرؤية الغربية مقارنة بالرؤية الإسلامية (١) .

ومع أن ظاهرة الكثرة والتنوع في التعريفات يراها البعض مؤشراً على حيوية علم السياسة، إلا أنها مدعاة لخلق الاضطراب واللبس في أذهان بعض الباحثين، ولتلافي هذا التداعي من الاضطراب واللبس، فإنه يمكننا تقليص من خلال مراعاة من شأنهما ضمان جودة التعريفات النظرية، ومنها:

- ١- أن تكون التعريفات جامعة لخصائص أو سمات الظاهرة أو الواقعة السياسية التي نقوم بتعريفها.
- ٢- أن تكون التعريفات مانعة بحيث تمنع اشتراك أو دخول ظاهرة أو واقعة سياسية معينة في إطار هذه التعريفات ، ويتأتى ذلك حين تكون التعريفات محددة جيداً ، وقاطعة الدلالة في الإشارة إلى الشيء أو إلى مجموعة الأشياء التي وضعت لتعريفها .
- ٣- ألا تعرف الظاهرة أو الواقعة السياسية بجزء منها ، تمثلاً تعرف الظاهرة الديمقراطية بأنها المشاركة السياسية ، ولا تعرف هذه الأخيرة بأنها العملية الانتخابية ، ولا تعرف تلك بأنها اتجاهات التصويت .
- ٤- لا تعرف الظاهرة أو الواقعة السياسية بمصطلحات سلبية ، لأنها بذلك لا تقدم تعريفاً حقيقياً ، كأن تعرف الديمقراطية بأنها ليست الاستبدادية أو التسلطية أو ليست حكم الفرد أو حكم القلة .
- ٥- لا تعرف الظاهرة أو الواقعة السياسية بمصطلحات عامة غير محددة ، أو بمصطلحات صعبة أو معقدة تحتاج بدورها إلى تعريف جديد ، لأن الغرض من التعريف هو المزيد من الإيضاح والإفصاح والإبانة .

الثانية : التعريفات الإجرائية Operational Definition :

لأن التعريفات الإجرائية هي التي يضعها الباحث للمفاهيم بحيث لا يبقى فيها أي غموض أو ابتعاد عن المقصود منها، أي أنه يقصد بالتعريفات الإجرائية تحويل المفاهيم إلى مؤشرات [يمكن ملاحظتها وقياسها] . ولما كان تحرّي الدقة في المفاهيم شرطاً أساسياً للدراسة العلمية الجادة ينصح الباحثون بتعريفها إجرائياً. وبهذا التحويل للمؤشرات يراعي الباحث في المفاهيم السياسية الشروط التالية:

٤٦ - لمزيد من التفاصيل حول هذه الجوانب ، انظر :

Federich Frey, Cross-Cultural Survey Research in Political Science , in: Robert Holt and John Turner (ed.), The Methodology of Comparative Research (New York : The Free Press , ١٩٧٠) , pp.٢٦-٣١.

١ - التأكد من كفاية المؤشرات :

بمعنى تغطيتها للجوانب الرئيسية للمفهوم ، وليست العبرة هنا بالعدد المطلق من المؤشرات، وإنما بمدى شمولها الفعلي لكافة جوانب المفهوم، فلو عرّف الباحث "الحزب السياسي"، فإنه يختار له المؤشرات الكافية التالية :

- ✓ مجموعة من الأفراد أو المواطنين .
 - ✓ الالتقاء أو الاجتماع على تحقيق مجموعة أهداف أو مصالح معينة قد تترجم في برنامج أو مجموعة من الأهداف المعلنة .
 - ✓ إقامة إطار أو شكل تنظيمي معين بمستوياته المختلفة .
 - ✓ السعي للحصول على المشروعية عبر الإعلام بقيام الحزب ، أو الحصول على رخصة بقيامه في إطار بعض الأنظمة السياسية التي تشترط ذلك الإجراء .
 - ✓ إعلان وممارسة العمل السياسي السلمي عبر دخول العملية الانتخابية .
 - ✓ السعي للوصول للسلطة سلمياً من خلال العملية الانتخابية .
- هذه المؤشرات يجمع بعضها بين الحزب السياسي وأي مؤسسة أو تنظيم آخر إداري أو ما شابه ذلك ، وبعضها يجمع بينه وبين جماعة الضغط والمصلحة ... لكنها جميعاً لا يمكن أن تشير إلا للحزب السياسي .

٢ - التأكد من صدق المؤشرات Validity :

أي تمثيل المؤشرات وتعبيرها بحق عن المفهوم المعنى ، وفي قول آخر، يعني الصدق: أن المؤشرات تقيس فعلاً ما يعتقد الباحث أنه يقيسه . فلو عرّف الباحث الديمقراطية إجرائياً. بأنها: نظام حكم يقوم على التنافس ، لكان عليه أن يختار مثلاً المؤشرات التالية : مرات تداول السلطة فعلياً ، والانتخابات الدورية ، ووجود حزبين على الأقل . وللتيقن من صدق المؤشرات توجد طريقتان :

(أ) الصدق الداخلي Internal .

ويعتمد على التقدير الذاتي أو الشخصي للباحث الذي يقرر ما إذا كانت المؤشرات منطقية ومعبرة فعلاً عن المفهوم .

(ب) الصدق الخارجي أو التنبؤي External or Face Validity .

أي التحقق مما إذا كانت العلاقة بين مؤشر متغير ما ومتغير آخر لها طبيعة العلاقة ذاتها بين المتغيرين واتجاهها . فعلى سبيل المثال ، لو افترض الباحث أن الوطنية ترتبط دائماً بالتصويت في الانتخابات ، أمكنه أن يتحقق مما إذا كان القائلون بأداء الخدمة العسكرية (

مؤشر الوطنية) يصوتون دائماً أم لا . وبشكل عام، إذا كان المتغير (أ) يرتبط بالمتغير (ب) ، فإن المؤشر (أ) (الذي يدل على وجود "أ") يجب أن يرتبط بالمتغير (ب) .

٣- التأكد من أن المؤشرات الموضوعية للمتغير المستقل مختلفة عن المتغير التابع :

إذ لا يصح منهجياً قياس المتغيرين بالمؤشرات ذاتها . فلو أراد الباحث مثلاً اختبار الفرض القائل بأن التعليم " يؤدي إلى اكتساب المعرفة " ، عليه ألا يجعل المعرفة مؤشراً للتعليم ، إذ لو فعل ذلك فكله يقول : " تؤدي المعرفة إلى اكتساب المعرفة " ، وهذا لا يجوز بداهة ومنطقاً .

٤- التأكد من ثبات المؤشرات Reliability :

بمعنى أن المؤشرات تعطي النتائج نفسها تقريباً إذا أجريت الدراسة أكثر من مرة . هب أننا نريد مثلاً قياس مستوى المشاركة السياسية لدى عينة من مجتمع انتخابي ما ، واخترنا التصويت في الانتخابات مؤشراً لها ، ثم سألناهم عما إذا كانوا يصوتون في (كل) الانتخابات ، فقال بعضهم "نعم" وقال البعض الآخر "لا" وللتأكد من ثبات هذا المؤشر (التصويت في الانتخابات) نعيد سؤالهم ، فإذا حصلنا على نفس النتيجة ، بمعنى أن الذين قالوا : نعم والذين قالوا : لا في المرة الأولى فعلوا كذلك في المرة الثانية ، كان هذا دليلاً على ثبات المؤشر، أما إذا تضاربت النتائج ، فإن الشك يثور في سلامة المؤشر ودقته .

وبصفة عامة ، تلعب المفاهيم دوراً محورياً في تطور العلم ، وكلما تقدمت صياغة المفاهيم في العلم وتمكن الباحثين من تطوير تصورات جديدة كان ذلك مؤشراً قوياً على تقدم المعرفة العلمية وعلى قدرة العلم للتصدي للعديد من المشكلات وحلها ، والقدرة على التحكم في القطاعات المحددة في الواقع والتي يختص هذا العلم بدراستها .

إذن لكل علم مصطلحاته ومفرداته العلمية ومفاهيمه التي يتداولها العلماء والباحثون في هذا العلم ، أي يعنى على الباحثين استخدام هذه المفردات للإشارة إلى الوقائع التي يقومون بدراستها . فالمفاهيم ليست إلا تجريدات أو بناءات منطقية - وتمثل هذه البناءات الوحدات الأساسية في تكوين النظريات العلمية - وتختلف المفاهيم في درجة التجريد التي تمثلها ، فهناك مفاهيم أقرب ما تكون إلى الواقع وإلى الأحداث والأشياء المادية (كالأقلية ، أو الارستقراطية ، والإضرابات، أو الثورة ...) ومفاهيم أخرى تعتبر استنتاجات على درجة أعلى من التجريد (مثل الديمقراطية ، والاستقرار ، أو المكانة ...) ، وثمة مفاهيم تسير إلى العلاقات بين الأشياء أو الأحداث والوقائع ، وهذه الأخيرة هي أكثر أنواع المفاهيم تجريداً وتعقيداً . ومعنى هذا أن المفاهيم قد تكون بسيطة قريبة من أشياء تتحقق في الواقع أو تشير إلى أحداث ملموسة ، وقد تكون المفاهيم مجردة ومعقدة ويسمى البعض بالمفاهيم المركبة . فالمفاهيم البسيطة يمكن تعريفها :

١- إما بخصائصها البنائية أو الوظيفية المتضمنة فيها، كتعريف القانون بنائياً مثلاً بأنه: "مجموعة القواعد التي تسنها السلطة التشريعية في الدولة"، ووظيفياً بأنه: "مجموعة القواعد التي تحكم علاقات الأفراد بعضهم ببعض"، أو بينهم وبين الدولة؛ والتي تفرض جزاءات توقع على من يخالفها".

٢- أو عن طريق تحويلها إلى مجموعة من المتغيرات، كالاستقرار الحكومي الذي يمكن تعريفه: بأنه معدل تغير الحكومة الذي يحسب بقسمة الفترة الزمنية المعنية على عدد الحكومات التي تولت السلطة خلالها في المجتمع.

أما المفاهيم المركبة مثل مفهوم الديمقراطية ومفهوم الاستقرار الحكومي، فلا يمكن تعريفها مباشرة، وإنما تعريفها من خلال اختيار مؤشرات كافية وصادقة لتدل عليها مثل الاستقرار السياسي، فهو مفهوم مركب يمكن تعريفه من خلال مؤشرات، منها على سبيل المثال:

أ- تكرار حوادث العنف السياسي (اغتيال، مظاهرات، إضرابات، ثورات، انقلابات).

ب- تكرار حل البرلمان قبل انتهاء مدته.

ج- تكرار تغيير أصحاب المناصب العامة (وزراء، قيادات، مديرون عامون...).

أما المفاهيم تفرض على الباحث أن يقوم بتجريد الوقائع أو الأشياء للوصول إلى فئات يصبح المفهوم المصاغ رمزاً لها، ومن ثم فإن عليه من ناحية توضيح العلاقة بين المفهوم وما يشير إليه في الواقع. ومن ناحية أخرى، فإن الصياغة ينبغي أن تكون واضحة ودقيقة بحيث تتضمن كافة العناصر وتحددها تحديداً كاملاً.

والمفاهيم تحقق وظيفة أولية في البحث العلمي لأنها تحدد نقطة انطلاق الباحث، والمنظور الذي يستخدمه، وتيسر إدراك العلاقات بين الأبعاد والظواهر التي يدركها الباحث، كما توفر له تنظيمًا جديدًا، وإجراءات وتفسيرات جديدة، بل قد يظهر له ميدان جديد كلية في البحث العلمي.

ونظراً لكون المفاهيم تعميمات توصلنا إليها من حالات أو مواقف فردية متعددة كالاعترا ب، والديمقراطية، والاستقرار...، ونظراً لأن كلاً منها عبارة عن كلمة أو رمز تمثل فكرة أو تصوراً، فإن استخدامها يكون عادة في إطار ثقافة مشتركة أو إطار مرجعي أو جماعة علمية متجانسة. وهي بهذا تمكنا من إضفاء معاني معينة على العالم المحيط بنا، وعلى إدراكنا للحقائق المحيطة بنا لأنه كلما زادت المفاهيم ثراء ووضوحاً، زادت قدرة الجماعة العلمية على تجميع بيانات ذات معنى، وعلى الإدراك والمعرفة العلمية. ويتضح هذا من أن:

- المفاهيم لا توجد بمعزل عن الإنسان ، فهي من ابتكاره وصياغته ، وتيسر له فهم الطبيعة .
- المفاهيم محدودة العدد مقارنة بالظواهر العددية التي لا تُحصى ؛ والتي يفترض أن توضحها هذه المفاهيم .

ثالثاً- الفرض Hypothesis :

تعد صياغة الفرض خطوة رئيسية في البحث العلمي ويلزم التركيز عليها ومنحها اهتماماً فائقاً ، وكثير من البحوث - خاصة تلك التي تتناول علاقات سببية أو ارتباطية - تبدأ بالفروض .

والفرض هو تعبير عن علاقة محتملة بين متغيرين أو أكثر من متغيرين ، وهي علاقة محتملة ، تظل مجرد احتمال إلى أن يُثبت بالاختبار صحتها وصدقها ، أو عدم صحتها وكذبها ، أو الفرض هو مقولة أو تقرير لم تثبت صحتها ودقتها بعد . ومن الشروط الواجب توافرها في صياغة الفروض :

١. أن تتماشى مع المعرفة الحديثة وأن تتصل بالواقع .
٢. أن تصاغ الفروض في عبارات واضحة مبسطة موجزة تخلو من غموض أو تضارب ولا تكون واسعة فضفاضة أو متعددة ، فتشتت اهتمام الباحث .
٣. أن تكون قابلة للاختبار والقياس ، وممكنة التحقيق في الواقع العلمي .
٤. أن تتم صياغة الفروض وفق إطار نظري مناسب يوجه الباحث ويرشده في عمله .
٥. الفرض الجيد هو فرض منطقي يفسر الظاهرة المراد بحثها بدقة دون تعميم أو تشتت ، وكلما كانت صياغة الفرض محددة دقيقة وواضحة ، يسّر ذلك على الباحث إجراءات الكشف عن صدقه ، واختبار صحته من خلال طرق تجريبية.
٦. الفرض الجيد هو الفرض الذي يرتبط بباحث جيد ؛ الذي لا يتشبث بأفكار مسبقة تجعله متحيزاً في جمع معلومات معينة يثبتها أو يتجاهل معلومات أخرى ، وعلى الباحث العلمي أن يتخلى عن الفروض التي يثبت بالتجربة عدم صحتها ^(١) .

أهمية الفروض :

لقد حدّد كيرلنجر Kerlinger أهمية الفروض في البحث العلمي كما يلي :

- ١- تسهم الفروض في تنظيم عمل الباحث وتحدد له ، من خلال العلاقات المحتملة التي تتضمنها ، ما عليه أن يفعله ، وتزوده بإطار عام ييسّر له تجميع البيانات وتحليلها وتفسيرها ، وعموماً تسهم في فهمه للمشكلة بوضوح ، والبحوث الميدانية والتجريبية بدون الفرض العلمي - الذي ينظمها - تصبح تكديساً للبيانات بلا جدوى - فالفروض توجه الباحث إلى ما يجب أن يلاحظ ، وتوجهه إلى التركيز على ظواهر محددة دون غيرها ، ودون أن يعني ذلك توجيه الباحث إلى جمع البيانات التي تؤيد الفرض دون الالتفات إلى تلك التي تناقضه أو تدحضه .
- ٢- الفروض لا تنشأ من فراغ ، وإنما من فروض أخرى ، أو من نظرية ونظريات أخرى ، والفرض ينبغي ، من الناحية المنهجية ، إخضاعه للتجربة والاختبار .

٣- تصبح الفروض التي يثبت صحتها وصدقها بالاختبار بمثابة قانون علمي . فالفرض هو المصدر الأول للقوانين أو للمبادئ والقواعد العامة والنظريات إذا ما ثبت صحتها . أما الفروض التي يثبت عدم صحتها فإنها ترفض ، وهذا يفرض على الباحث تغيير الفرض نهائياً ووضع فرض آخر وربما توسيع أبعاد المشكلة الأصلية وحدودها .

٤- تتم صياغة الفروض وإعادة صياغتها مبدئياً ومحاولة إثبات صحة العلاقات المتضمنة فيها خلال عملية البحث العلمي بمراحله وخطواته المتتالية ، والتي من أهمها :

(أ) تحديد مشكلة البحث بعد مرحلة من الشكوك ، أو عدم الوضوح أو الأفكار والمعلومات الناقصة ، مما ينعكس على هذا التحديد للمشكلة ، فلا يأتي بشكل دقيق عند المحاولة الأولى ، وبعد تحديد المشكلة تأتي مهمة الباحث في صياغة الفروض .

(ب) تصاغ الفروض وتقبل أو ترفض من خلال الملاحظة أو التجريب ونتائج البحث والمعلومات والبحوث الأخرى . وبناء على ذلك إما أن يظل تحديد المشكلة كما هو أو تُعدّل ، فقد تتضح أهمية أكبر لأبعاد وعلاقات معينة ، فيتوسع الباحث فيها ، أو يختصر بعضها الآخر . وفي كل ذلك ، يجب أن تظل عملية البحث العلمي عملية منظمة ومضبوطة ومحكمة ، ويظل الباحث على دراية كاملة بالعناصر والخطوات الأساسية للبحث العلمي .

(ج) تظل أداة الباحث الرئيسية هي فروضه ، وعليه من خلال هذه الفروض صياغة التساؤلات المحورية والفرعية ، وتقديم الإجابات والبدائل المحددة

والأنسب لحلها ، ومن خلال تلك الفروض التي ثبت صحتها في مختلف مراحل عمله ، من جمع المعلومات والبيانات إلى تحليلها وتفسيرها .

٥- تضمن الفروض ، إذا توافرت لها عناصرها الأساسية ، سير الباحث وفق أسس البحث، لأنها تساعد على التركيز على المتغيرات الرئيسية في بحثه وتركيز ملاحظاته دون تشتت أو عشوائية ، وبالخبرة والتجربة يمكن للباحث التمييز بين الفرض الضعيف والفرض الجيد ، ويمكنه بذلك من إعادة صياغة فروضه لتكون أكثر تحديداً ووضوحاً بطريقة تمنع تداخل عوامل غير مرغوب فيها في البحث، أو التداخل بين متغيرات غير مطلوبة .

٦- تعتبر الفروض - إذا توافرت لها عناصر قوتها - وسائل أساسية لتقدم المعرفة العلمية وتطويرها.

مع ذلك ، ينتقد البعض الفروض بناءً على أنها قد توجه الباحث للتحيز لجمع معلومات معينة يثبت بها صحة فروضه وتجاهل المعلومات والبيانات الأخرى (١) .

٤ . ٤ . النظرية :

النظرية هي " مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تكوّن رؤية منظمة للظواهر ، عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها " . ويقول مونت بالمر Monte Palmer : "إذا كان الفرض إقراراً غير محقق بوجود علاقة بين متغيرين أو أكثر ، فإن النظرية هي إقرار بوجود علاقة بين متغيرات محققة بعد اختبارها" . وفي اللحظة التي تكون فيها النظرية قابلة للاختبار والتحقق يمكن عندئذ الاستنباط منها افتراضات عدة (٢).

فالنظرية أحد الوسائط المعرفية التي يستخدمها الباحث قصد الفهم والتفسير والتوقع . وإذا كان المنهج يحدد متغيرات معينة يحاول ، من خلالها ، الاقتراب إلى الظواهر دون أن يقيم علاقات بين تلك المتغيرات ، أي : لا يوزعها بين متغير مستقل وتابع ، فإن النظرية على العكس من ذلك ، تحدد تلك المتغيرات وتحدد العلاقة بينها ، في اقترابها من الظاهرة محل البحث والدراسة (٣) .

٥٠ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٩-٢٠ .

٥١ - Monte Palmer , The Interdisciplinary Study of Politics (New York : Haper and Row Publishers ,

١٩٧٤) , PP. ١٠-١١ .

٥٢ - نصر محمد عارف ، نظريات السياسة المقارنة ، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، ١٩٩٥) ، ص ١ .

وتكتسي النظرية أهمية كلما كانت قابلة للتطبيق وتميزت بالوضوح والبساطة ، وتزداد النظرية شهرة كلما اتسمت بالشمول والقدرة على استيعاب ظواهر متعددة وفهمها وتفسيرها . والنظرية ليست إيديولوجية ثابتة بل هي أداة تتطور ويصقلها الاستخدام المستمر والاختبار الدائم لفرضياتها وهي تقوم بعملية الكشف والتفسير . كما أن النظرية تفيدنا كثيراً في عملية البحث ، حيث إنها توجه البحث نحو مجالات مثمرة ، كما أنها تضيء على نتائج البحث دلالة ومغزى ، وأنها تمكن الباحث أيضاً من القدرة على الفهم والربط بين المعطيات التي يتوصل إليها ، وتمكنه من القدرة على التفسير في إطار أشمل وأكثر وضوحاً .

لقد سعى الكثير من الباحثين السياسيين إلى إرساء نظريات كبرى في العلوم السياسية ، وتناولوا موضوعات شتى (التصويت ، المشاركة ، الثورات ، العلاقات الخارجية للدول ...) وحاولوا تعميم ذلك ، إلا أن الواقع خيب آمالهم فترجعوا عن ذلك ، وأدركوا أن التركيز على النظريات ذات المدى المتوسط أو المدى القريب أكثر فاعلية ، لأن الظاهرة السياسية يصعب ضبطها والتحكم فيها ، ويضاف إلى ذلك اختلاف القيم والثقافات والسياقات التاريخية التي تحيط بالظواهر السياسية ، ومن ثم التعميم يصطدم بخصائص الظاهرة السياسية ^(١) .

ويلاحظ ثمة علاقة كبيرة بين النظرية والمنهج ، فإذا كانت النظرية تمثل دليلاً إرشادياً للمنهج ، فإن الأخير يعمل على تطوير النظرية والتحقق من صدقها أو إعادة صياغتها لتلائم حقائق جديدة وتكون أقدر على الفهم والتفسير والتنبؤ . وهكذا تظل النظرية في حالة جدل وتفاعل بينها وبين المناهج ووسائل البحث العلمي وطرقه بصفة عامة ، وكل ذلك النشاط يسهم في تطوير البحث العلمي ، ويكسب النظرية والمناهج مصداقية ومقدرة على الاقتراب من الظواهر ، وكشفها وإدراك علاقاتها وارتباطاتها المختلفة ^(٢) .

كما أن النظرية ذاتها تعد مصدراً لفروض جديدة ، ولمعلومات واكتشافات وتساؤلات ، تحتاج إجابات . وعادة ما تسد النظرية ثغرة في المعلومات المتاحة عن ظاهرة ما أو تفسر ظواهر بطريقة لم تكن معروفة من قبل .

وبالرغم ذلك ، يتفاوت مستوى النظريات ، باختلاف العلوم والمستوى الذي حققته من " علمية " ، فالعلوم الاجتماعية لا تزال في مرحلة بناء النماذج ، وهي مرحلة تقترب مما يسميه

٥٣ - محمد شلبي ، المنهجية في التحليل السياسي (القاهرة : بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦) ، ص ١٨-١٩ .

٥٤ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٩ .

البعض بمرحلة التجميع العشوائي للوقائع ، لكن التنظير أو النظرية في هذه العلوم وفي العلوم السياسية يجب أن تتوافر فيه خصائص منها :

١- أن تتيح النظرية الفرصة لاستنتاج نتائج يمكن اختبارها تجريبياً ، وأن تزود النظرية الباحثين بأساليب الكشف عن مدى صحة الاستنتاجات ليتسنى تأكيد صحتها وقبولها ، أو عدم صحتها ورفضها.

٢- لا بد أن تتمشى النظرية مع الملاحظات المباشرة ، ومع النظريات السابقة التي تثبت صحتها . فالنظرية يجب أن تركز على فروض علمية ، وبناء محكم ، وتتوقف أهمية النظرية على قدرتها على التفسير ، وعلى التنبؤ ، والتعميم .

٣- يجب أن تصاغ النظريات بوضوح وبأسلوب بسيط موجز ، وفي الوقت ذاته تكون شاملة ، فلا تهمل بعض المتغيرات والعوامل لمجرد أنه يصعب تفسيرها وشرحها . والنظرية العلمية مؤقتة بطبيعتها ، وتتغير وتحل محلها نظريات أكثر تقدماً وتماسكاً ، تشتمل إجابات أكثر عمقاً لل تساؤلات المطروحة ، مما يسمح بتطور العلم . ولا شك أنه كثيراً مما هو موضع اتفاق اليوم ، سوف يصبح غداً غير ملائم ^(١) .

وعموماً ، يميل الكثير من الباحثين إلى استخدام مصطلح " النموذج " بدلاً من مصطلح النظرية ، و أحياناً كمرادف له . والنماذج في أغلبها تحاول إعطاء صورة عن الظاهرة المراد تفسيرها ، وإذا تميز النموذج بالدقة والوضوح والموضوعية ، فإنه يمكن أن يسهم في وضوح الرؤية والتركيز على العوامل والمتغيرات الأساسية في موضوع البحث .

والوظيفة الرئيسية للنظرية العلمية هي التفسير ، بمعنى إضفاء المعنى على الوقائع والبيانات ، من خلال اكتشاف المنطق الذي يحكمها ، ويتم ذلك من خلال استنباط القضايا التجريبية من قضايا أكثر عمومية . فإذا كان الهدف مثلاً تفسير ظاهرة انهيار نظام سياسي بشكل عام ، فقد يعتمد الباحث إلى التركيز على الفساد ، أو الإنجازات المتردية وتداعي الخدمات ، أو صراعات النخب والانقسامات ^(٢) .

٥٠ - عبد الغفار رشاد محمد ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

٥٦ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢ .

الفصل الخامس

مفهوم الخطة وخصائصها

٥-١- أسس الخطة البحثية

٥-٢- مراحل ومكونات العملية البحثية

٥-٣- الخطة والإطار النظري

٥-٤- مكونات البحث

٥-٥- صفحات ما قبل البحث

٥-٦- عنوان البحث

٥-٧- المقدمة

٥-٨- الخاتمة

٥-٩- الملاحق

٥-١٠- مستخلصات البحوث

لا يعد مجرد تجميع البيانات والمعلومات بحثاً علمياً ؛ والبحث ليس مجرد نشاط عشوائي للوصول إلى الحقيقة ، أو حلاً للمشكلة القائمة عشوائياً أو عن طريق الصدفة ، بل إنه يتطلب خطة محددة وتوجيه وتصميم .

تتضمن " خطة البحث " الخطوات المتتابعة التي تكفل أن تتحدث الوقائع ذات الصلة ، عن نفسها ، وتمد الباحث بالإجابة التي يسعى إليها ، فمن الضروري تحديد موضوع البحث ، ومحوره الرئيسي ، والمشكلة أو المشكلات البحثية التي يتناولها البحث ، والتساؤلات الرئيسية والفرعية التي يسعى للإجابة عنها . ويبدأ البحث الناجح عادة بعبارة مبسطة تعبر في وضوح عن مشكلة البحث ، وتبلور التساؤلات التي يطرحها . وبعد تحديد المشكلة ، والتساؤلات البحثية ، قد يصوغ الباحث عدداً من الفروض Hypothesis ، وتشير هذه الفروض عادة إلى الوجهة التي يتم من خلالها تجميع الوقائع والأحداث والملاحظات حيث يتم تنظيمها وتحليلها وتفسيرها .

وقد يطلق على الخطة اسم مشروع البحث أو مسودة البحث أو استراتيجية البحث أو تصميم البحث أو المخطط الأول للبحث Research Proposal وغيرها من تسميات مترادفة لما يطلق عليه "خطة البحث" .

وقيام الباحث بعمله البحثي دون خطة مسبقة ، كأن يبادر بجمع المعلومات والبيانات حول المشكلة التي يطرحها البحث دون تخطيط ، أو بتخطيط جزئي محدود قد يعني إهدار جهود الباحث في جمع بيانات قد لا تكون على صلة وثيقة بمشكلة البحث ، أو جمع بيانات مشتتة أو ضخمة ، إلى درجة تربك الباحث ، بالرغم من صلتها بالمشكلة البحثية ، وقد تقوده إلى الإحباط أو الانصراف عن استكمال بحثه .

وعلى العكس من ذلك فإن نجاح الباحث في صياغة مشروع بحثه أو خطته بشكل دقيق يكفل له بحثاً علمياً ناجحاً ، كما يوفر له الجهد والوقت والتكلفة ، وتتطلب الخطة المحكمة تحديد خطوات البحث كعملية شاملة ، بشكل واضح ، وإخضاعها للمراجعة والتقييم ، والتفكير النقدي ، إنها تُعد بمثابة " الرسم الهندسي للبناء " ، وتحتاج إلى تدريب ومهارة يزداد الطلب عليها ، والخطة كالرسم الهندسي تتسم بالوضوح والبساطة والإيجاز حيث لا تحتوي إلا كل ما هو ضروري وله أهميته ^(١) .

وتسهم خطة البحث الناجحة في تركيز جهود الباحث على التفاصيل والمحاور الأساسية والفاصلة، والقضايا الرئيسية ، والاهتداء إلى أفضل الإجراءات والأدوات التي يمكن تبينها في

٥٧ - القصبي، عبد الغفار ، مصدر سابق ، ص ٦٧ .

حل المشكلة . وكما أن الرسم الهندسي ليس عملاً فنياً ، فالخطة ليست عملاً أدبياً أو فنياً كذلك ، فأهميتها في أنها تعرض الفكرة في وضوح ودقة واختصار في التعبير ، وتشير إلى الكيفية التي تجري من خلالها إدارة البحث ، وتتوج الجهود في سبيل معالجة وحل المشكلة ، وطريقة وصف وجمع ومعالجة البيانات، وتنظيم الأفكار وترتيبها وفق الأهمية النسبية لكل منها . فالخطة تعرض عادة المشكلة المراد بحثها دون غموض أو لبس ، وقد تناقش الجهود السابقة لباحثين آخرين ، تناولوا مشكلات قريبة أو ذات صلة بمشكلة البحث . وتحدد على وجه الدقة البيانات ذات الأولوية في حل المشكلة ، وكيفية جمع وتنظيم وتحليل هذه المعلومات والبيانات وتقديرها . كما تتضمن الخطة تقسيم البحث وإطاره النظري . وقائمة المراجع الأساسية .

خطة البحث إذن تتسم بالوضوح والإيجاز والدقة ، فتصبح مشكلة البحث وإجراءاته وأقسامه وإطاره النظري واضحة ودقيقة ، إذ لا تصلح خطة مكون من أجزاء وعناصر غير مترابطة ينقصها الانتظام والتسلسل المنطقي ، واللغة الواضحة المبسطة والمعبرة في إيجاز عن المعنى .^(١)

٥ . ١ . أسس الخطة البحثية :

الصفة الأولية التي يجب أن تتوفر في الخطة البحثية ، هي أن تكون مرتبطة بالمعرفة العلمية ، وخصائصها ، وتراكمها ، وسماتها التصحيحية وما تمثله من إبداع وجمع بين الفكر والواقع . والخطة ذاتها تقوم دائماً على إبداع الباحث ومهارته .

والمعرفة العلمية هي معرفة يمكن التثبت منها ، وإثبات صحتها ، من خلال العقل والتجريب ، أي المنطق والوقائع ، والاستدلال الاستنباطي والاستقراء ، أي من خلال معيارين :
١ . الصدق المنطقي .

٢ . التحقق الاختباري (التجريبي) .

وهما المعياران اللذان يمكن ترجمتهما في شكل أنشطة للعلماء والباحثين ، خلال العملية البحثية .

والعملية البحثية يمكن النظر إليها على مستوى كل بحث ، بما تستلزمه من شروط يلتزم بها الباحث ، وقواعد وإجراءات دقيقة حتى ترقى بجهوده إلى مستوى المساهمة في المعرفة العلمية . كما ينظر إليها أيضاً باعتبارها مشروعاً علمياً تترايط فيه جهود العلماء ، وتنظم جهود الجماعة

العلمية ، من أجل الإضافة إلى المعرفة ، كي تترجم هذه الإضافة في شكل جدول أعمال بحثي ، يتضمن أكثر من حقلاً وتخصص .

وخطة البحث - في هذا الكتاب - مصطلح يقصد به الخطة التي يعلها باحث ، في مجال علم السياسة خاصة ، بما يفترض توافره فيها من خطوات وشروط وقواعد، فثمة كتاب اهتماماً خاصاً للعملية البحثية في كتاباتهم، عند معالجته موضوع التحليل السياسي ، ذلك أن عملية التحليل السياسي عندهم ليست إلا تخطيطاً للبحث ، وتنفيذاً ومتابعة لخطواته ومراحله . وتتضمن مراحل التحليل السياسي الآتي:

- ١- مرحلة بناء الإطار النظري أو التحليلي ، ووضع خطة للبحث .
- ٢- تحديد استراتيجية البحث ، غايته ، إمكانياته ، والخطوات المتتابعة فيها .
- ٣- اختيار أدوات التحليل الملائمة في إطار الاستراتيجية والإطار النظري .
- ٤- وكذلك أدوات جمع البيانات .
- ٥- مرحلة عرض نتائج التحليل .

معنى هذا أن عملية التحليل السياسي هي في جوهرها عملية تخطيط للبحث ومتابعة لتنفيذ مراحل خطة محددة ، وتتناول بعد تحديد الموضوع أو المشكلة البحثية بناء ، أو تحديد واختيار ، إطار نظري ، ووضع خطوات للعملية البحثية في ضوء إمكانيات البحث وغاياته ، كذلك تحديد أدوات البحث ومنهجه وأدوات جمع البيانات وصولاً إلى مرحلة عرض نتائجه . هذا و يمكننا أن نميز بين نوعين للخطط البحثية ، يستخدمها الباحث :

أولهما : خطة استراتيجية طويلة المدى توضح مراحل البحث وخطواته ، ومعالم كل مرحلة ، والتساؤلات والفروض ، وفي ضوء ذلك المعلومات اللازم تجميعها وتحليلها . وهذا النوع من الخطط يتسم بالوضوح والتحديد منذ البداية ، ويتميز بالمرونة والدينامية ، بحيث يسمح بالحركة والتصرف في ضوء تطورات الخطة .

ثانيهما : الخطط التكتيكية أو الموضوعية التي يواجه بها الباحث تطورات لم يكن يتوقعها خلال العملية البحثية ، حيث يلزم المرونة وسرعة التصرف وملاءمته ، كما أن الابتكار والخبرة ، وربما تبادل الرأي والمشورة مع ذوي الخبرة من أعضاء الجماعة العلمية والباحثين قد يكون له أهميته .

وبطبيعة الحال ، فإن العملية البحثية في مجملها تلخصها الخطة الاستراتيجية أو الأصلية، ويجري تبني الخطط الموضوعية خلال تطور إنجاز الخطة الأصلية ، لمواجهة ظروف البحث ، وفي ضوء المستجدات خلال تطور مراحله ^(١) .

٦٠ - د. عبد الغفار رشاد القصبي ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

٥ . ٢ . مراحل ومكونات العملية البحثية :

تؤكد بعض الكتابات على وجود مراحل للعملية البحثية ، ، قد تكون متداخلة ومتشابكة فيما بينها ومن أهمها:

- ١- تحديد موضوع الدراسة ، ومشكلة البحث ، والأسئلة البحثية ، وما يرتبط بذلك من فروض .
- ٢- فحص الأدبيات والدراسات السابقة ، وتحديد مدى المساهمة ، مهما كانت محدودة ، التي يمثلها البحث ، كذلك تحديد الإطار النظري أو المفاهيمي للبحث .
- ٣- يرتبط بناء الإطار النظري - أو ما يحلو للبعض أن يسميه المساهمة في بناء نظرية - يرتبط بصياغة التعريفات والمفاهيم ، وقياس المتغيرات ، وتحديد المنهج أو طريقة البحث الملائمة ، وتطوير الفروض التي يقوم باختبار صحتها .
- ٤- الارتباط بالواقع ، فالعمل نحو بناء نظرية أو إطار نظري يجب ألا يصرف انتباه الباحث عن ملاحظة السلوك والوقائع المباشرة .
- ٥- جمع وتحليل البيانات ، وتبني أساليب وتقنيات ملائمة لذلك .
- ٦- التفسير ، بمعنى تفسير النتائج في ضوء مراحل البحث وتطوره ، وقد تتجه البحوث الأكثر طموحاً إلى محاولة التنبؤ .

ويشير بعض الكتاب إلى عناصر محددة في العملية البحثية أو ما يسمى مشروع أو خطة البحث ، بدلاً من المراحل التي تشملها ، ومن هذه العناصر :

- عنوان البحث .
- تحديد الموضوع ، وأهمية الدراسة ، وهدف الباحث .
- المشكلة البحثية وأبعادها .
- الأدبيات والدراسات السابقة ، والتي تكون بالغة الأهمية لاستخلاص عناصر وفروض وتساؤلات المشكلة البحثية .
- الإطار النظري وما يتضمنه من : المفاهيم والمتغيرات والعلاقات بينها ، وما يرتبط بذلك من فروض والمنهج وأدوات جمع البيانات ، ومقاييس أو نماذج وأنماط قد يتضمنها البحث .
- تقسيم الدراسة ومدى ما تعكسه من المقولات المنهجية .
- قائمة المراجع : وقد تقسم إلى مراجع عربية وأجنبية ، أو كتب ودوريات ، أو مصادر أولية وأخرى ثانوية .
- الملاحق : وقد تتضمن إحصاءات ، أشكالاً بيانية ، وثائق أولية .

وترتبط مكونات ومراحل العملية البحثية بنوعية البحث ، فقد يكون بحثاً أكاديمياً لنيل درجة علمية ، أو دراسة للنشر في دورية علمية ، أو تقريراً أو مجرد كتاب دراسي .

ويشبه البعض العملية البحثية بالطبيعة الدائرية ، حيث تبدأ عملية البحث بتحديد الموضوع ، وبلورة المشكلة البحثية ، وصياغة التساؤلات الرئيسية والفرعية ، وبناء الفروض ، وتجميع المعلومات وتصنيفها وتحليلها من أجل الإجابة عن تساؤلات وحل المشكلة ، وهكذا تكتمل الدائرة . ويعزز هذا الطابع الدائري للعملية البحثية الخاصية الدينامية التي تميز البحث ، والمرونة التي يتسم بها خلال الخطوات والمراحل المتتابعة .

وترتبط عملية البحث بالسياق المحيط بالبحث حيث يلعب السياق أهمية كبيرة ، خصوصاً وأن المجتمع قد يمنح مكانة مرموقة ودعمًا مناسباً للعملية البحثية ، كما قد يتجاهل جهود العلماء ولا يمنحهم إمكانيات البحث والمناخ الملائم للعملية .

وتلعب الجماعة العلمية أهمية خاصة في تشجيع أعضائها على البحث ، وتجديد دمائها بانضمام عناصر جديدة إليها ، كما يقدم الأساتذة والعلماء والرواد القدوة والخبرة للشباب . وقد تتطلب العملية البحثية أعمالاً تطوعية من قبل بعض الأفراد ، والجهات في المجتمع ، كما قد يحيط الباحث البيانات التي يحصل عليها من مفردات عينة ما بالسرية ويؤكد على هدف البحث الأكاديمي ^(١) .

الطبيعة الدائرية للعملية البحثية :

قد يعني القول بأن الخطة البحثية ما هي إلا سلسلة من خطوات محددة ومتعاقبة ، قد يعني أنها تتسم بالثبات والطابع الاستاتيكي ، إلا أن المفهوم الحديث للبحث العلمي ، وخطة البحث يؤكد على ضرورة الطابع الديناميكي المتغير للخطة . فالخطة البحثية خطة مؤقتة ، قابلة للتغير ، كلما تقدم الباحث خلال العملية البحثية ، وتعمق في المعالجة ، نظراً للتفاعل ، والتأثير المتبادل بين عناصرها ومكوناتها ، عند كل مرحلة من مراحلها المختلفة ، ويصبح على البحث إضافة سلسلة من التعديلات قد لا تتوقف حتى ينتهي البحث .

٦١ - المصدر السابق نفسه ، ص ٧١-٧٢ .

فكلما تقدم الباحث في العملية ، تتكشف حقائق ومعلومات جديدة ، وتطرأ ظروف ووقائع لم تكن في الحسبان ، كما قد تبدو للباحث علاقات وثيقة لم يكن يتوقعها ، وهكذا يلزم أن تكون الخطة منفتحة، حيث الحاجة إلى إدخال التعديلات المناسبة كانت أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف. أما إذا كانت الخطة تتسم بالجمود والانغلاق ، وعدم المرونة إزاء المستجدات من المعلومات والظروف خلال مراحل الخطة ، فإن هذا الجمود وعدم القابلية للتعديلات من شأنه أن يقضي على احتمالات نجاح البحث في جملته ، ويجعل الخطة ميتة تعبر عن مرحلة سابقة على العملية البحثية ذاتها ، بعيدة أو نائية ، وغير معبرة ، عن التطورات والمعلومات والإجراءات المتلاحقة التي تشهدها العملية البحثية وما تتكشف عنه من تعديلات ضرورية . وفيما يلي شكل يبين الطبيعة الدائرية لخطة البحث :

صياغة عنوان البحث
لماذا اختار البحث

تحديد الموضوع - مشكلة البحث - الأسئلة
البحثية

الدراسات أو الأدبيات السابقة - قدر
المساهمة المتوقعة للبحث - مغزى البحث
في ضوء الأدبيات والقراءات

الإطار النظري : - التعريفات والمفاهيم
والمتغيرات - الفروض - النماذج - منهج
البحث وأدواته

أهداف البحث

جمع وتحليل البيانات : أدوات جمع
البيانات وتصنيفها - مجتمع البحث ،
الباحث أو فريق البحث - تسجيل البيانات
- تحليل البيانات

تفسير البيانات

تقسيم الدراسة

قائمة المصادر - أهمية المصادر الأولية
والإحصاءات - الملاحق

إدارة العملية البحثية :
استجابة الباحث للتغيرات والمعلومات
المستجدة

إن إدارة العملية البحثية بطريقة ناجحة ودينامية قد تفرض تغييرات وتعديلات متتالية ، لتكون الخطة أكثر ملائمة ومرونة مع تطور العملية ذاتها ، فلا تنفصل العملية البحثية عن خطة البحث . من هنا ليس مستغرباً أن يلجأ الباحث إلى إدخال تعديلات على مختلف مكونات وعناصر الخطة ، لتكون أكثر دقة وملاءمة ، سواءً كانت هذه المكونات والعناصر تتعلق بأهداف البحث ، أو تحديد موضوعه ، وتساؤلاته الرئيسية والفرعية ، أو بنوانه ومغزى اختياره ، كما يلزم أن تتلاءم هذه التعديلات وإجراءات البحث ، وعمليات جمع وتصنيف وتحليل البيانات ، بما يلزم بها فريق البحث ومعاونو الباحث .

يكشف تطور العملية البحثية للباحث عن معلومات وجوانب لم يكن على علم بها ، فالأدبيات السابقة ، أو إضافة إحصاءات ومصادر أولية لم يكن لديه علم بها مسبقاً ، أو عندما يحاول الباحث بلورة إطاره النظري وتطوير العملية البحثية من خلاله ... كل هذا يشير إلى ضرورة وجود قنوات تأثير متبادل ، لها أهميتها الحيوية ، في جعل الخطة أكثر ملائمة وحيوية في تحقيق بحث علمي جاد .

والخطة ذاتها ليست وصفة جامدة تطبق في كل الحالات دون تعديل ، كما لا توجد خطة موحدة لكل البحوث ، وإنما الخطة تعبير عن مضمون العملية البحثية بمراحلها ، وتقنياتها المتغيرة ، والخطة المرنة تكون أكثر دقة ، وقد تختلف ، بدرجات متفاوتة ، عن صورتها الأصلية ، لكن هذا الاختلاف والدقة والمرونة يضيف عليها طابعاً دينامياً يعد الشرط الجوهري لأي بحث جاد وناجح .

من أمثلة التعديلات التي يلزم إدخالها على الخطة ما يتعلق بالتعريف الإجرائي للمفاهيم ، لتحديد الأبعاد والمؤشرات التي يتم جمع المعلومات بشأنها وقياسها ، فعند تجميع البيانات أو تصنيفها وتحليلها قد تبدو حاجة واضحة إلى تعديلات جوهرية في الأدوات المستخدمة ، أو في طبيعة البيانات ذاتها ، أو عملية التنظيم والتصنيف والتحليل . وذلك في ضوء البيانات التي تم جمعها ، كي يتم التحديد الإجرائي.

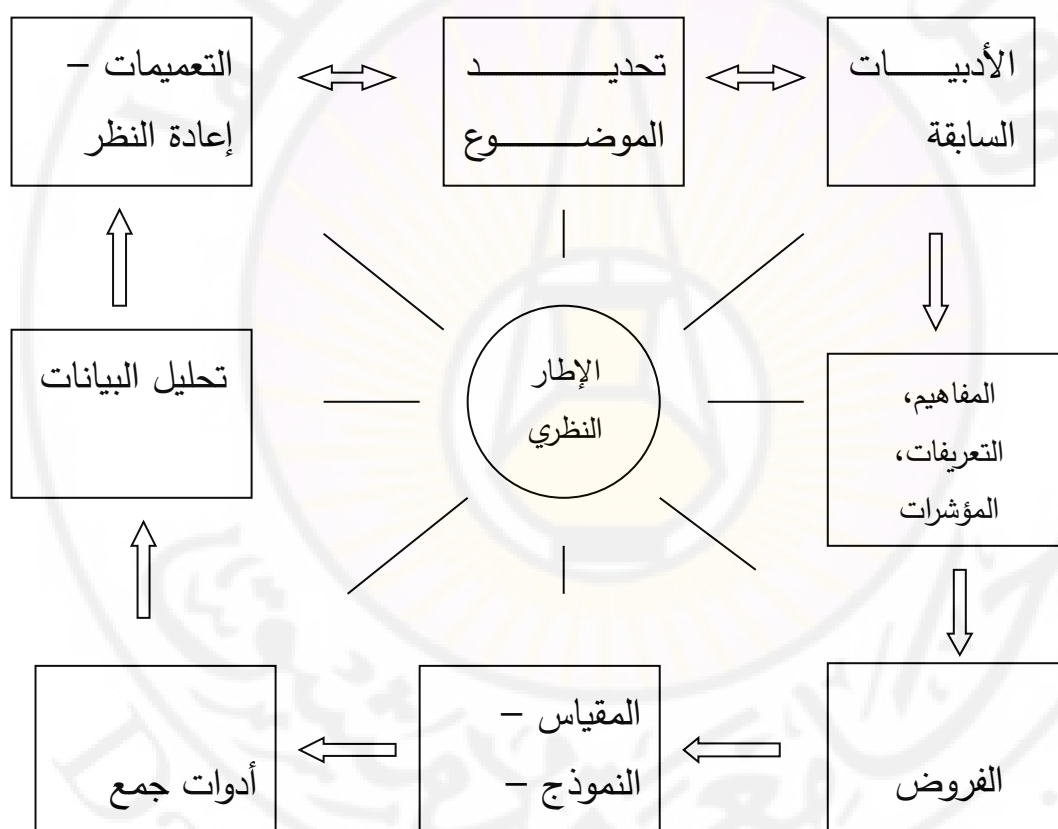
إن ثمة تأثيرات مرتدة على العملية البحثية ، والخطة البحثية ، لا يمكن إيقافها ، بل إن تكلفة البحث ذاته - والتي قد تخضع لزيادة أو نقص غير متوقع وفق ظروف طارئة - قد تنعكس مباشرة على كافة عناصر الخطة ومكوناتها وعلى أهداف البحث .

كما يجب على الباحث أن يعود تكراراً إلى خطة البحث ، ويدخل التعديلات والتغييرات المتتالية تكون خطة البحث في شكلها النهائي أكثر ملائمة وتكاملاً ، لتبيان ما هو حجم

الاختلاف بين الخطة المبدئية للبحث ، والخطة بعد اكتمال العملية البحثية ، في كثير من الحالات ، وما هو المغزى والأهمية الكبرى التي تمثلها هذه الاختلافات لنجاح العملية البحثية وتكاملها وإنجاز أهدافها .

٣ . ٥ . الخطة والإطار النظري :

تتكون الخطة البحثية من مراحل أساسية ، تحديد الموضوع والمشكلة البحثية وأهميتها ، الإطار النظري والمفاهيم والفروض والقياس أو النموذج وتجميع البيانات وتحليلها وتعميمها وغيرها من المراحل . كما هو موضح بالشكل الآتي:



الشكل رقم (٢): طبيعة العملية البحثية وأهمية الإطار النظري

أهم سمات العملية البحثية ذا الطبيعة الدائرية Cyclic Nature ، وهي تبدأ عادة بتحديد الموضوع والمشكلة البحثية ، وتنتهي بالتعميم الامبريقي (التجريبي) المؤقت ، مروراً بتحديد المفاهيم والتعريفات ، والأدبيات السابقة ، وجمع وتحليل البيانات ، وغيرها من خطوات تتضمنها

خطة البحث عادة ^(١) . وتتسم هذه العملية بالقدرة على التصحيح الذاتي وإعادة النظر في مكوناتها مع تقدم البحث ، والانتقال من خطوة إلى أخرى .

من الصعوبة بمكان أن يتنبأ الباحث مسبقاً بكافة الصعوبات والعقبات التي تصادفها كل مرحلة من مراحل وخطوات البحث ، أو الإلمام بمختلف البيانات والمعلومات مسبقاً ، لأن المرونة والانفتاح في الخطة يكفلان لها دائماً أن تعكس تطورات العملية البحثية ، ويسهمان في تحقيق التوافق والملاءمة بين الخطة كما صاغها الباحث ، والخطوات والمراحل كما تجري على أرض الواقع .

ويجب الحرص والحذر في التبسيط هنا ، فالعملية البحثية وخطة البحث - كما يناقشها هذا الكتاب والتي يقدمها كي يسترشد بها الطلاب - عملية نموذجية افتراضية ، قد تختلف ، بدرجة أو أخرى ، عن الواقع وما يشهده من تنوع هائل ، ومستجدات ، فضلاً عن طبيعة الظاهرة موضوع الدراسة، والبحث ومجالهما.

يتصل الموضوع أحياناً بجهد تنظيري أو فكري ، وأحياناً يرتبط ببحوث ودراسات ميدانية أو مكتبية أو أنه يجمع بين أكثر من مصدر للبيانات والمعلومات . تسير العملية البحثية في الواقع ببطء ، وأحياناً تتطلب مشورة وتداولاً مع أعضاء الجماعة العلمية ، وأحياناً لا تتطلب مثل هذا التشاور الجماعي ، أحياناً تفرض درجة من الإبداع والابتكار ، وأحياناً أخرى ترتبط أكثر فأكثر بنظريات قائمة .

إن الهدف أولاً : الوقوف على طبيعة العملية البحثية في شكلها الكلي العام ، وثانياً : التأكيد على شروط ومكونات العملية ، ويترك لكل حالة أن يتقدم الباحث فيها بخطة تعبر عن شخصيته أولاً وإبداعه وإلمامه بالأدبيات الأساسية ، وموضوع بحثه والمشكلة التي يتناولها في بحثه وقد تحددت زماناً ومكاناً .

٥ . ٤ . مكونات البحث :

نشير في البداية إلى مكونات أساسية ^(٢) ، للهيكل الأساسي للبحث يلتزم بها الباحثون والطلاب كالعنوان والمقدمة والخاتمة ، وصفحات ما قبل البحث ذاته والتي تتطلبها بعض المؤسسات العلمية ، فضلاً عن الملاحق والمستخلصات .

٦٢ - انظر :

D. Nachmias , Reseureh Methods in the Social Sciences (New York : St . Martin,s Press, ١٩٩٢) , pp.٢٢-٣٢ .

٦٣ - عن خطة البحث ومكوناتها ، ومكونات البحث ، انظر :

٥ . ٥ . ٥ . صفحات ما قبل البحث :

في الأطروحات أو الرسائل العلمية تبدأ الصفحة الأولى بعنوان الرسالة واسم الباحث وعنوان الرسالة والدرجة والتخصص وأعضاء لجنة المناقشة وتاريخ المناقشة ، وذلك وفق النظام المعمول به في الكلية والجامعة المانحة وتاريخ الأطروحة .

وللتأكيد من مطابقة صفحتي العنوان والتعريف للنظام المعمول به ، يقوم الباحث عادة بمراجعة الأطروحات والرسائل السابقة ، أو دليل قد توضح فيه الجهة تفاصيل إعدادهما للاسترشاد أثناء إعداد الصفحتين .

ثم تأتي صفحات الإهداء والشكر ، وفهرس المحتويات - والجداول والأشكال إن وجدت - عقب ذلك تأتي أجزاء الرسالة ، التي تبدأ عادة بالمقدمة ، فأجزاء البحث أو متن البحث ، وتنتهي بالخاتمة ، وتأتي الملاحق - إن وجدت - ثم قائمة المصادر ، عقب الخاتمة.

٥ . ٦ . عنوان البحث :

يحظى عنوان البحث باهتمام بالغ ، وتدقيق ومراجعة ، ويضعها الكثيرون لشروط ومعايير في الصياغة ، تلخصها " قاعدة الملاءمة " والتي يمكن تلخيصها في ثلاثة عناصر هي : الدقة والوضوح والإيجاز .

تعني الدقة أن يعكس العنوان مضمون البحث ، أو المحتوى الذي يصل إليه القارئ من قراءة البحث ذاته ، بحيث يعبر على نحو أمين عن هذا المحتوى ، فلا يكون عنواناً جذاباً أو واعداً بما لا يتضمنه البحث ، فيحمل تضليلاً ، أو يتجاوز الصدق والأمانة في التعبير . كذلك تعني الدقة التعبير المحدد عن مضمون معين ، فلا يصلح للبحث العلمي ذلك العنوان الفضفاض الذي يتسع لأكثر من معنى ، ومن ثم يبتعد عن التعبير الدقيق عن مضمون البحث. الوضوح الكامل هو العنصر الثاني لقاعدة الملاءمة ، والعنوان الواضح يعبر عن وضوح تحديد مشكلة البحث ، وموضوعه ، ويبعد القارئ عن احتمالات إساءة الفهم ، أو الارتباك في المعنى . ومن خلال دقة العنوان وأمانته في التعبير عن مضمون البحث ، ووضوحه التام ، يمكن توقع أن ينجح الباحث في مهمته ، ويجذب القارئ لقراءة البحث ، على عكس العنوان الذي لا يشير إلى موضوع البحث ، أو لا يتميز بالقدر الكافي من الوضوح والدقة فيتوقف القارئ عنده ، دون إكمال قراءة البحث ، وعلى الباحث تجنب كلمات أو تعبيرات قد لا تحمل الكثير من المعنى ، مثل : محاولة لدراسة ، أو دراسة نظرية مع محاولة التطبيق . فالعنوان الملائم هو الذي

يتضمن في إيجاز واختصار النسبة الأكبر من مكوناته من الكلمات المعبرة بدقة وذات الأهمية في مواقعها . والتي تحدد على نحو أمين موقع البحث وبؤرة المعالجة فيه.

وبناءً على قاعدة الملاءمة ، وما تقوم عليه من الأعمدة الثلاثة في الدقة والوضوح والإيجاز يضع البعض تصنيفات للعنوان الملائم منها :

- ١- العنوان القصير المعبر ، ويجمع بين الإيجاز التام والوضوح الشديد .
 - ٢- العنوان في صيغة سؤال ، ويقدم البحث الإجابة أو الحل للتساؤل الذي يحمله .
 - ٣- عنوان يفيد بنتائج البحث أو أهمها ، أو يقدم في إيجاز تلك النتائج .
- العنوان الملائم ينقل إلى القارئ بشكل أمين ، ما يناقشه البحث ، لكن لا ينقل مضمون البحث كاملاً إليه ، بما يجعله في غير حاجة إلى قراءته . من هنا أهمية الإيجاز في العنوان ، خصوصاً وأن العنوان المطول يتطلب جهداً وحيزاً أكبر في قوائم المراجع ، ولا يكون موضوع ترحيب عادة .

٥ . ٧ . المقدمة :

تمثل المقدمة مدخل الموضوع ، وتهيئة القارئ لاستكمال قراءة البحث ، ويتوقف مضمون المقدمة على طريقة الباحث ، وتكوينه العلمي بل وشخصيته ، واستخدامه مهارته وخبرته ، وما لديه من معلومات وطريقة لعرضها وترتيب أولوياتها .

وتحتل أهمية الموضوع صدر المقدمة أحياناً ، وقد يربط الباحث هذه الأهمية بالتطورات الجارية ، أو يربطها بحدث تاريخي ، أو وقائع يراها الباحث ذات مغزى ، أو بتوقعات وتنبؤ يوضح جوانب خاصة في أهمية بحثه .

وقد تستخدم المقدمة لبيان حدود الموضوع والمشكلة البحثية والمنهج المستخدم ، وقد تتضمن الفروض وخطوات البحث وتتابعها ، والصعوبات التي واجهها الباحث ، كما أنها تستخدم في شكل ملخص متتابع للخطوات والأجزاء الأساسية التي عالجها في بحثه ، وصولاً إلى نتائجه .

وقد يجمع الباحث في مقدمة بحثه بين أهمية الموضوع وعرض موجز لخطة بحثه ، مع إشارات للصعوبات المنهجية أو المسارات التي اتخذتها فروض بحثه سعياً وراء اختبار صحتها ، على أن حجم المقدمة ؛ بالإضافة إلى الخاتمة ، يفضل أن يكون حجمهما معاً في حدود ٥% من حجم البحث الكلي .

٥ . ٨ . الخاتمة :

تصاغ خاتمة البحث في ضوء مفهوم الباحث لأهميتها ووظيفتها في بحثه ، مثلها مثل المقدمة.

تتناول الخاتمة الخلاصة التي توصلت إليها الدراسة في إيجاز ، وقد يكون ذلك في سياق ملخص موجز لعناصر ومحاور البحث الرئيسية ، وصولاً إلى نتائجه ، في تسلسل وترابط منطقي يجمع كافة الخيوط والروافد ، ليؤدي وظيفة حيوية بالغة الأهمية في إحكام واتساق الروابط التي تحقق للبحث تماسكه في شكله الكلي العام ، بناءً على أجزائه ومكوناته ، وما بينها من تتابع وانسجام .

وكما أمن الخاتمة قد تستخدم لاستعراض نتائج البحث فحسب ، أو أهم محاوره وركائزه ، أو ما يوصي به الباحث ، وقد يعمل الباحث إلى ربط الخاتمة بتوقعات ، أو يربطها بمشاهد مستقبلية يراها أكثر ملاءمة ليختتم بها بحثه.

الملاحق :

تضم الملاحق البيانات والإحصاءات وأحياناً وثائق أو نماذج استخدمت في البحث مما لا يجوز أن يوضع في متن الرسالة أو الكتاب . ويكون لكل ملحق عنوان خاص به ، وتظهر العناوين في فهرس المحتويات . وتأتي الملاحق عادة عقب الخاتمة ، وقبل قائمة المصادر .

من أمثلة الوثائق والملاحق : استمارة الاستبيان التي اعتمد عليها البحث ، جداول أو إحصاءات أولية ، نصوص معاهدات ، أو مواد قانونية ، أو نص الدستور بالنسبة للدولة ، أو النظام الأساسي أو الميثاق بالنسبة للمنظمات والمؤسسات ، وغيرها من نصوص ووثائق وبيانات أولية .

٥ . ١٠ . مستخلصات البحوث :

يجب أن تحظى هذه المستخلصات باهتمام الباحث ، فكثير من القراء يكتفي بقراءة هذه المستخلصات^(١) ، ويجب أن يتضمن المستخلص في إيجاز مشكلة البحث ومنهجه وأدواته وإطاره النظري والفروض وأهم النتائج .

٦٤ - تحدد بعض الدوريات مستخلص abstract المقال العلمي في حدود لا تتجاوز سبعين كلمة ، أو نحو ٥% من حجم المقال ، وفي البحوث الطويلة ٢٠٠ كلمة فقط . وتنتشر على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) مثل هذه المستخلصات بشكل أصبح شائعاً .

في الرسائل العلمية يكون المستخلص عادة في حدود صفحتين أو ثلاثة ، وإن كان على الطالب أن يبحث عن الحجم والطريقة المعمول بها في الكلية والجامعة المانحة للدرجة العلمية للاسترشاد بها في عمله ^(١) .

وقد يطلب ملخصاً للبحث ، وليس مجرد مستخلص ، وملخصات الرسائل العلمية والأطروحات تكون عادة أكثر شمولاً وتفصيلاً ، حيث تغطي قدراً أكبر من إجراءات ومكونات البحث والنتائج التي تم التوصل إليها ، لذلك قد يستغرق عدداً أكبر من الصفحات ، لكن يظل في حدود معقولة (يتراوح ما بين ٢,٥ : ٤ % من حجم الرسالة) . وقد يطلب الملخص بلغة أخرى غير اللغة التي كتبت بها الرسالة العلمية أو البحث .

٦٥ - قد يطبع المستخلص ضمن مجلد الرسالة ، دون ترقيم صفحاته ، وقد يطلب المستخلص باللغتين العربية والإنجليزية ، كما تشترط بعض الدوريات تقديم المستخلصات باللغة الإنجليزية في حالة المقالات العربية وباللغة العربية في حالة كتابة البحث ذاته بالإنجليزية .

الفصل السادس

تحديد الموضوع والمشكلة البحثية

٦-١ - عملية اختيار موضوع البحث

٦-٢ - المشكلة البحثية

٦-٣ - شروط المشكلة البحثية

٦-٤ - التساؤلات البحثية

٦ . ١ . عملية اختيار موضوع البحث :

يمثل الموضوع أهمية رئيسية في العملية البحثية ، ويعد النجاح في هذا الاختيار بمثابة الدافع القوي للباحث ، لكن في بعض الأحيان قد يتسرب الإحباط إلى الباحث عند اختياره للموضوع بسبب انتقاله بين موضوع وآخر ، دون أن يستقر في اختياره بسهولة ، على موضوع محدد ضمن موضوعات بديلة لديه، ولمثل هذا الإحباط نتائج غير طيبة على الباحثين عادةً . ولتجنب مثل هذا الإحباط في اختيار الموضوع ، ينصح البعض بمراعاة عدد من القواعد من بينها :^(١)

- ١- الاستمرار في الموضوع والتحلي بالثابرة قبل اتخاذ القرار في ضوء الوقت والإمكانات والمادة العلمية المتاحة .
- ٢- ابدأ بحثك مستكشفاً جوانب الموضوع ، دون الارتباط بتكليفات محددة ، أو التزامات مبكرة يقترحها المشرف مثلاً ، ودون الإجابة عن تساؤلات من قبل ، هل ثمة مراجع مقبولة ؟ وما الجهات التي يجب التشاور معها .
- ٣- امنح مشروعك الوقت والفرصة الملائمة ، والمثابرة حتى يرى المشروع النور ، حتى لو كانت المادة في البداية غير متاحة بكاملها ، أو ما زالت بحاجة إلى المزيد منها ، حاول الاستمرار .
- ٤- حاول بنفسك أن تبحث ، وبالتشاور مع آخرين – ومنهم أمناء المكتبة على وجه الخصوص – الكتابات المتاحة في الموضوع ، أو الموضوعات الوثيقة الصلة به . حدد هذه الموضوعات في شكل عناوين أو كلمات مفتاحية Key words لتستخدمها في محاولاتك .
- ٥- لا تحاول في مرحلة مبكرة تضيق موضوع البحث بشدة ، توج محاولاتك بالمثابرة والاستمرارية في البحث، والموضوعات التي لا يتم تضيقها بشدة تكون عادة أكثر ملاءمة ، للوصول إلى مصادر ومعلومات بشأنها .
- ٦- لا تحاول الإفراط في طباعة أو تصوير أو امتلاك مصادر واسعة – كالكتب والمقالات والمواد من الإنترنت ..- دون التأكد من ملاءمتها ومحتواها ، حتى لا يتفقد الكثير من الوقت والجهد والمال بلا طائل^(٢) .

تتبع أهمية البحث عادة من قناعة لدى الباحث بأهمية وضرورة القيام بالبحث ، وتناول الموضوع يلبي عادة دافعاً له مغزاه عند الباحث ، وكثيراً ما تعبر أهمية البحث عن جانبين : أحدهما عملي والآخر علمي:

٦٦ - د. عبد الغفار القصبي ، مصدر سابق ، ص ٨١ .

٦٧ - عن خطة البحث ومكوناته انظر : V.J. Shannon et.al. Op. Cit . , pp. ١١٥-١٢١ .

فالجانب العملي ، ويرتبط بالحياة ، أو بالمشكلات التي يواجهها المجتمع ، كأن تكون قضية لها أهميتها الحيوية للأمة - قضايا ولاء أو هوية أو فساد سياسي أو تهديد للقيم التي يعتز بها المجتمع - أو لها أولوية طارئة في التطور السياسي للمجتمع - كالعنف ، أزمات طارئة وإدارتها ، الحروب ..-والحقيقة أن علم السياسة ، وصفة السياسي ، قد أخذت تتسع دائرتها لتشمل العديد من القضايا والمشكلات . كما أن تطور علم السياسة ، قد أضاف إلى جدول أعمال البحث السياسي موضوعات لا حصر لها تتراوح من البيئة إلى سياسات المياه والفضاء ، ومن التنشئة والاتصال السياسي إلى السياسات الخارجية وعلاقات الحضارات ، وأثيرت قضايا كإدارة الصراع والعنف والسلام والديمقراطية والتكامل والتكتلات وتفكك الدول وحقوق الأقليات وغيرها .

أما الجانب العلمي أو الأكاديمي ، التي تمثلها أهمية البحث ، فإنها ترتبط بحاجة وتصبح أكثر وضوحاً في إطار الحقل الدراسي ، أو الجماعة العلمية التي يمثلها للدراسة والتنظير لتعزيز إمكانية تناول ومعالجة العديد من الظواهر والقضايا ، ومثل هذا النوع من الدراسة والتنظير يتطلب مستويات رفيعة من البحوث والتدريب ، وقد لا يكون متاحاً في ظروف معينة . وقد تكون الإمكانيات المتاحة لدى الجماعة العلمية ، من الباحثين الماديين والمال والوقت والإمكانات على درجة من المحدودية بما يقيد إلى حد بعيد من مثل هذه البحوث النظرية أو الأساسية ، الأمر الذي يضع بدوره حدوداً قاسية على تطورها العلمي وآفاقها .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى، أن الأهمية التي يمثلها موضوع البحث لا ينفصل عادة جانبياً، العملي والعلمي ، أحدهما عن الآخر ، فمعالجة قضية الأمن القومي مثلاً ، تبدو الحاجة العملية إليها شديدة ، بالنظر إلى الأوضاع التي تشهدها ، وفي الوقت ذاته تبدو حاجة أكاديمية ملحة إلى تطوير نظرية الأمن القومي ، وتنظيراً للقضايا والأبعاد والتوقعات المحتملة المرتبطة بالأمن القومي العربي ، بما يسهم في فهم ومعالجة هذه القضايا والأبعاد والتوقعات ، فضلاً عن الأهمية العملية .

يتوقف اختيار موضوع البحث وتحديد ، صياغة وتحديد المشكلة البحثية ، والأسئلة البحثية - وما يرتبط بها أحياناً من فروض - على أربعة جوانب أساسية تشمل : (١) أولاً : اهتمام الباحث ، يشكل اهتمام الباحث في مستوياته العليا أولوية وقوة دافعة تكفلان المثابرة في البحث وتحمل الباحث المستمر لعناء ومتطلبات البحث ، وتضمن للعملية البحثية الاستمرارية والتطور ، لتتجاوز الصعوبات والمراحل التي تستلزمها . وقد يرتبط اهتمام الباحث باهتمام عام

٦٨ - د. عبد الغفار القصبي ، مصدر سابق ، ص ٦٣ .

لدى الجماعة العلمية ، أو جهة بحثية ، أو أجنده تحددها مؤسسة أكاديمية، قد توفر من الدعم المادي والفني ما يعزز إمكانيات البحث ، ويشجع الباحثين .

ثانياً : يشكل اهتمام الباحث بالموضوع قاعدة أساسية في اختيار وتحديد ذلك الموضوع ، ومع اختيار الموضوع تبرز بشكل واضح ضرورة تحديد أبعاد ومكونات هذا الموضوع ، وتحليل هذه الأبعاد ، وتأكيد الأهمية التي تمثلها بعض الأبعاد والعناصر خلال العملية البحثية .

ثالثاً : تنعكس المكونات والعناصر الأساسية أو المحاور التي حددها الباحث خلال تحديده للموضوع على خطة البحث وما تتضمنه من تقسيم للدراسة ، وتسؤلات وفروض ، ومن أدوات وأطر تحليلية .

رابعاً : يستند اهتمام الباحث بالموضوع وتحديده لمكونات الموضوع الأساسية إلى عوامل عديدة يأتي في مقدمتها عاملان :

أولهما : ملاحظة الباحث التي ترتبط بخبراته ، ومعايشته للحياة السياسية ، وإدراكه وتوقعاته، والطرق والمسالك المختلفة التي تعرف من خلالها على الموضوع بمختلف عناصره وتطورات ، وقد يضاف إلى عامل الملاحظة منطق الباحث وإدراكه وتوقعاته ، وأيضاً طموحه وآفاق تطلعاته نحو إجراء بحوث على درجة من الدقة والمستوى الرفيع .

ثانيهما : قراءات الباحث ، خصوصاً الأدبيات السابقة التي تناولت الموضوع ذاته ، أو موضوعات أخرى قريبة من الموضوع ، أو مرتبطة به على نحو أو آخر ، كما قد يرتبط بالإطار النظري ، وتلبية متطلبات أساسية محددة يفرضها .

مثال ذلك : أحد الباحثين الذي قدم نفسه - أو لنتصور ذلك - مرشحاً في الانتخابات البرلمانية ، وبناءً على خبرته وملاحظاته أصبح موضوع الانتخابات لمجلس الشعب أهمية خاصة لديه فيتجه إلى المزيد من القراءة واستعراض الأدبيات السابقة التي تناولت البرلمان والانتخابات ، وقد يتجه في تحليله إلى تأكيد عناصر وظروف العملية الانتخابية - كالعنف والمال وكشوف الناخبين والإشراف القضائي وقانون الانتخابات والأحزاب والمكونات ، كالعنف والمال وسيطرة أحد الأحزاب ، بشكل انتقائي ، وهذا في ذاته لا يشكل تحيزاً مسبقاً ، وإنما يعد تنقيحاً وبلورة لها مغزاها في تحديد بؤرة البحث ومراكز الاهتمام الأساسية .

والواقع ، إن مراجعة الأدبيات السابقة قد تؤكد على أهمية متغيرات وعوامل كالانتماء الحزبي ، أو تنامي ظاهرة المستقلين ، أو جوانب أخرى ترتبط بالعملية الانتخابية ونتائجها ومغزاها . بعبارة أخرى فإن تحديد الموضوع قد ينصرف إلى التركيز على ثلاثة أو أربعة متغيرات ، وربما أقل ، حيث لا يعقل أن يبحث الموضوع كافة المتغيرات المحتملة ، أو يمنحها القدر ذاته من الأهمية والعناية ، فالمتغيرات موضع التركيز تكون ذات مساهمة أكبر في تفسير وتوضيح

الظاهرة موضع الدراسة . وقد يتبنى الباحث إطاراً نظرياً يفرض الاهتمام بعمليات الدعاية أو العنف أو نزاهة الانتخابات وما تعكسه من درجة للتحوّل الديمقراطي في النظام السياسي .

٦ . ٢ . المشكلة البحثية :

يأتي تحديد المشكلة البحثية كخطوة أولى في خطة البحث ، قبل تحديد البيانات اللازمة والإجراءات ، وقبل جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها ، إنها تسبق صياغة الخطة عادة ، وتحمل قدراً من الغموض والتساؤل بما يدفع الباحث في اتجاه العملية البحثية .
لكن ما هي المشكلة البحثية ؟ وكيف يتم تحديدها أو صياغتها في إطار البحوث السياسية ؟
الحقيقة إن كثيراً من الطلاب والباحثين يجدون صعوبة في صياغة وتحديد مشكلاتهم البحثية ، وهذا قد يرجع في الأساس إلى عدم فهم هؤلاء لمعنى البحث العلمي .

وقد يعتقد البعض من هؤلاء أن مجرد عمليات من قبيل تجميع البيانات ، أو إيجاد علاقة ارتباط بين مجموعة من المعطيات ، أو المقارنة بين حالتين تُعد في ذاتها " بحثاً علمياً " ، والواقع ، إن مثل هذه العمليات لا تكفي في ذاتها لأن تُعد بحوثاً ، وإنما هي جواب للنشاط والعمل ، وفي أحسن الأحوال فإنها مجرد خطوة على طريق البحث ، الذي يجب استكماله ومتابعته في شكل محدد ، ليصبح بمثابة بحث علمي متكامل .

كذلك ، فإن هذه الأوجه للنشاط لا تعتبر بمثابة مشكلة بحثية ، فالبحث تطبيق لمنهج علمي - وليس مجرد أوجه لنشاط يقوم به الباحث - له خطواته المتتالية ، وصيغته المتكاملة دون تجزئة . مثال ذلك : علاقة الارتباط بين الحرمان الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي ، فهي علاقة في ذاتها لا تشير إلى بحث علمي متكامل ، وإنما مجرد خطوة ، يسير الباحث متابعاً خطوات أخرى للتحليل والتفسير واختبار للفروض وصولاً إلى نتائج محددة . ومثال آخر ، مقارنة نظام سياسي في دولة متقدمة بإحدى النظم السياسية النامية قد لا يعني الكثير ، فالمقارنة في ذاتها قد تحمل سمات للسطحية ، ومجرد الوصف والعرض بطريقة قد تساعد على تحديد بعض فئات لأوجه الشبه والاختلاف بين النظامين ، لكن يظل البحث العلمي أكثر عمقاً وشمولاً من مجرد عرض بعض فئات للمقارنة ، حيث يلزم على سبيل المثال التعمق في تحليل الأسباب التي من شأنها تأكيد عوامل الاختلاف ، وبخاصة التي تدفع إلى التشابه والتقارب بين النمطين من النظم السياسية .

فالمقارنة تأتي ضمن أدوات وخطوات وإجراءات ، وتتابع في العملية البحثية إلى أن تتكامل في شكلها الكلي والنهائي .

المشكلة البحثية ليست هي المشكلة أو الأزمة السياسية ، ومن ثم فمن الأهمية بمكان التمييز بينهما، حيث يحدث كثيراً الخلط بين مشكلات البحث، والمشكلات أو الأزمات السياسية ، فالأخيرة تشير إلى توترات وصراعات أو مواقف مفاجئة في العلاقات بين أطراف أو إدخال نظم أو أبنية أو جماعات، قد لا تجدي معها أدوات وآليات إدارة الأزمات وحل المشكلات ذات الطابع الروتيني أو التقليدي المعتاد، فقد تعبر هذه التوترات عن قمة التفاعلات وأوجه التطور في المواقف، إنها أشبه ما تكون بالعقدة في المسرحية أو الرواية، حيث تتشابك عندها العلاقات والأبحاث والمواقف.

أما مشكلة البحث فهي " قضية خلافية " تحتاج إلى تفسير ، وإلقاء الضوء على أبعادها المختلفة، وبطبيعة الحال قد تكون المشكلات والأزمات السياسية من مشكلات البحث في علم السياسة ، الأمر الذي يؤكد أهمية التأكيد على الشروط الواجب توافرها في نوعية المشكلات والقضايا والموضوعات التي تصلح لتكون مشكلات بحثية.

ترتبط مشكلة البحث بقدر من الغموض ، أو ندرة المعلومات وتضاربها ، أو العجز عن اختيار البدائل والحلول الممكنة لها ، واختيار الباحث للموضوع من شأنه أن يسهم في تحديد المشكلة البحثية، فيصبح هذا التحديد بمثابة حلقة من حلقات متتالية تشكل في مجملها العملية البحثية .

فموضوع البحث مثلاً قد يكون كارثة الهزيمة العربية في ١٩٦٧ ، لكن المشكلة البحثية قد تكون أوج الأزمة عند بدء العمليات العسكرية ، أو التطورات السابقة مباشرة على ذلك ، أو تكشف حجم الهزيمة وآثارها الغائرة والتراكمية في نطاق يحدده الباحث زماناً ومكاناً وموضوعاً ، أو قرار معين لسحب القوات مثلاً ، والتي يحيط بها قدر من الغموض ، وتثير تساؤلات واسعة في إدراك الباحث ورؤيته . بحيث تهدف المعالجة هنا، إزاحة الغموض والإجابة عن علامات الاستفهام المثارة وتقديم حلول لها .

والقراءة المتأنية والواسعة خير معين للباحث ، فضلاً عن ملاحظته وخبرته ومهارته في تحديد المشكلة البحثية وبلورتها في شكل رصين ، بحيث يبدو البحث تشخيصاً أميناً لهذه المشكلة.

٦ . ٣ . شروط المشكلة البحثية :

يلزم توافر عدد من الشروط والخصائص ، من حيث الموضوع ، ومن حيث الشكل أو الصياغة في المشكلة البحثية ، لكي تصبح صالحة ضمن خطة البحث ، ومن أهم هذه الشروط : (١)

أولاً - الشروط الموضوعية . وتشمل ما يلي : الأهمية ، وعمق التحليل ، والإمكانات المتاحة للقيام بالبحث .

تشكل الأهمية الدافع الأساسي والحافز للباحث الذي يدفعه إلى اختيار وتحليل المشكلة بأبعادها المختلفة ، والمثابرة على تحمل المعاناة البحثية ، وتخطي الصعوبات التي تثيرها ، وكلما تعززت الأهمية وتأكدت ، تزايد هذا المحرك والحافز أو الدافع لدى الباحث . وتحمل الأهمية ثلاثة أبعاد رئيسية (ذاتية، علمية وعملية) ، فقد تكون أهمية ذاتية أو شخصية ترتبط بالباحث نفسه ، أو أهمية عملية ترتبط بحالة العلم والمساهمة في تراكم المعرفة العلمية، فالباحث يجب أن تتوفر لديه عوامل الاهتمام بالقضية التي يثيرها في بحثه ، بحيث يجد في العملية البحثية ، بالرغم ما تمثله من عمل شاق وتحديات وصعوبات ، تلبية لاهتمام خاص بداخله ، مما يثير طاقاته وإبداعه ، وعمله الجاد المتواصل .

وكثير من المشكلات البحثية تكون ذات أهمية كبرى للأمة أو المجتمع السياسي المرتبط بها ، أو تمس جماعة أو جمهوراً له من الأهمية والتأثير السياسي ما يميزها ، وتكون نتائجها حاسمة في تطورها السياسي . فالأهمية العملية قد ترجع إلى ما تمثله المشكلة البحثية والقضايا التي تعالجها ، وما يرتبط بها من توقيت وطريقة تناول ، من مصالح أو قيم ومعتقدات راسخة لدى قطاعات رئيسية في المجتمع . وهكذا قد تتاح للباحث الأجواء الملائمة ليس فقط من خلال التعاطف وتوفير المناخ الملائم لإجراء بحثه ، أو تقديم الدعم المالي والفني والبشري له، بل والدافع السياسي والوطني لذلك قبل كل هذا وذاك .

وثمة أهمية علمية أيضاً قد تقف وراء المشكلة البحثية ، تمنحها مغزاها وأولويتها ، كأن تسهم في سد نقص قائم في الأدبيات بالمكتبة العربية ، أو تصل إلى نتائج وتعميمات ، أو تبرهن على وجود علاقات معينة ، أو تثير توقعات واحتمالات ، أو تصل إلى اكتشافات ذات أهمية في نطاق الحقل أو التخصص ، وقد تشعر الجماعة العلمية بأهمية مشكلة بحثية محددة ، فترصد لها الإمكانيات والدعم ، وتضعها في أولوية برامجها البحثية ، وتوجه الباحثين ودارسي الماجستير والدكتوراه إليها .

وبناءً على التمييز بين الأهمية العلمية والعملية والذاتية للمشكلة البحثية فإنه يمكن التمييز بين ثلاثة مصادر رئيسية للمشكلات البحثية : علمية أو أكاديمية ، وعملية أو تتعلق بالحياة السياسية والدول والنظم والمؤسسات والعلاقات بينها ، وذاتية تتعلق بخبرة الباحث ذاته. وقد يكون مصدر المشكلة البحثية علمياً وعملياً وذاتياً في آنٍ واحد ، بمعنى أن يستند الباحث إلى اهتمامه الشخصي بالفكرة أو القضية ، وما شهده الحقل أو التخصص من تنظير بشأنها ، وما شهدته القضية في الواقع الفعلي من تطورات وتفاعلات .

هذا وتشمل المصادر الأكاديمية أو العلمية، الآتي:

- ١- الدراسات أو الأدبيات وبخاصة التي تناولت المشكلة ذاتها أو موضوعات وقضايا قريبة منها.
- ٢- الكتابات السياسية والتاريخية وغيرها من كتابات تعبر عن قضايا وأعمال تصبح مصدراً للأفكار ، وتذخر كثير من الكتابات برصيد هائل من مشكلات وموضوعات تصلح للبحث السياسي العلمي .
- ٣- نتائج البحوث والدراسات التي تنتمي إلى الحقل ، أو الجماعة العلمية ، وما تقدمه من إنتاج فكري يأخذ في التراكم ، ويكون مجالاً خصباً لتوليد الأفكار والمشكلات البحثية المتجددة .
- ٤- النظريات السياسية ، والنماذج والمفردات والموضوعات والقضايا الجديدة ، فنظريات وقضايا الحداثة ، والتحول الديمقراطي ، والعولمة ، وعصر المعرفة ، والنظام الدولي وحوار الحضارات ، ومشكلات كاليئة والمياه وحقوق الإنسان والأقليات والمرأة والفقر وغيرها ، وما يرتبط بها من نماذج وأطر تحليلية أو تنظيرية قد تكون مصدراً لمشكلات وموضوعات بحثية علمية ملائمة .

أما المصادر العملية فهي تشير إلى جوانب وأبعاد الحياة السياسية الداخلية ، والعالمية ، وما تشهده من تطورات ، فالحرب على العراق وقضايا أسلحة الدمار الشامل ، واضطهاد الأقليات ، ومآسي الصراعات العرقية ، وتطور القضايا كالعنف والصراعات المسلحة وغيرها مما يشهده العالم من تطورات ، قد تكون مصدراً له أهميته ومغزاه ، يمد الباحثين بمعين لا ينضب من الأفكار والمادة الملائمة لصياغة مشكلات بحثية وتساؤلات في بحوثهم ^(١) .

٧٠ - لعل أبرز أمثلة لذلك في الوطن العربي : تطور الصراع العربي - الإسرائيلي ، واجتياح إسرائيل لقطاع غزة في شباط ٢٠٠٨ ، والاحتلال الأمريكي للعراق ، والأوضاع الناجمة عن هذا الاحتلال ، كذلك الصراعات الدامية في أفريقية ، وتطور صورة العالم الإسلامي وغيرها من أمثلة يتناولها الباحثون في بحوثهم ورسائلهم العلمية بشكل واضح ومتزايد . ومصادر هذه الأمثلة متعددة ، تجمع

أما المصادر الذاتية للمشكلة البحثية فإنها تشير إلى الاهتمام الشخصي للباحث ، وميوله وقيمه وإرادته وما يمثله من خبرة ودارية ، وكذلك ملاحظة وتخصص واحتكاك علمي بالجماعة العلمية، في المؤتمرات واللقاءات العلمية ، وإن كان على الباحث أن يراعي ضرورة وجود حد أدنى من الموضوعية في تناول مشكلات تم اختيارها على أساس ذاتي أو شخصي .

ويمكن للباحث أن يشير في بحثه إلى مصادر بحثه والأسباب التي تقف من وراء اختياره وتحديدده للمشكلة البحثية ، ويوضح دلالتها وأهميتها النظرية ، وكذلك مغزاها الفعلي وقيمتها الفعلية أو التطبيقية ، الأمر الذي يضيف على المشكلة البحثية مكانتها وأهميتها كما يرغب منها الباحث .

وفي ما يتعلق بعمق التحليل ، فإن المشكلة البحثية التي لا تعبر عن مجال للتفسير والتحليل بشكل جاد ورصين ، ولا تدخل في إطار البحث العلمي أساساً ، مثل هذه المشكلات قد لا تتطلب خطة بحثية ومنهجاً علمياً وأدوات وإجراءات وعناصر العملية البحثية المتكاملة ، ومن ثم لا تصلح لأن تكون مشكلة بحثية بالمعنى الذي يفرضه البحث العلمي . فالوصف المبسط الذي يقتصر على سرد عدد من فئات خصائص نظام سياسي معين ، أو الأسئلة التي تفترض إجاباتها بنعم أو بلا ، دون تحليلات معمقة تنفذ إلى ما وراء المسائل السطحية ، وحتى المقارنات البسيطة لا تكفل في ذاتها وجود مشكلة بحثية ملائمة .

وهناك من يشير إلى دور تساؤلات البحث وفروضه في التحديد الأكثر دقة للمشكلة البحثية حيث تحمل صياغة التساؤلات البحثية في ثناياها تحديداً أكثر دقة للمشكلة البحثية ، وتوضيحاً أكثر لموضوع البحث وأبعاده ، وحدود المعالجة . من جهة أخرى ، فإنها قد تشير إلى فروض ومقترحات تدور حولها المعالجة .

كما يعتقد البعض بأهمية الفروض ، في بلورة وتحديد المشكلة البحثية ذاتها والفروض - وهو وفق هؤلاء . عبارة عن صياغة تعبر عن علاقة ممكنة بين عناصر نسق معين ، وأن تكون مثل هذه الصياغة بالشكل الذي يسمح باختبار هذه العلاقة إمبيريقياً (تجريبياً) - شرط ضروري في البحوث التجريبية المنضبطة ، ولذلك فإن خطة البحث يجب أن تتضمن قائمة بالفروض الأولية التي تنطلق منها الدراسة، ومثل هذه الفروض تسهم بدورها في بلورة تساؤلات البحث والمشكلة البحثية. والحياة الواقعية بطبيعتها تشهد تعقيدات واسعة ، وكثيراً ما يجد

بين المصدر العلمي والكتابات التنظيرية ، والتطورات الفعلية والكتابات السابقة التي عالجتها ، فضلاً عن اهتمامات الباحثين وخبراتهم وتوقعاتهم في إطار انتمايتهم لأمتهم وشعورهم بقضاياها وهمومها اليومية .

الباحث أن البيانات التي يقوم بجمعها لا تتناسب ولا تتلاءم مع الفرض الأصلي ، وقد لا يجد أمامه إلا أن يقوم بصياغة فروض جديدة أثناء عملية تحليل البيانات .

أما عن توافر الإمكانيات المتاحة اللازمة للعملية البحثية فهي ذات أهمية لإتمام وتكامل العملية في مجملها ، فيجب أن تتوفر لدى الباحث القدرات والمهارات والخبرة ، فضلاً عن الخلفية والعلمية والنظرية . كما يلزم توافر إمكانيات عديدة ومتنوعة ، فالنفقات لتمويل وشراء المراجع والحصول على المصادر المختلفة ، أو لجمع وتفرغ وتحليل البيانات وما تستلزمه من معالجة إحصائية قد يقوم بها متخصصون ، واستخدام الحسابات الآلية أو شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) والمواقع ذات الأهمية للبحث على الشبكة ، وغيرها من النفقات والإمكانيات قد تكون عاملاً حاسماً في استمرارية ونجاح الباحث أو توقفه وتعثر إتمام بحثه .

ثانياً - الشروط الشكلية . المشكلة البحثية وكذلك موضوع البحث وتساؤلاته ، بحاجة دائماً إلى عرضها في وضوح كامل ، وهذا يتطلب أولاً: أن يفهم الباحث مشكلة بحثه ، وذلك حتى يكون قادراً على التعبير عنها في لغة واضحة ومحددة ودقيقة ، وفي كلمات قليلة بقدر الإمكان ، بحيث يستطيع أي فرد آخر ، أو باحث ، أن يقرأها ويفهمها ويكون من السهل توصيل مضمونها للآخرين. وثانياً أن يعرض الباحث بوضوح ودقة مشكلته البحثية ، أي أن يختار الباحث كلماته بدقة وعناية ، للتعبير عن المشكلة دون لبس، من شأنه أن يوضح من ناحية الهدف من وراء العملية البحثية ، ومن ناحية أخرى يساهم بالوصول بهذه العملية إلى غايتها ، على نحو ملائم .
وثالثاً: فإن فهم الباحث للمشكلة البحثية وعرضها بوضوح سوف ييسر له متابعة خطوات البحث بدقة ، ويكون عندئذ قادراً على فهم وتحديد المصطلحات والمفاهيم والمؤشرات ، وصياغة الفروض ، وجمع وتنظيم وتحليل البيانات ، وغيرها من اعتبارات تكفل للعملية البحثية التكامل والنجاح .

ويقصد بالشروط الشكلية ، أي من حيث اللغة وطريقة العرض ، ومن بين أهم هذه الشروط :^(١)

- ١- عرض المشكلة البحثية في عبارات دقيقة واضحة محددة .
- ٢- تحليل المشكلة البحثية إلى عناصرها الأولية ، أو إلى مشكلات فرعية ، ويمكن للباحث ترجمتها في شكل تساؤل مركزي ، وتساؤلات فرعية .
- ٣- تحديد المسلمات التي تستند إليها المشكلة البحثية ، والتي بدونها لا يكون للمشكلة البحثية وجود . وقد يجد الباحث أنها مسلمات ليست بحاجة إلى برهان ، لكن التعرف على ما يسلم به الباحث أمر أساسي ، ويجب أن يكون واضحاً منذ البداية .

٧١ - القصبي، عبد الغفار ، مصدر سابق ، ص ٧١ .

٤- تحديد المصطلحات والمفاهيم وكذلك التعريفات والمؤشرات ، وهذا يتيح للعملية البحثية أن تسير في طريق النظر والاكتمال .

في حالة نجاح الباحث في تحديد وبلورة المشكلة البحثية ، فإنه يسهم في تحقيق أهداف ، أهمها :

- ١- تأكيد وحصر بؤرة المعالجة في البحث وبلورتها بشكل واضح ومحدد منذ البداية .
- ٢- مساعدة الباحث في صياغة تساؤلات البحث ، وقد يحلو لبعض الباحثين صياغة المشكلة البحثية ذاتها في شكل تساؤل جوهري للبحث ، وتكون مهمة البحث الإجابة عن هذا التساؤل خلال بحثه .

٣- توضيح الأبعاد المركزية للبحث ، والعناصر والمكونات الأكثر الأهمية ضمن حدود الموضوع .

فالظواهر السياسية بالغة الاتساع والتشابك ، وتتسم بالتعقيد والتركيب ، ويصبح تحديد المشكلة البحثية ذات أهمية كبرى تحدد مدى نجاح الباحث في تركيز جهوده وتوجيهها نحو بؤرة محددة ، وتوضيح عناصر ومكونات الموضوع التي يعالجها على نحو دقيق ، وفي صياغة الأسئلة المركزية في بحثه .

يقوم الباحث إذاً بتحديد المشكلة البحثية وفق العوامل السابقة وفي مقدمتها اهتمامه ومجال تخصصه من جهة ، وملاحظاته وما تؤكده من أهمية خاصة من جهة ثانية ، وفق عوامل كحدثة الموضوع أو بروز أهميته ، أو تبني مركز بحوث أو هيئة أكاديمية الموضوع ضمن برامجها البحثية ، ومن ثم توافر الإمكانيات وعوامل التشجيع التي تجذب الباحثين والطلاب إلى تناول الموضوع.

تمثل المشكلة البحثية الحافز الفكري الذي يقف عنده الباحث كالمراجعة العلمية ، والتي تجري لحل تلك المشكلة وما تثيره من تساؤلات . المشكلة البحثية يجب أن تكون محددة وواضحة ، فمثلاً : هل سوف يتحد العرب ، موضوع بالغ الاتساع غير محدد في ميدان معين - وحدة اقتصادية أم سياسية - أو في مدى زمني معين ، أو بشأن موقف أو قضية محددة ، كما لم يتناول شكل الاتحاد المنشود : هل وحدة اندماجية أم اتحاد فيدرالي أم مجرد إطار كونفدرالي . وهكذا ، فإن مثل هذه المشكلة تقتصر إلى الوضوح والتحديد ، ولا توجد كما يلاحظ القارئ بؤرة بحثية تدور حولها ، مما يضيف إلى اتساعها وإبهامها أبعاداً إضافية تبعدها عن إمكانية البحث العلمي الرصين .

والموضوع المحدد له مزاياه ، وبؤرة البحث التي تدور حولها المعالجة ، مما ييسر دراسته بصورة عميقة وواقعية ، ويتطلب من الباحث عند تحديد الموضوع أمران ، هما : تحديد الموضوع يتطلب من الباحث : (١)

أولاً : أن يحدد بدقة الجوانب والأبعاد ، أو العناصر والمكونات التي يتناولها في بحثه ، فعلى سبيل المثال، إذا اختار الباحث موضوع بناء المؤسسات ، فإن عليه أن يحدد ما هي هذه المؤسسات - هي أحزاب سياسية، أم جمعيات أهلية أم هيئة تشريعية - ثم يحدد معايير عملية البناء ، وهل تشمل فقط معايير المؤسسة وفق هنتنغتون ؛ والتي تشمل الاستقلال والتكيف والتماسك والتعقيد ، أم تشمل معايير الانفتاح على الخارج والابتكار وغيرها،

ثانياً : أن يحدد الفترة الزمنية محل الدراسة ، ليتسنى اكتمال محددات المشكلة البحثية ، وفي مثالنا يكون بناء المؤسسات أولاً في سورية ، وثانياً في فترة قيادة البعث العربي الاشتراكي (من ١٩٦٣ م) أم في العقد الأخير فقط ؟ أم سوف يختار نقطة تحول زمنية في تطور المؤسسات السورية ، كقيام الحركة التصحيحية (١٩٧٠/١١/١٦) ، أو صدور قانون لتنظيم الأحزاب أو غيرها من معايير تحديد الفترة الزمنية ويشترك في هذه المعايير :

- ١- الوضوح والدقة في تحديد بداية الفترة ونهايتها .
- ٢- ارتباط هذا التحديد بمعايير قوية ، أو بأحداث فارقة ومميزة .
- ٣- أن يتضمن مشروع البحث أو خطته بياناً بأسس التحديد الزمني والموضوعي للمشكلة البحثية .

والحقيقة ، إن تحديد المشكلة البحثية بدقة وبشكل ناجح ، ينعكس بدوره على العملية البحثية بمختلف مراحلها ، وحتى تصل إلى نهايتها بنجاح .

٦ . ٤ . التساؤلات البحثية :

هناك من يعتقد أنه من الأفضل عادة أن يقوم الباحث بصياغة المشكلة البحثية في صورة قائمة متتابعة من التساؤلات البحثية ، خصوصاً في مرحلة التخطيط للبحث ، وقد يكون بين هذه القائمة واحداً أو أكثر من التساؤلات المركزية ، وبقية القائمة تكون تساؤلات فرعية أو أقل أهمية .

وتكون هذه التساؤلات البحثية عادة في شكل مبسط وواضح ، بمعنى سهولة فهمها دون الإلمام بتعريفات ومصطلحات أو مناهج ونظريات معينة ، والتساؤلات الواضحة تختلف عن تلك الغامضة أو المبهمة ، فالأخيرة قد تشير إلى إمكانية أن يفقد الباحث الرؤية الواضحة في اتجاه

٧٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٧٢ - ٧٣ .

تحقيق هدفه من البحث ، خلال عمليات جمع وتنظيم وتحليل المعلومات ، من ثم يلزم على الباحث أن يطرح تساؤلات واضحة ، وأيضاً واقعية ، ويلخص بعض الباحثين شروط التساؤل البحثي الجيد في جانبين :

• أولهما : أنه يتطلب إجابة محددة وقاطعة .

• ثانيهما : يترتب على الإجابة عن السؤال تقدماً في اتجاه تحقيق أهداف البحث .

فكم أدى السؤال الغامض الذي يفترض إجابات غامضة غير محددة - في شكل إدعاءات غامضة من قبيل : لقد ازداد فهمنا للظاهرة ، أو تشير النتائج إلى ضرورة إجراء مزيد من البحوث حول الموضوع ذاته - كم أدى إلى إخفاق الباحث ، وفشل العملية البحثية في مجملها .

وقد يطرح الباحث تساؤلاته البحثية بعد تحديد مشكلة البحث ، وقد تكون الطرق الأكثر نجاحاً في تحديد مسارات العملية البحثية هي صياغة وتوجيه الأسئلة أو التساؤلات البحثية ، وذلك وفق عاملين :

أولهما : إن السؤال البحثي المركزي من شأنه أن يحدد المعالم الأساسية للمشكلة البحثية ، ويوضح مضمون هذه المشكلة ، وتصبح غاية البحث الأساسية هي الإجابة عن هذا التساؤل المركزي .

ثانيهما : إن الأسئلة ، أو التساؤلات البحثية ، قد يمكن ترجمتها في شكل فروض أساسية للبحث ، وتشكل أساساً للإطار النظري الذي تجري من خلاله معالجة موضوع الدراسة .^(١)

والمعروف أن الظاهرة السياسية ، وموضوعات البحث ، قد تثير جوانب وأبعاداً متعددة ، وتسهم التساؤلات في تحديد أولوية هذه الجوانب ، وأي الجوانب تكون محل الاهتمام الأول للباحث ، وأيها يكتفي بمرتبة ثانوية أو فرعية. مثال ذلك : موضوع الفراغ الرئاسي في لبنان منذ خريف ٢٠٠٧ كمثال مطروح بقوة للدراسة ، فهذا الموضوع له أبعاده المختلفة . وربما يكون هدف الباحث إجراء دراسة استطلاعية حول الموضوع ، أو معرفة العوامل الأساسية التي أدت إلى احتدام أزمة انتخاب رئيس الجمهورية في لبنان؟ أو كيف تسببت الاستقطابات الدولية والإقليمية إلى تفاقم الأوضاع في لبنان إلى حد الخوف من حدوث مواجهة عنيفة بين قوى المعارضة وقوى السلطة ؟ مثال آخر ، موضوع جنوب السودان - كمثال من أمثلة كثيرة أثارها مناقشات الطلاب خلال المحاضرات واللقاءات العلمية والتي يمكن استعراض بعض منها هنا ليتمكن انتقادها - له جوانبه المتشابكة والمتعددة ، وأبعاده الواسعة والمتنوعة ، وقد يكون هدف الباحث إجراء بحث

٧٣ - القصبي ، عبد الغفار ، مصدر سابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .

استطلاعي حول الموضوع ، أو وصف الأوضاع التي تجري في جنوب السودان وشماله ؟ أو استكشاف أبعاد الموضوع وتعقيداتها ، أو مرحلة علاقات إرتباطية ، ما هي المتغيرات الأساسية التي أدت إلى احتدام القضية ؟ أو كيف تسببت المظالم التوزيعية - المرتبطة بعدالة توزيع عوائد وتكلفة التنمية بين الشمال والجنوب ، أو بين أقاليم الجنوب والغرب ، والشرق والشمال - بتفاقم الأوضاع ؟

وقد تطرح تساؤلات أخرى منها : ما طبيعة العلاقة بين دول الجوار ومناطق السودان المختلفة ؟ أو بين قوى خارجية كبرى ، أو كيانات أخرى تأخذ شكلاً دينياً أو إنسانياً مثلاً ، أو جماعات للعنف أو دولة " كإسرائيل " ، وبين التطورات المختلفة في السودان ؟ في هذا السياق تبدو الأهمية الخاصة لتحديد وبلورة المشكلة البحثية .

والسؤال المركزي له أهمية كبرى في تحديد بؤرة البحث الرئيسية . وقد يصبح ترجمة للمشكلة البحثية بشكل محدد وواضح . وينتقل الباحث عادة من هذا السؤال المركزي إلى العديد من الأسئلة الفرعية ، التي تتولد عن السؤال الرئيسي ، ليتناول كل منها أحد الأبعاد ، أو العناصر والمكونات الفرعية .

ففي موضوع الفراغ الرئاسي في لبنان قد تتحرر المشكلة البحثية باعتبارها تدور حول تداعيات اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري وما شهدته لبنان من أزمات واغتيالات وانقسامات حادة . وقد يتحدد السؤال المركزي باعتباره يتناول : كيف أدى اغتيال " الحريري " إلى ما يشهده لبنان من أزمات حول مؤسسة الرئاسة ومدى شرعية حكومة فؤاد السنيورة بعد انسحاب الوزراء " الشيعة " منها ؟ وقد تطرح تساؤلات أخرى منها : ما علاقة الدول العربية البارزة بالأزمة اللبنانية ؟ أو علاقة فرنسا والولايات المتحدة بالأزمة ؟ أو علاقة " إسرائيل " بما يحدث في لبنان ؟ أما فيما يتعلق بموضوع جنوب السودان قد تتحدد المشكلة البحثية باعتبارها تدور حول التداعيات التي وصلت إليها أوضاع الجنوب وما شهدته من حروب وضحايا وانفصال واقعي عما تشهده بقية أقاليم السودان ، وقد يتحدد السؤال المركزي باعتباره يتناول : كيف أدت المظالم التوزيعية التي يشعر بها أهل الجنوب إلى تفاقم الصراع . ويبدأ الباحث في صياغة تساؤلاته الفرعية منها على سبيل المثال : ما نوع المظالم التي يشعر بها أهل الجنوب ؟ وما مدى ارتباطها بتوزيع الخدمات والمرافق ، الدخول والثروات بين الشمال والجنوب ؟ هل ثمة مظالم أخرى ؟ ما مصدر هذه المظالم (اضطهاد عربي أو إسلامي لسكان الجنوب من الأفارقة أو غير المسلمين - تمييز على أسس عرقية أو إقليمية ...) .

و يصوغ باحث آخر سؤالاً محورياً حول تطور أو نجاح المفاوضات التي تمت في كينيا؟ كما يصوغ الباحث أكثر من تساؤل مركزي واحد ، في هذه الحالة يبدو أن مشكلته البحثية تدور حول محورين أو ثلاثة ، وهكذا يتم التعبير في سؤالين أو ثلاثة عن هذه الأبعاد أو

المحاور، ففي مثالنا عن أزمة مؤسسة الرئاسة في لبنان بعد انتهاء ولاية الرئيس " أميل لحود " ،
قد يطرح الباحث ثلاثة أسئلة مركزية : لماذا توقف الحوار الوطني اللبناني ؟ وما سبل إيجاد
حكومة وحدة وطنية ؟ وما توقعات استمرار الأزمة الرئاسية في لبنان، وما هي انعكاساتها
المستقبلية ؟ . وفي مثالنا حول جنوب السودان قد يطرح الباحث ثلاثة تساؤلات مركزية : كيف
تطورت المفاوضات ؟ ولماذا نجحت ؟ وما هي توقعاتها وانعكاساتها المستقبلية ؟

ويبدأ الباحث في صياغة تساؤلات فرعية لكل سؤال مركزي ، على نحو مشابه كما يلي :

السؤال : كيف تطورت المفاوضات حول جنوب السودان ؟ ويتفرع عنه أسئلة من أمثلتها : ما
موقف كل طرف ؟ وهل لجأ إلى تكتيكات أو تهديدات معينة ؟ هل أقدم على سحب ممثليه في
التفاوض ؟ أم لجأ إلى المهادنة ؟ وكيف جرت إدارة العملية في مراحلها ؟

السؤال : لماذا نجحت ؟ ويتفرع عنه أسئلة من أمثلتها : هل وجدت قناعة بأهمية انتهاء المعاناة
نتيجة استمرار الصراع والحروب ؟ هل وجدت وساطة ومحاولات للتوفيق ؟ وهل مورست ضغوط
محلية أو إقليمية أو دولية ؟ وهل أخذت شكل عقوبات أم مساعدات ؟ وما هي ؟ وهل ثمة
متغيرات جديدة طرأت على الموقف ؟

السؤال : ما التوقعات والانعكاسات المستقبلية بشأن انفراج المشكلة ؟ ويتفرع عنه أسئلة من
أمثلتها : ما شكل السودان الجديد (فيدرالي أو اتحادي أو موحد) ؟ وما شكل العاصمة القومية
؟ هل ثمة صيغة توليفية توزع فيها على أساس عادل العوائد على الأقاليم المختلفة ؟ أم هل
سيستمر الانقسام والصراعات مع ما تحمله من مخاطر ؟ أو ينفصل الجنوب ؟ وما مدى إمكانية
استمرار الأوضاع الراهنة كما هي ؟

ثمة أمثلة أخرى لمشكلات بحثية – أثارها بعض الطلاب والباحثين في قاعات المحاضرات

– منها على سبيل المثال :

المشكلة البحثية الأولى : ما أهم نتائج امتلاك إيران لأسلحة الدمار الشامل ؟ ويمكن أن يتفرع
عنها قضايا منها : تحدي إيران للغرب ، وعلاقتها بالدول الإسلامية ووصول رجال الدين للحكم
، البرنامج النووي والتطور التكنولوجي العسكري وإمكانات إيران الحقيقية ، وأهدافها .

المشكلة البحثية الثانية : العنف السياسي في الجزائر : ما طبيعته وتأثيراته ؟ وماذا يتفرع عنه
قضايا، فمنها ما يتعلق بإخفاق الديمقراطية الليبرالية في دولة عربية أو إسلامية ؟ وأخرى تتعلق
بموقف الجيش والقوى السياسية المختلفة بما فيها السلطة من إمكانية وصول أحزاب إسلامية
للحكم ؟ وقضايا تنبئها إمكانات المستقبل ومشاهد ترسم دور الإسلاميين في هذا البلد ، وبطء
التحول الديمقراطي فيه ، وفي الدول العربية عامة .

المشكلة البحثية الثالثة : أهم أبعاد وتأثيرات مشكلة البطالة في مصر ، وما يتعلق بها - فعلى سبيل المثال - تساؤلات حول الآثار السياسية ، وقضايا الشباب ، وتطورها الاقتصادي والتكنولوجي والسياسي .

المشكلة البحثية الرابعة : تعثر أو إخفاق التحول الديمقراطي في مصر ، وتثير تساؤلات منها: ما يتعلق بالحقوق والحريات السياسية ، وبالإصلاح الدستوري ، والحزبي ونزاهة الانتخابات ، وقضايا التدرج في الإصلاح أو التحول الشامل ، وإخفاق محاولات التحول الديمقراطي في السابق ومشاهد المستقبل .

وفي الواقع ، إن طبيعة الأسئلة البحثية التي يطرحها الباحث تحدد إلى درجة كبيرة نمط الدراسة التي يقوم بها ، كأن تكون دراسة وصفية أو استطلاعية ، أو تحليلية ، كذلك قد تدفع طبيعة الأسئلة الباحث إلى استخدام منهج أو أداة بحثية معينة ، كما تعكس عادة محاور الدراسة وأقسامها الرئيسية .

الفصل السابع

مصادر البيانات وتوثيق البحث

- ٧-١ - البيانات الميدانية
- ٧-٢ - الإحصاءات الرسمية
- ٧-٣ - الوثائق
- ٧-٤ - جمع البيانات من المراجع
- ٧-٥ - أنواع الاقتباسات
- ٧-٦ - المراجع والتوثيق العلمي
- ٧-٧ - اعتبارات الدقة والأمانة
- ٧-٨ - قائمة المراجع

يتم جمع البيانات وفق مصدرين : أولهما : المكتبة حيث المراجع والبحوث والكتابات التي تتضمنها ، سواءً في شكل كتب أو دوريات ^(١) ، أو نشرات ومطبوعات مختلفة ، وثانيهما : البيانات الميدانية والتي ترد خلال قيام الباحث ، ومساعديه بالملاحظة أو المقابلة أو توجيه أسئلة الاستبيان إلى المبحوثين .

والبيانات تمثل المدخلات ، أو المادة الخام ، اللازمة لإنتاج المعلومات المستخدمة في الدراسة والبحث، أي أنها " مجموعة الحقائق " الأولية التي يتم جمعها تمهيداً لاستخدامها ، وقد تكون في شكل أرقام أو رموز أو عبارات أو مصطلحات تمثل أحداثاً أو قيماً أو كميات أو أهداف .

البيانات الميدانية :

هي البيانات التي مصدرها أدوات البحث الميدانية ، كالمقابلة والملاحظة والاستبيان ^(٢) ، فالملاحظة والتي قد تكون مباشرة أو غير مباشرة ، معلنة أو مستترة ، معدة سلفاً أو غير معدة سلفاً ، تفترض تدوين وتسجيل ما تسفر عنه ، بطرق التسجيل المختلفة . والمقابلة واستطلاعات الرأي أيضاً تيسر الحصول على معلومات وبيانات يصبح على الباحث الوقوف على جمعها وتنظيمها وتفريغها تمهيداً لتحليلها وتفسير ما تشير إليه .

الإحصاءات الرسمية : والتي تصدرها هيئات حكومية عادة ، وفي معظم دول العالم تنشر الحكومات نوعاً واحداً أو أكثر من الكتب السنوية الإحصائية ، كذلك الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ، وقد تصدر بعض الجهات غير الحكومية ، أو المشروعات تقاريرها السنوية متضمنة كماً هائلاً من المعلومات والبيانات .

وتكاد تكون نفقات هذه الإحصاءات لا تذكر ، وكثيراً ما تتاح للمتخصصين بيانات أكثر تفضيلاً من الإدارات المسؤولة عن إصدار مثل هذه الإحصاءات ، إلا أن ما نشر في شكل

٧٤ - من أشهر الدوريات المعروفة في علم السياسة

- American Political Science Review .
- Comparative Politics .
- Political Theory .
- World Politics .
- Public Opinion Quarterly .
- Political Science Quarterly .
- British Journal of Political Science .
- The Journal of Politics .

ومن الدوريات العربية : مجلة السياسة الدولية والإصدارات المختلفة التي تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ومجلة العلوم الاجتماعية تصدرها جامعة الكويت ، فضلاً عن إصدارات مراكز البحوث بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

٧٥ - يضيف البعض إلى هذه المصادر الوثائق المكتوبة كالسجلات الرسمية والبرامج والموازنات والإحصاءات الرسمية وغيرها من وثائق ، سواء كانت جارية زمنية سابقة .

إحصاءات رسمية يمثل تراكمًا بالغ الضخامة ، ويرد عليها بعض الانتقادات لما تتسم به من أوجه نقص ، من أهمها :

١- رغم فائدتها إلا أنها غالباً ما تحتاج إعادة معالجة وترتيب لتلبي حاجات الباحث ومتطلبات العملية البحثية الخاصة به .

٢- قد لا تغطي أوجهاً محددة يحتاجها الباحث ، وبعض البيانات ذات الصلة بالمشكلات البحثية في عالم السياسة قد تكون نادرة أو غائبة أصلاً .

٣- عدم الدقة ، فرغم الطابع الرسمي للإحصاءات فإنه قد لا يكون دقيقاً ، ولا يستطيع الباحث مراجعة أو التأكد من الإجراءات التي اتبعت في جمعها وتنظيمها .

٤- قد تخضع بعض البيانات للتلفيق ، أو تصاغ بشكل يتمشى وما تعلنه الحكومات ، مثلاً حساب معدلات التضخم قد يتم وفق طرق وتقديرات لا تعبر بدقة عن الواقع وعدد الأحزاب السياسية وما يرتبط بها من وثائق قد لا يعبر عن تعددية حزبية حقيقية .

وقد يجد الباحث ضرورة الاستعانة بمثل هذه الإحصاءات ، رغم ما تحمله من أوجه نقص وعيوب ، ويصبح على الباحث في مثل هذه الحالة أن يكون يقظاً ، يعالج مثل هذه المثالب ، باعتماد بيانات متعددة المصادر ، أو بإدخال أوجه النقص ضمن الاحتمالات التي يثيرها تنظيم وتحليل البيانات التي يستخدمها .

٣ . ٧ . الوثائق :

تتميز المجتمعات المتقدمة بتوافر قدر كبير من المعلومات والوثائق لديها ، سواء ما يتعلق بالأفراد أو بالجماعات والمنظمات فضلاً عن الدولة أو المجتمع ، وما يرتبط بكل مستوى من أنشطة وسجلات وعلاقات .

فالباحث يحتاج إلى مثل هذه الوثائق في بحثه ، وهو ما يختلف من بحث آخر وفقاً لموضوع البحث والمشكلة البحثية، فالباحث الذي تدور تساؤلاته حول زعيم أو قائد سياسي ، أو تنظيم أو مؤسسة كحزب أو هيئة تشريعية مثلاً ، يكون في حاجة إلى بيانات حول الزعيم أو الحزب أو المؤسسة التشريعية .

٣ . ٧ . أنواع الوثائق :

يُميز البعض بين نوعين من الوثائق والسجلات فردية أو شخصية ، أو جماعية أو تتعلق بمنظمات ومؤسسات مختلفة :

(١) السجلات الفردية لها أهميتها ، وقد تشمل شهادات الميلاد ونتائج الامتحانات وشهادات الخبرة وسجل دخول وقراءات المكتبة وحسابات البنوك وقوائم العضوية في جمعيات أو مؤسسات

وهيئات ، والخطابات ونصوص الخطب والكلمات وملفات الثروات ، الأوسمة ، الهيئات والمنح ، المؤسسات العلاجية أو القانونية أو العسكرية وغيرها .

(٢) سجلات أو وثائق المنظمات أو المجتمع تتراوح من النظام الأساسي والقواعد التنظيمية إلى وثائق التأسيس والسجلات المالية ومضابط الجلسات وشروط العضوية ومعايير العمل بالمؤسسة ووقائع الاجتماعات واللقاءات وغيرها .

وقد تكون الوثائق موضع اهتمام - الفرد أو المؤسسة أو المجتمع - فتتخذ إجراءات وضمانات من أجل دقة وسلامة المعلومات الخاصة بها . وفي هذا الإطار قد يميز البعض بين الوثائق الأولية ، وتتضمن معلومات مباشرة من صاحب الوثيقة ، أو وثائق ثانوية ، التي تحوي معلومات مستخلصة من وثيقة أخرى . وتعتمد أهمية الوثائق في البحث على المنهج المستخدم ، وتلعب الوثائق أهمية خاصة مثلاً من خلال المنهج التاريخي ، أو منهج دراسة الحالة ومتابعة تطوراتها .

من المصادر وكذلك بعض الإجراءات المنهجية الخاصة ، منها تمثيل بعض الأحداث ، أو نماذج المحاكاة ، والتي تستخدم أحياناً على نحو متكرر وقد يشارك فيها عدد من الباحثين والعاملين في المؤسسات أو الشخصيات ذات الأهمية في الأحداث . مثال ذلك نموذج محاكاة مجلس الشعب أو جامعة الدول العربية والتي يتم تطبيقها بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة ، ويحضرها إلى جانب عدد من الطلاب والمهتمين شخصيات وقيادات بارزة ، كرئيس مجلس الشعب ، أو أمين عام جامعة الدول العربية ، الأمر الذي يضفي أهمية خاصة على مثل هذه النماذج .

٧ . ٤ . جمع البيانات من المراجع (المكتبة كمصدر) :

تعتمد جميع البحوث على المكتبة كمصدر للبيانات والمعلومات ، بما في ذلك البحوث الميدانية التي تحتاج في إطارها النظري إلى الكتب والدوريات ، والأدبيات السابقة ، من هنا لا غنى للطالب أو الباحث عن مكتبة بحثية توفر له دعماً أساسياً في العملية البحثية بمراحلها المختلفة .

وتتضمن المكتبة قوائم مفهومة بالكتب والدوريات ^(١) ، والإصدارات المختلفة الأشكال ، ابتداء من الكتيبات والنشرات إلى دوائر المعارف والقواميس الشهيرة . كما أضحت كثير من المكتبات

٧٦ - يقصد بالدوريات المجالات العلمية ، والكتب والتقارير السنوية ، وتنتشر المجالات كثيراً من الموضوعات التي لا تنشرها الكتب ، بشكل دوري ومتخصص ، فتصبح مصدراً رئيسياً لمثل هذه المعلومات ، أما الكتب والتقارير الدورية - ومن أهمها تقارير التنمية

توفر لعملائها خدمات مكتبية حديثة وغنية عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، كما تضم المكتبة عادة قسماً للرسائل العلمية (١) .

ورغم ما تقدمه المكتبة ، والعاملون بها ، من إرشاد للطلاب والباحثين ، فعلى الباحث إعداد قائمة أولية بالمصادر الأساسية في بحثه ، يمكن تطويرها وتحديثها خلال مراحل العملية البحثية، كما ويسترشد الباحث عادة بالأدبيات السابقة من خلال وما ورد بها من قوائم بالمصادر ، أو زملائه والجماعة العلمية التي ينتمي إليها ، فيمكن للباحث أن يستفيد بآراء هؤلاء وإرشادهم ، فضلاً عن الاهتمام بالهوامش التي يطالعها أثناء قراءاته ، والرجوع إليها للاستعانة بها في إعداد الخطة البحثية .

من الضروري أن يكتسب الباحث القدرات الأساسية التي تكفل حسن استخدامه للمراجع ، والمهارة في القراءة والاختيار ، فيتعلم أنواعاً ودرجات للقراءة السريعة أو العابرة، والدقيقة المتحصنة، فهو لا يقرأ تفصيلات كل شيء بدقة ، في كل المصادر أو المراجع ، وهو لابد وأن يقرأ قراءة ناقدة، وينتقي ، ويركز انتباهه . ويتوقف هذا الانتقاء على قدرات الباحث من جهة ، وعلى طبيعة المادة المطلوبة ، ومرحلة البحث التي يمر بها في بحثه .

ففي المرحلة الأولية يفضل إعداد قائمة مراجع أولية ، يركز الباحث على عدد محدود منها بحيث يكفي لإعطاء الباحث نظرة شاملة للمشكلة ، وأبعادها ، وقد يوسع من قراءاته حتى ينتهي من إعداد خطة البحث ، بحيث تتضح أمامه مقومات وعناصر العملية البحثية متكاملة .

كذلك ينبغي على الباحث أن ينظم وقته أثناء وجوده بالمكتبة ، ليحقق أقصى استفادة ممكنة . ويمكن للباحث ، في المكتبات التي تستخدم الحواسيب الآلية ، أن يقوم بنفسه بالبحث عن مواقع المراجع باستخدام الحاسب ، عن طريق نظام فهرست هذه المراجع ، وعادة ما يكون ذلك وفق الترتيب الأبجدي لاسم المؤلف ، أو الترتيب الأبجدي لعنوان المرجع . (٢)

البشرية والبنك الدولي ، والتقرير الاستراتيجي للأهرام على سبيل المثال - فتضم مثل هذه التقارير أحدث البيانات والإحصاءات والتطورات في ميادين مختلفة، سياسية واقتصادية واجتماعية .

٧٧ - تمثل هذه الرسائل والأطروحات العلمية أهمية خاصة للطلاب والباحثين المبتدئين ، فهي تمثل محصلة تجربة مفيدة لهؤلاء مما يجعلها أكثر فائدة، ليس فقط كمصدر للمعلومات ، وإنما في التعرف على تجارب الآخرين في صياغة الخطط البحثية الملائمة ، بعناصرها ابتداء من تحديد الموضوع والمشكلة البحثية إلى تحديد وصياغة الإطار النظري صولاً إلى النتائج .

٧٨ - أو حسب الموضوع ، وأحياناً حسب كلمات مفتاحية على الباحث انتقاؤها بعناية ، على سبيل المثال عند البحث عن كتاب لوشيان باي وعنوانه " أوجه التنمية السياسية " ، فيتم البحث كما يلي :

أولاً : عن طريق اسم المؤلف مقلوباً كما يلي : Pye, Lucian W .

ثانياً : عنوان الكتاب : Aspects of Political Development

ثالثاً : الموضوع : Political Development

لتيسير عملية جمع وتصنيف البيانات ، يقوم الباحث باستخدام البطاقات ، بحيث تحمل كل بطاقة فكرة واحدة يسبقها عنوان للفكرة ، ومصدرها [بيانات المرجع بما فيها رقم الصفحات، كما في الشكل المرفق بطاقة المعلومات] ^(١) .

ويمكن للباحث ترتيب البطاقات ترتيباً مستقلاً ، وفق تسلسل الأفكار الذي يضعه الباحث ، فيكون لديه إمكانية أن البدء بالكتابة دون الرجوع إلى المصادر الأصلية، مع مراعاته لشروط وقواعد الاقتباس ، والتلخيص أو الاستفادة من المراجع المختلفة، وكثير من البحوث يثبت عدم أصالتها بسبب عدم احترام هذه الشروط والقواعد .

٥ . ٧ . أنواع الاقتباسات :

- يراعى وجود مستويات في النقل عن المراجع والاقتباس منها وفقاً لأنواع الاقتباسات :
- ١- نقل المحتوى مباشرة من المصدر ، وهذا محظور إلا في حدود ضيقة تماماً ، ووفق إشارة واضحة تفقد النقل الحرفي ، ويجب تجنب مثل هذه الاقتباسات بقدر الإمكان (Ferre ١٩٨٣ : ٨٢).
 - ٢- نقل ملخص النقاط المركزية من أفكار يتم تلخيصها تماماً - أو ما يسمى بالهيكل العظمي للمحتوى Skeletal of Outline Note [انظر الشكل رقم (٤) بطاقة هيكل المحتوى] .
 - ٣- تلخيص أكثر إسهاباً للعناصر الأساسية التي تناولها الكاتب في مؤلفه حيث يغطيها الملخص بشكل تقريبي .
 - ٤- تعليق ونقد ، وهذا أفضل للباحث ، فالقراءة هنا تتجاوز مرحلة النقل والاقتباس إلى مرحلة التحليل والتمحيص ، وإضافة رؤية أكثر عمقاً واتساعاً ، وإثارة التساؤلات حول أفكار المؤلف الذي نقرأ له ، ونتائج مؤقتة - يتم تطويرها - حول أفكاره .
- إن التراكم العلمي لا يتحقق من خلال النقل والاقتباس ، وإنما من خلال النقد والتصحيح ، والإضافة والحوار ، والتحليل والتوفيق . والباحث عليه أن يكتسب مهارة في تجاوز نص بعينه ،

رابعاً : الكلمات المفتاحية : من أمثلتها :

Political Change & Political Modernization & Institution Building & Democratization

كما تتبع المكتبة عادة نظاماً محدداً للرجوع إلى المجالات العلمية والدوريات فيها بسهولة ، وفي حالة عدم وجود المقال أو المرجع بالمكتبة ، قد يستطيع الباحث من خلال الحاسب الآلي الوصول إلى ذلك المرجع : فبعض المكتبات المتطورة تتيح للباحث إمكانية الاستعارة من مكتبة أخرى عن طريق الحواسيب ، وبعضها الآخر يمكن الباحث عن طريق شبكة الانترنت من الحصول على مراجع لا تضمها المكتبة ، سواء كاملة ، أو مستخلصات منها ، وذلك وفق قنوات ونظم محددة . ويسير عدد متزايد من المكتبات إلى تقديم مثل هذه التسهيلات للباحثين .

٧٩ - بالنسبة للكاتب يسجل الباحث : اسم المؤلف وعنوان الكتاب ومكان النشر ودار النشر وسنة النشر ورقم الطبعة . وبالنسبة للمقالات يسجل : اسم المؤلف وعنوان المقال واسم المجلة ورقم المجلد ورقم العدد وتاريخ صدوره ، وصفحات المقال . وفي الحالتين قد يسجل اسم المكتبة الموجود بها المصدر ورقمه على الأرفف .

، ليكون عضواً مرموقاً في جماعته العلمية ، التي تقوم على تعدد الرؤى والوضوح والشفافية ، والنقد البناء ، والتصحيح وتكامل جهود الباحثين وتضافرها . حيث يضيف بعضهم إلى بعض في سياق من الأمانة العلمية ، واحترام آراء وحقوق وملكية الآخرين فيما يكتبونه وينشرونه . ويفضل أن يعبر الباحث بأسلوبه الخاص عن الأفكار ، أو يختصرها ، وقد يضيف في مكان خاص تعليقه عليها أو تعديلات من عنده . وفي بعض الحالات قد يقوم بالاقتباس ، عندما تكون العبارات المنقولة ذات أهمية خاصة . وفي هذه الحالة يوضع الاقتباس بين علامتي تنصيص كما هو بالأصل . وفي حالة الحذف يضع مكان ما حذفه ثلاث نقط متتالية ، وإذا أضاف يضع ما يضيفه بين قوسين .

بيانات الكتاب بالمكتبة	اسم المؤلف سنة النشر عنوان المرجع مكان النشر واسمه
ص...ص	_____

ملاحظات (اقتباس / عنوان فرعي)	

شكل (٣) مثال لتصميم بطاقة معلومات

الأصل _____ _____ (اسم المؤلف السنة : رقم الصفحة)
عنوان الفكرة عناصرها الأساسية (هيكل المحتوى) : _____ _____ (رقم الصفحة بالأصل)

شكل (٤) مثال لتصميم بطاقة هيكل المحتوى

المصدر : ٨٣ : ١٩٩٣ Ferre

٧ . ٦ . المراجع والتوثيق العلمي للبحث :

يتناول هذا الجزء ثلاثة عناصر أساسية على النحو التالي :

أولها : ويتعلق باعتبارات الدقة والأمانة العلمية في استخدام المراجع .

وثانيها : يتعلق بكيفية الإشارة في المتن ، أو خلال سياق البحث ، إلى المراجع .

وثالثها : ينصب على قائمة المراجع والمصادر التي ترد عادة في نهاية البحث أو الرسالة العلمية .

٧ . ٧ . اعتبارات الدقة والأمانة العلمية :

تقتضي الأمانة العلمية أولاً احترام الباحث لحقوق الملكية الفكرية للآخرين ، ومعنى هذا أن يذكر المرجع الذي نقل عنه ، وثانياً أن يقرأ بنفسه جميع المراجع التي أوردتها كمصادر في بحثه ، وثالثاً أن يذكر ، في حالة تعذر المصدر الأصلي ، واسم المرجع الذي نقل اسم هذا المرجع الأصلي نقلاً عنه ^(١) .

وافتراد الأمانة العلمية ، والدقة ، يعني عدم إعطاء كل ذي حق حقه ، وإهدار حقوق المؤلف . بالرغم من ذلك ، قد يلجأ بعض هؤلاء الباحثين ، دون أن يكونوا قد اطلعوا على هذه الأصول بأنفسهم ، واقتصروا على المرجع المنقول عنه ، وفي حالات كثيرة تكون هذه المراجع بالإنجليزية ، بينما المراجع المنقولة عنه بالعربية ، ويصبح مثل هؤلاء الباحثين أمام خيارين ، كلاهما غير مقبول : إما تجاهل المرجع المنقول عنه (عادة بالعربية) وفي هذا إهدار كامل لحقوقه ، وللامانة والدقة التي تميز الباحثين . وإما أن يذكر المرجع (بالعربية) والمصادر الأصلية (باللغة الأجنبية) وفي هذا دليل على عدم تحمل الباحث عناء الرجوع للمصدر الأصلي بسبب قد يكون مشقة القراءة بلغة أجنبية . وكلا الخيارين يعرض الباحث ، وعمله ، لانتقادات قاسية ، بل وشكوك في الصفة العلمية لمثل هذا السلوك غير الأمين .

وهناك من يرى أن الأمانة العلمية تقتضي أن يذكر الباحث فقط المصادر التي اطلع عليها ، واستخدمها بشكل جوهري في الموضوع ، لصلتها الوثيقة . أما المصادر التي ترد عرضاً ، ولم يستند إليها في بحثه بشكل أساسي ، أو التي تعد ذات صلة هامشية بالموضوع ، فلا داعي لأن تضمها القائمة . فلا يعقل أن يستخدم الباحث قائمة المراجع كأداة لتضخيم جهده شكلاً ، أو خلق انطباع باتساع المصادر التي استخدمها .

الإشارات المرجعية في المتن :

الطريقة التقليدية للإشارة إلى المرجع في المتن أي خلال سطور البحث هي أن يوضع رقم عقب انتهاء المعلومة المنقولة عن المرجع مباشرة ، ويدون هذا الرقم كهامش (بنط أصغر) أسفل

٨٠ - ويشير إلى ذلك عند ذكر المرجع من خلال عبارة (نقلاً عن) وبالإنجليزية cited after أو اختصارها c.a. .

الصفحة. أو في نهاية الجزء من البحث ، سواءً كان فصلاً أو باباً ، أو في نهاية البحث ، ثم تكتب بجوار الرقم بيانات المرجع وفق الترتيب التقليدي المعروف ^(١) .

وثمة طرق أخذت تنتشر ، حديثاً نسبياً - وتشتت بعض المجالات العلمية أن تجري صياغة البحث وفقاً لبعض هذه الطرق الحديثة ليصلح النشر بها - دون استخدام الترقيم في المتن ودون تسجيل بيانات المرجع أسفل الصفحة - أو ما يسمى بالحواشي - أو نهاية الجزء أو نهاية البحث ، فبدلاً من كتابة الرقم يكتب مباشرة اسم المؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة ، داخل قوسين .

مثال ذلك : (٢٦ : ١٩٩٦ Almond) وإذا وجد للمؤلف ذاته مرجعان للعام نفسه يرمز لأحدهما بالرمز A والآخر بالرمز B (٢٦ : ١٩٩٦ Almond) ويكون ترتيبهما وفق التسلسل الأبجدي للعنوان .

وفي حالة وجود مؤلف آخر يحمل اسم الموند يكتب اسم المؤلف كاملاً (٥٤ : ١٩٩٦ b G. Almond) وذلك اعتماداً على تفاصيل بيانات المرجع واردة في قائمة المراجع ، ثم رقم الصفحة (٥٤ : ١٤) Almond . أي أن رقم المرجع قد حل محل سنة النشر . وعموماً يفضل الطريقة الأولى التي يذكر فيها الباحث سنة النشر لما لها من معنى يرد مباشرة لدى القارئ المتخصص . ومن الضروري أن يستخدم الباحث طريقة نمطية واحدة خلال صفحات بحثه كاملاً في توثيق المراجع سواءً في الإشارات المرجعية بالمتن أم في كتابة قائمة المراجع .

ويختلف ترقيم المراجع الواردة أسفل الصفحة ، عن الترقيم إذا ورد في نهاية البحث أو جزء من البحث ، فالترقيم الأخير _ بنهاية البحث أو الباب أو الفصل _ يكون مسلسلاً للبحث كله ، أو الباب أو الفصل بكامله . أما الترقيم في أسفل كل صفحة ، فإنه يأخذ مسلسلاً مستقلاً لكل صفحة على حدة ، وإن كان بعض الباحثين قد يجعل من هذا المسلسل متصلاً للبحث كاملاً ، أو للفصل أو للباب على حدة حسب نظام الترقيم الذي يتبناه .

وقد يستخدم أسفل الصفحة - حيث موقع التذييل أو الحواشي - لأغراض أخرى ، إلى جانب الإشارات المرجعية ، منها الإحالة إلى موقع آخر بالبحث يتضمن معلومات ذات صلة ، أو شرح وتوضيح ما يرد بالمتن حتى لا يتسبب وروده بالمتن في الإخلال بتسلسل البحث ، أو

٨١ - اسم المؤلف ثم عنوان الكتاب ومحل النشر والناشر والسنة ورقم الصفحة بالنسبة للكتب ، أما المقالات المنشورة في دوريات فتبدأ باسم المؤلف ثم عنوان المقال بين علامتي تنصيص ثم المجلة ورقم المجلد والعدد والسنة ورقم الصفحات . وتجرى العادة على أن يكتب عنوان الكتاب أو اسم المجلة بطريقة مميزة ، كأن يوضع تحت كل منها خط ، أو يكتب بخط Bold أو مائل .

لبیان معلومات ذات صلة غير مباشرة فيفضل الحواشي حتى لا تقطع تسلسل عبارات وأفكار المتن .

وباستثناء الإشارات المرجعية التي تحتاج إلى ترقيم ، فإن الإحالات ، والشروح الهامشية تستخدم علامات مثل * ، * * بدلاً من الأرقام ، حيث تكتب مثل هذه العلامات بالمتن ، وفي أسفل الصفحة (١) .

ويلاحظ أن المرجع إذا ورد لأول مرة ، واتبع الباحث نظام الترقيم بأسفل الصفحة أو عقب انتهاء الفصل أو البحث ، يذكر كاملاً ، أما إذا ذكر في مرات تالية يتبع النظام الآتي :

أولاً : بالنسبة للمراجع العربية ، يكتفي ، بعد اسم المؤلف غير مقلوب ، بذكر عبارة المرجع نفسه ، أو : المرجع السابق ، ويتلو ذلك مباشرة : رقم الصفحة ص... وذلك في حالة عدم وجود مرجع آخر مختلف يفصل بين بيانات المرجع الوارد للمرة الأولى ، وبياناته للمرة الثانية . أما إذا وجد مرجع آخر يفضل بين هذه البيانات في المرة الأولى والثانية ، ففي هذه الحالة يكتب : اسم المؤلف ، مرجع سابق، ص... .

ثانياً : بالنسبة للمراجع الأجنبية : تتبع القواعد نفسها حيث تذكر بيانات المرجع كاملاً عند وروده للمرة الأولى ، وإذا تكرر ثانية دون فاصل بين المرة الأولى والثانية تكتب الإشارة المرجعية كما يلي Ibid., p..... وفي حالة وجود فاصل بين الإشارة إلى المرجع باللغة الإنجليزية للمرة الأولى، والإشارة الثانية تكتب الإشارة المرجعية الثانية كما يلي (٢) : P. , OP.cit. وذلك عقب اسم المؤلف غير مقلوب .

ونظراً لأن المراجع لا ترتب أبجدياً ، في هذه التذييل أو الحواشي ، فإن أسماء المؤلفين لا تقلب. وقد يعتمد الباحث على محاضرات غير مطبوعة ، أو حوار شخصي أو مقابلة أو برنامج إذاعي مثلاً، فيرد باعتباره مصدراً كما يلي : اسم المؤلف ، حديث شخص حول ... (أو محاضرة أو برنامج ...) بتاريخ ...

وعادة يتم الفصل بخط مستقيم بين متن الرسالة والحواشي أسفل الصفحة وقد تستخدم بعض الاختصارات في الحاشية (٣) ، منها على سبيل المثال :

صفحة = - P. وهي اختصار لصفحة

Page
ص

^{٨٢} - وأحياناً تأخذ ترقيماً عادياً ، سواء أسفل الصفحة ، أو عقب كل فصل أو جزء ، وهو ما يعمل به البعض .

^{٨٣} - في جميع هذه الأحوال يوضع خط تحت كلمة المرجع السابق ، أو مرجع سبق ذكره ، أو مرجع سابق ، . Ibid. أو Op. Cit. أو تكتب أياً منها بخط مائل أو Bold .

^{٨٤} - يراعى أن كل كلمة مختصرة تنتهي بنقطة أو يفصل بينها بمسافة خالية عادة ، وإن كان هذا ليس القاعدة العامة في المختصرات باللغة العربية ، حيث قد يرد عقب ص مثلاً رقم الصفحة والذي قد يختلط بالنقطة وتقرأ باعتبارها صفراً .

Volume	وهي اختصار لجزء	Vol -	جزء	=
ج				
Edition	وهي اختصار لكلمة	(edn.) -	طبعة	=
ط				
No date	وهي اختصار دون تاريخ	n.d. -	دون تاريخ نشر	= د
ت .				
Abstract	وهي اختصار مستخلص	Abst.		
Editor	وهي اختصار لمحرر	(ed.) أو .ed.		
Bulletin	وهي اختصار رسمه	Bull.		

٢٥ - ٢٠ . pp = الصفحات من ٢٠ إلى ٢٥
 ٢٥ . pp = صفحة ٢٥ والصفحة التالية لها

٨ . ٧ . قائمة المراجع :

تعد قائمة المراجع أحد مكونات البحث الأساسية ، ولا يمكن اعتبارها عنصراً تكميلياً ، فالبحث العلمي يستمد أهميته ، في جانب أساسي منه ، من قائمة المراجع التي تضم جميع المصادر التي استخدمها الباحث في بحثه ، ويفترض دائماً أن تدون هذه القائمة بدقة تامة .

وتختلف قائمة المراجع ، وما تخضع له من قواعد وأسس ، في البحث العلمي ، عنها في الكتب الدراسية ، أو الكتب التي تتناول موضوعاً محدداً ، فهذه الأخيرة قد ترد فيها قائمة " مراجع مختارة " أو مراجع لقراءات إضافية مقترحة ، مراجع موصى بقراءتها ، وقد تشمل ما يعرف باسم Bibliography أي تضم كل المراجع التي سبق نشرها في موضوع الكتاب أو البحث . والحقيقة أن هذه الطريقة لم تعد ممكنة اليوم ، في القرن الحادي والعشرين ، ولم تعد شائعة الاستخدام بهذا المعنى ، مع التطور غير المسبوق في حجم التراكم المعرفي .

أما قائمة المراجع المحددة References والتي تتضمن جميع المصادر التي اعتمد عليها البحث ، فهي التي تتبعها الرسائل العلمية والبحوث في شتى فروع المعرفة العلمية ، ويجب أن تتمتع بدرجة رفيعة من الأمانة العلمية ، يراعى فيها بوجه خاص شرطان رئيسيان ، هما :
 أولاً : أن ترد جميع المراجع المشار إليها في متن البحث في هذه القائمة ، ويجب التأكد من أن أي مرجع بالقائمة قد استخدمه الباحث ورد في سياق البحث فعلاً .

الثاني : عندما يذكر أي مرجع ضمن القائمة ، فإن هذا يعني أن الباحث قد اطلع عليه فعلاً ، ومن ثم لا يجوز أبداً نقل مرجع من مرجع آخر ، وإذا تعذر الوصول إلى المرجع الأصلي فإن هذا لا يبرر للباحث أن يذكر المرجع الأصلي دون تنويه إلى طريقة استخدامه ، أي عن طريق المرجع الآخر .

وإن عدم مراعاة الشرطين السابقين ، يجعل القائمة تفقد مغزاها الحقيقي ، وهذا يؤثر على موثوقية البحث ، وما أقسى الحكم على الباحث في هذه الحالة ، وفي أمانته العلمية ، وقدراته ومصداقيته كباحث .

كما يجب مراعاة الدقة الكاملة عند كتابة قائمة المراجع ، والإلتزام بطريقة واحدة نمطية في كتابتها بكاملها. وجانب من الخطوات التالية تتحقق بالدقة:

١- مراجعة كلمات كل مرجع ، وتصحيح أخطاء الطباعة ، فالباحث مسؤول عنها ، كلمة كلمة، وخصوصاً أسماء المؤلفين والمحررين ، وعناوين كل مرجع كما وردت في أصولها ، بالمرجع الأصلي^(١) . ولا يجوز كتابة ترجمة لعنوان المرجع إلا إذا كانت تلك الترجمة منقولة عن المرجع ذاته .

٢- التأكد من صحة بيانات كل مرجع : كالأسماء والعناوين وبيانات النشر وأرقام الصفحات ، ومراجعة ذلك بدقة ، والتأكد من صحة أرقام الصفحات بالنسبة للمقالات المنشورة في كتب تم تحريرها بمعرفة آخرين ، وطريقة كتابتها ، بحيث يكتب اسم مؤلف المقال فعنوان المقال وأرقام صفحاته ، وقد ترد أرقام الصفحات في نهاية بيانات المرجع ، ثم : في : ويذكر اسم المحرر وتوضع كلمة (محرر) أو (محررين) بين قوسين - وبالإنجليزية (ed.) أو (eds.) - ثم عنوان الكتاب ومكان وسنة النشر .. كما يجب مجازاة الإشارات المرجعية بالمتن مع بيانات قائمة المراجع .

٣- لا تختصر عناوين الكتب نهائياً ، ولا تختصر كلماتها ، كما لا توضع بين علامات تنصيص .

وإذا وجد عنوان فرعي فقد يوضع بعد العنوان الرئيسي نقطتان : ثم يكتب العنوان الفرعي ببنت أصغر حجماً من البنت الذي كتب به العنوان الرئيسي . أما أسماء الدوريات فقد تختصر ، إذا كان ذلك معترفاً به، وإن كان يفضل أن تكتب كاملة كما وردت في لغاتها الأصلية .

وعند كتابة المرجع يراعى اسم مؤلف الكتاب - أو مؤلف المقال في الدوريات العلمية وفي الكتب المحررة - يأتي في البداية ، ويكتب الاسم مقلوباً عادة ، بمعنى أن اسم العائلة يأتي أولاً ،

٨٥ - حتى إذا وردت بها أخطاء في هذا المرجع الأصلي ، على أن ينوه الباحث إلى ذلك ، بوضع كلمة (Sic) بين قوسين .

للباحث الأول أو الوحيد ، يليه الحرف الأول من كل مكون من مكونات اسمه ^(١) ، يلي ذلك أسماء المؤلف أو المؤلفين المشاركين معه - إن وجد أكثر من مؤلف - على أن يذكر أسماء هؤلاء مقلوبة ^(٢) . ويكتب الحرف الأول لكل مكون من مكونات الاسم بحجم كبير وبقيّة المكون بالحروف العادية (الصغيرة) ، وإذا تعددت أسماء المؤلفين في المرجع الأجنبي يكتب اسم المؤلف الأول مقلوباً يليه ما يلي : et.al. بدلاً من أسماء المؤلفين الآخرين .

بالنسبة للمراجع العربية هناك من يتبع نفس الطريقة ، فتدون مقلوبة ، أي يأتي اسم العائلة أولاً ثم فاصلة ، للمؤلف الأول أو الوحيد ، ثم اسمه الأول والثاني ، ثم فاصلة ، يليه اسم المؤلف الثاني بالطريقة ذاتها - وهكذا بالنسبة للمؤلف الثالث ومن يليه .. وقد يكتب اسم المؤلف الأول فقط يليه : وآخرون ، بدلاً من أسماء هؤلاء الآخرين .

وهناك من يميز في اللغة العربية عند كتابة اسم الباحث ، فلا ترد الأسماء مقلوبة ، وإنما تأتي بالشكل المعتاد - أي لا يكتب فيها اسم العائلة أولاً - ومثل هذه الطريقة العادية شائعة ، وينتقدها البعض على اعتبار أنها لا تعين على ترتيب المراجع على نحو سليم ، كما أن استخدامها في إشارات مرجعية بالمتن ، وفق الطريقة الحديثة - حيث يوضع اسم العائلة للمؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة بين قوسين بالمتن - قد يسبب ارتباكاً وخطأً في الأسماء مقارنة بطريقة اعتماد اسم العائلة أولاً ، التي تعد وفق هؤلاء أكثر سهولة وتنظيماً .

عقب اسم المؤلف مباشرة تأتي سنة النشر ^(٣) ، وتوضع بين نقطتين في المراجع الأجنبية ، وفي المراجع العربية بين قوسين ، حتى لا تختلط النقط بمكونات الرقم الدال على سنة النشر ، وهذه واحدة من الطرق الحديثة التي انتشرت نسبياً مؤخراً .

٨٦ - تعد الأسماء المركبة المكونة من جزأين بينهما شارطة اسماً واحداً ، وتظل كلمة مثل لكلمة Jr. (وهي اختصار لكلمة Junior) في نهاية الاسم بعد كتابته مقلوباً .

٨٧ - يلاحظ أن اسم المؤلف ، في الإشارات المرجعية بالمتن ، يأتي طبيعياً ، غير مقلوب ، وفق الطريقة التقليدية ، وتتفق في ذلك المراجع العربية وغير العربية ، كما قد ترد أسماء المؤلفين في قائمة المراجع بعد اسم المؤلف الأول ، غير مقلوبة ، إلا أنه يلاحظ في الحالات العادية أن الأسماء تأتي مقلوبة .

وقد تشترط بعض المجالات والدوريات ، اتباع طريقة معينة في كتابة قائمة المراجع ، كأن ترد أسماء المؤلفين جميعها مقلوبة - وعلى الباحث أن يكون على دراية بمثل هذه النظم ، وإلا قد لا يمكنه نشر بحثه - وقد يشترط أن يوضع بين كل مؤلف وآخر فاصلة منقوطة ، وقد يوضع قبل اسم المؤلف الأخير كلمة and أو توضع فاصلة منقوطة بدون هذه الكلمة ، وعادة تتيح كل دورية للباحثين إمكانية التعرف على القواعد والشروط الخاصة بها في توثيق المراجع .

٨٨ - بالنسبة للمقالات المنشورة في مجلات علمية أو دوريات تصبح سنة النشر هي السنة الصادر فيها مجلد الدورية ، والمعروف أنه في حالة عدم وجود تاريخ للنشر في كل الأحوال ، يكتب مكان سنة النشر : دون تاريخ (د.ت) وبالإنجليزية . no date (n.d.) .

وهناك طريقة تقليدية ، مازال يتمسك بها البعض ، حيث ترد وفقاً لها سنة النشر في نهاية بيانات المرجع ، مباشرة قبل الأرقام الدالة على الصفحات . (راجع أمثلة الطريقتين التقليدية والحديثة في كتابة الإرشادات المرجعية وقائمة المراجع) .

ويفضل للطالب ، أو الباحث ، الذي يستخدم الطريقة الحديثة في كتابة إشارات المرجعية الواردة بالمتن - اسم المؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة بين قوسين - أن يستخدم الطريقة الحديثة في كتابة قائمة المراجع في نهاية بحثه - اسم المؤلف وسنة النشر ومكان النشر والناشر - حيث ييسر هذا للقارئ ، وللباحث ، الرجوع إلى بيانات المرجع كاملة بالقائمة عند استعراض أي من الإرشادات المرجعية ، وتتفق البيانات الواردة في كلٍ من الإرشادات المرجعية بالمتن وقائمة المراجع في طريقة عرض البيانات وترتيبها ، خصوصاً اسم المؤلف وسنة النشر ، مما يوفر الوقت والجهد . لذا ، يوصي البعض بالتزام الطريقة الحديثة في كتابة المراجع بالمتن والقائمة . ومن الأهمية بمكان ضرورة التزام طريقة نمطية موحدة لكتابة الإرشادات المرجعية في كل صفحات البحث ، والتزام طريقة موحدة في كتابة قائمة المراجع بكاملها .

عقب اسم المؤلف - سنة النشر وفق الطريقة الحديثة - يأتي عنوان الكتاب ، ويكتب عادة تحته خط - أو بخط مائل أو بخط أسود سميك Bold - على أن يتبع الباحث طريقة موحدة في بحثه .

أما إذا كان المرجع مقالاً - أو فصلاً في كتاب - فيكتب عنوان المقال أو الفصل بين علامتي تنصيص ، ويكتب بعد هذا العنوان كلمة في : - وبالإنجليزية : in . ثم يرد بعد ذلك بيانات الكتاب الذي ورد به هذا المقال أو الفصل ، أي العنوان ثم مكان النشر واسم الناشر وإذا كان للكتاب محرر يكتب بعد اسم هذا المحرر كلمة (محرر) بين قوسين ، أو (محررون) ، . وبالإنجليزية (ed.) أو (eds) ^(١) . وعند كتابة أرقام الصفحات تكتب صفحات المقال أو الفصل كاملة ص... وبالإنجليزية pp... وهو ما يجب مراعاته دائماً في قائمة المراجع.

أما كتابة عنوان المرجع بالنسبة للدوريات ، فإنه يأتي عقب اسم المؤلف وسنة النشر ، وفق الطريقة الحديثة كذلك ، حيث يأتي عنوان المقال ، وبخط عادي - على خلاف عنوان الكتاب الذي يكتب بخط مميز كأن يكون أسود ثقيل Bold أو مائل أو يوضع تحته خط . وعقب ذلك يأتي اسم المجلة أو الدورية وهو الذي يكتب عادة بطريقة مميزة ، وقد يكتب مختصراً ^(٢) ، ويأتي بعد ذلك عدد المجلة أو الدورية ، ورقم الصفحات . هذه إحدى أهم الطرق الحديثة لكتابة

٨٩ - قد توضع كلمة محرر أو محررون أو تحرير بين قوسين أو بين فاصلتين أو نقطتين ، وبالإنجليزية توضع ed. أو eds. بين نقطتين أو قوسين ، والقاعدة في اللغة الإنجليزية النقطتين .

٩٠ - مثال ذلك اختصار اسم الدورية The American Political Science Review إلى APSR .

مراجع الدوريات ، أما الطريقة التقليدية ، التي ما يزال كثيرون يتبعونها ، فيجعل سنة النشر تأتي عقب اسم المجلة ، ورقم المجلد فتصبح هي سنة صدوره ، يعقبها أرقام الصفحات .

عند ترتيب قائمة المراجع يراعى أن تأتي الكتب أولاً . وتبدأ بالعربية يليها الكتب الصادرة باللغات الأجنبية . ثم المقالات والدوريات . العربية فالأجنبية . وقد توجد مصادر أساسية كالمخطوطات مثلاً ، توضع في رأس القائمة ، أو مصادر أقل أهمية كالصحف والنشرات حيث تأتي عقب الكتب والدوريات . وينصح الطالب أو الباحث عادة بمراجعة ما صدر عن زملائه وأقرانه ، وما جرى عليه نظام البحوث والدراسات والرسائل العلمية في الكلية أو في المعهد والجامعة التي ينتمي إليها ، أو الجماعة العلمية التي يسترشد بها .

وداخل قائمة الكتب العربية يتم ترتيب المراجع ترتيباً أبجدياً وفق اسم المؤلف . وإذا كان لمؤلف واحد . أو أكثر . قائمة من المراجع فالطريقة التقليدية أن يكتب اسم المؤلف ، أو المؤلفين ، مرة واحدة ، ويستبدل هذا الاسم بخط طويل كلما تكرر بشكل متتال . لكن ثمة من يدعو إلى كتابة اسم المؤلف . أو المؤلفين . كاملاً في كل مرجع باعتبار ذلك طريقة حديثة يجب أن تحل محل الطريقة التقليدية السابقة ^(١) ، والتي يظل الكثيرون متمسكين بها .

وهكذا يتم ترتيب القائمة أبجدياً بالنسبة للكتب العربية والأجنبية ، والدوريات العربية والأجنبية . ويلاحظ عند إعداد مثل هذه القوائم ، في حالة وجود بحوث لذات المؤلف ، أو المؤلفين :

١. ترتيب البحوث ذات المؤلف الواحد وفق سنة النشر ، الأقدم فالأحدث ، مع التمييز بين ما ينشر في عام واحد بالحروف a , b , c وذلك وفق الترتيب الأبجدي لعناوين تلك المراجع التي تشترك في المؤلف الواحد وسنة النشر الواحدة .

٢. في حالة اشتراك أكثر من مؤلف ، ترتب البحوث وفق سنة النشر ، الأقدم فالأحدث ، وفي حالة النشر في عام واحد يتم التمييز . في حروف a , b , c وفق الترتيب الأبجدي للمؤلف الثالث ... وهكذا تسري القاعدة مهما تعدد أسماء المؤلفين .

وترتبط قائمة المراجع بلغة البحث ، فإذا كتب البحث أو الرسالة باللغة الإنجليزية ، تكتب جميع المراجع عادة باللغة الإنجليزية ، وقد تترجم هنا ، المراجع العربية ، إما وفق النطق بكلمة السياسة الدولية AL Dawliah AL Seyassah AL أو وفق المعنى : International Politics وإن كانت طريقة النطق أكثر انتشاراً ، لأنها تدل على الدورية دون التباس .

أما الأبحاث والرسائل العلمية التي تكتب باللغة العربية فتكتب فيها المراجع ، كما سبق ذكره ، باللغتين العربية والأجنبية ، وتأتي المراجع باللغة العربية أولاً عادة يليها المراجع الأجنبية ، في

٩١ - يلاحظ استثناءات متكررة على هذه القاعدة ، وما زال الكثيرون يميلون إلى كتابة خط طويل محل اسم المؤلف بدلاً من كتابة نفس الاسم تكراراً ، لسهولة ذلك من الناحية العملية .

قائمتين للكتب ، وقائمتين للدوريات ، عربية وأجنبية كذلك ، وجميع هذه القوائم تحت مسمى واحد للقائمة (المراجع) .^(١)

المفاضلة بين نظامي التوثيق :

بناء على ما سبق ، يكن التمييز بين نظامين أساسيين لتوثيق المصادر والمراجع التي يستند إليها البحث : أحدهما تقليدي والثاني حديث ، وكل نظام يعتمد على أسس مختلفة لصياغة الشكل الذي تظهر به كل من الإرشادات المرجعية أو قائمة المراجع :

١- الإشارات المرجعية الواردة بالمتن، سواء ذكرت في سياق البحث ذاته ضمن سطوره، أم جاءت على شكل هوامش أو تذييلات في أسفل الصفحات أو عقب انتهاء البحث، أو انتهاء الفصل أو الباب الذي وردت به.

٢- قائمة المراجع كما يتم إعدادها في نهاية البحث، والتي تعد جزءاً أساسياً من العملية البحثية.

والنظامان يمثلان مرحلتين في تطور توثيق مصادر العملية البحثية في علم السياسة، النظام الأول، ويشار إليه هنا، بأنه نظام تقليدي أو معتاد جرى عليه العمل لفترات ممتدة، وهو نظام يعتمد على بيانات المرجع كاملة أو مطولة، حتى في الإشارة المرجعية التي تتم وفقاً له بالمتن، وترد البيانات بشكلها المعتاد وترتيبها التقليدي: اسم المؤلف فالعنوان ثم مكان النشر والناشر وسنة النشر.

أما النظام الثاني، وهو الأحدث، وأخذ في الانتشار خلال العقدين الأخيرين، ليحل محل النظام الأول تدريجياً، وعلى نطاق متزايد ، بحيث أضحت قواعد هذا النظام من الشروط التي تفرضها العديد من الدوريات والمجلات المتخصصة لنشر البحوث بها، فلا تنشر إلا البحوث التي تلتزم به. وهو نظام يعتمد في شكله الأكثر انتشاراً على بيانات موجزة تماماً في الإشارات المرجعية خصوصاً، وإبراز سنة النشر لتأتي في مكانة تالية مباشرة لاسم المؤلف في كل من الإشارات المرجعية وقائمة المراجع.

وأهم ما يميز هذا النظام الأحدث:

١- تتميز الإشارات المرجعية التي ترد بالمتن بالقصر الشديد، وتأتي في شكل مبسط حيث يوضع اسم المؤلف (عائلته) وسنة النشر ورقم الصفحة بين قوسين، وقبل رقم الصفحة نقطتان:

٩٢ - يمكن للطالب أن يضيف إلى قائمة المراجع ، أو إلى جانبها ، قائمة بأهم مواقع الإنترنت التي قد يكون اعتمد عليها ، أو ذات الصلة الوثيقة بالموضوع ، أو قائمة عناوين على الشبكة الدولية يرى أنها ذات صلة وثيقة بمعالجته أو أن لها مغزاه . وقد تبدو مثل هذه القوائم ذات أهمية في بعض موضوعات على سبيل المثال : تتبع أحداث جارية أو قريبة أو مصادر أو بنوك للمعلومات أو غيرها من اعتبارات تتعلق بموضوع البحث وطرق معالجته .

- ٢- تأتي الإشارات المرجعية بالمتن، أي ضمن سطور البحث، ونادراً ما تستخدم الحواشي .
أسفل الصفحة أو بآخر البحث أو أجزائه . لهذه الإشارات المرجعية.
- ٣- تحظى سنة النشر باهتمام نوعي خاص، وتأتي مباشرة بعد اسم المؤلف، أو المؤلفين، سواءً في الكتب أم في الدوريات، وسواءً كان ذلك في البيانات التي تتناولها الإشارات المرجعية بالمتن، أم في البيانات التي تتناولها المراجع ضمن قائمة المراجع النهائية للبحث، ويسري هذا بالنسبة للكتب المؤلفة، والمحررة، والمقالات والدوريات أو المجلات العلمية، والصحف والوثائق والمواد غير المنشورة والبحوث باللغات العربية والأجنبية.
- ولا شك أن الأخذ بنظام موحد للتوثيق العلمي لمراجع البحث ييسر عملية ضبط المراجع، والتدقيق فيها، ومراجعتها، ومجاعة الإشارات المرجعية بالمتن مع المراجع المناظرة بالقائمة النهائية للمراجع.
- ٤- لم تأخذ طريقة كتابة المراجع العربية ملامح واضحة أو مستقرة معترف بها لتطور مواز، رغم أنه يمكن تطبيق نفس القواعد عليها، ويشترط في هذه الحالة ليتمكن الاستفادة مما ييسره النظام الحديث التسليم بإمكانية الاعتماد على اسم العائلة للمؤلف، بشكل معترف به، كشرط أولي لإمكانية الإفادة من وراء إحداث التطور الموازي، وإلا فإن التطور سيكون في حدود من يقبل بهذا الشرط، أو في شكل وطريقة لا تكفل السرعة وضبط المراجع والمصادر ومراجعتها بسهولة.

• الدراسات السابقة :

يعد المسح المنظم للأدبيات السابقة مسألة بالغة الأهمية ، واكتشاف الباحث آخرين سبقوه من معالجة موضوع بحثه أو مشكلته البحثية يفتح له آفاقاً مهمة للاستفادة من هؤلاء، سواء من حيث تحديد المشكلة البحثية ، أم التساؤلات والفروض ؟ أم حيث هي المكونات والعناصر التي شكلت خطتهم البحثية ومراحلها ؟ أم من حيث صياغتهم النظري، وما المعلومات التي قاموا بجمعها وتحليلها . وللباحث أن يستكشف ذلك برؤية ناقدة ، ليرى أوجه النقص وجوانب الضعف فيها ، وليحدد الجديد الذي يمكن أن يضيفه من خلال بحثه إلى تلك المحاولات السابقة .

• الهدف من الدراسات السابقة:

- تفيد الأدبيات السابقة الباحثين والطلاب في جوانب عديدة من أهمها:
- ١- التعرف على نتائج الدراسات التي سبق لباحثين آخرين القيام بها، حتى يبدأ الباحث من حيث انتهى الآخرون.

٢- الوقوف على أحدث الدراسات، وتطور حالة الحقل، وتحديد الباحث موقعه ، والمساهمة التي يمكنه تقديمها من خلال بحثه، مهما تكن محدودة أو ضئيلة .

٣- اكتساب الباحث الخبرة ، وإدراكه الطريقة التي من خلالها قام الباحثون الآخرون ببحوثهم (تحديد مشكلة البحث وموضوعه وتساؤلاته، المناهج والفروض، جمع وتحليل البيانات، صياغة النتائج، الشكل المتكامل للبحث في مرحلته النهائية..) .

٤- اكتشاف أبعاد جديدة في الظاهرة موضع الدراسة أشار إليها الآخرون، أو متغيرات وعوامل إضافية لم تكن في حساب الباحث.

٥- التعرف على محاولات التنظير في الموضوع، أو على الأطر النظرية البديلة ، أو نظريات أو نماذج محددة تضمنتها هذه الدراسات.

وقد أخذت الأدبيات السابقة تشكل جزءاً أساسياً من البحوث والرسائل العلمية، إلا أنه ليس ضرورياً على الإطلاق أن تتضمن هذه الأدبيات استعراضاً لكافة المراجع التي يرد ذكرها في قائمة المراجع، فقد تفيد بعض المراجع، أو نتائج وعناصر نشرتها بحوث سابقة، في سياق البحث أو تحليل أو تفسير بعض البيانات. لكنها لا تكون وثيقة الصلة بالموضوع لدرجة تبرر استعراضه ضمن الدراسات السابقة. فالهدف من الأدبيات السابقة التي تناول فيها باحثون آخرون نفس موضوع البحث . أو موضوع وثيقة الشبه به . هو عدم تكرار جهود سابقة، والبدء من حيث انتهت هذه الجهود لإكمال عملية التراكم المعرفي، وسد الفجوات إن وجدت، والإضافة إلى جهود الآخرين.

لذلك ، يكون على الباحث عند استعراضه الدراسات السابقة أن يعالج بشكل كلي، وقد يقارن بين هذه الدراسات السابقة للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينها، وما يضيفه كل منها، ومحاولة إبراز ما سوف يقدمه من خلال بحثه من مساهمة . مهما كانت محدودة . كما يمكن له أن يقدم بناء على استعراض تلك الدراسات السابقة معالجة تتميز عنها من حيث بلورة أكثر تحديداً لمشكلة البحث، وإطار نظري أكثر ملاءمة، وبحث أكثر تكاملاً وإحكاماً في مجمله.

شروط المسح المنظم للأدبيات السابقة :

يصبح على الباحث مراعاة مجموعة من الشروط والاعتبارات عند استعراضه للأدبيات السابقة في بحثه ، حتى لا يصبح هذا الاستعراض أحد أوجه الانتقاد الرئيسية التي توجه إلى بحثه، وخطته البحثية.

ومن الشروط التي يجب مراعاتها عند استعراض الباحث للأدبيات السابقة:

(١) الدراسات السابقة ليست حشواً زائداً أو كمالياً، إنها يجب أن تتسم بالإيجاز والتحديد والوضوح.

- (٢) وأن يتم الانتقاء بعناية بين أكثر الدراسات اتصالاً بالموضوع، وقرباً منه، وليس من المعقول استعراض أعداد هائلة من الدراسات . في عصر اتسعت فيه المعرفة، وحقق العلم تراكمًا . كأن يتخذها الباحث ديكوراً أو ستاراً يخفي به واقع بحثه.
- (٣) أن يكون العرض نقدياً، وليس مطلوباً على الإطلاق أن يستغرق الباحث في عرض مسهب لهذه الأدبيات، والعرض النقدي يتطلب التحليل، وقد يفرض تحديداً الحجج والبراهين، أو الاستناد إلى وقائع محددة، أو دراسات وحجج ذات قيمة ومغزى.
- (٤) الخروج بنتيجة واضحة محددة حول ما سوف يقدمه الباحث بالنظر إلى هذه الدراسات السابقة، أي بلورة مساهمة بحثه . مهما كانت ضئيلة . وليس من المعقول أن يقوم بتكرار جهود الآخرين ذاتها.
- (٥) تتنوع المساهمات الممكنة للباحث: مثل سد ثغرات كشفت عنها الدراسات السابقة، أو إثبات خطأ فرضياتها، أو إضافة متغيرات أو عوامل جديدة.
- (٦) على الباحث أن يضع نصب عينيه دائماً أن تكون بؤرة بحثه ومحور تركيزه ذات طابع خاص، لم يسبق تناوله، سواء في طريقة العرض وتسلسل الموضوع وصياغة عناصره ونتائجه.



الباب الثاني

أدوات جمع البيانات

الفصل الثامن

الملاحظة Observation

- ٨-١ أهمية الملاحظة.
- ٨-٢ الملاحظة المباشرة والبحث السياسي العلمي.
- ٨-٣ خطوات الملاحظة المباشرة وقواعدها.
- ٨-٤ أهمية الملاحظة بالمشاركة، ومراحلها ومشكلاتها.
 - ٨-٤-١ مرحلة التعرف المبدئي
 - ٨-٤-٢ مرحلة التعرف البؤري.
 - ٨-٤-٣ مرحلة التنظيم والقياس.
 - ٨-٥ تقييم الملاحظة المباشرة.

تعد الملاحظة من أهم أدوات جمع المعلومات ، وجوهرها مشاهدة تصرف الأفراد أو سلوكهم ، وكذلك مشاهدة وقوع الأحداث وتطورات المواقف السياسية الناجمة عنهما، وتعد الملاحظة المباشرة Direct Observation أسلوب أساسي للاستقصاء العلمي ، إلا أن علماء السياسة لم يستخدموها على نطاق واسع . ويرجع هذا في جزء منه إلى أن استخدام الملاحظة المباشرة في بعض الأحيان يكون أمراً صعباً ، إضافة إلى أنه توجد غالباً طرق أسهل للحصول على المعلومات المراد الحصول عليها^(١). حيث يحجم بعض علماء السياسة عن استخدام الملاحظة المباشرة لأنهم يعتبرونها طريقة غير علمية ولعلمهم يعتقدون - خطأ - أن البيانات التي يتم الحصول عليها من خلال الملاحظة المباشرة انطباعية لدرجة لا تجعلنا نعتمد عليها أو نجعلها مفيدة، كما أن الباحثين المهتمين بدراسة مؤسسة الرئاسة في البلدان النامية مثلاً ، ليسوا دائماً في موقف يسمح لهم بالملاحظة المباشرة للرؤساء أثناء عملهم بمهامهم ، مما يجعلهم أن يعتمدوا على مصادر ثانوية .

وبالرغم من ذلك ، ثمة حقيقة تحصل من استخدام الملاحظة المباشرة في مجال البحث إمكانية مثمرة لإعداد دراسات منظمة ومحكمة للسلوك السياسي ، حيث ينظر إليها أنها وسيلة مفيدة لدراسة عدد من الموضوعات عموماً ، كما أنها ذات أهمية كبيرة للعلوم السياسية ، وذلك لسببين رئيسيين هما:^(٢)

أولهما : إمكانية الدراسة العميقة لعملية اتخاذ القرار في المؤسسات السياسية من خلال الملاحظة المباشرة، فمثلاً هناك عدداً كبيراً من القرارات ذات الطبيعة السياسية أو غير السياسية تتخذها الإدارة وتؤثر في الحياة العامة، مثل: قرار تمرير ميزانية الدولة الذي تقوم به المؤسسة التشريعية أو سلوك بعض ضباط الشرطة بإلقاء القبض على شخصية معينة . إذن يمكن للباحث ، من خلال الملاحظة المباشرة أن يدرس أي مدى يمكن لرجل الشرطة أن ينفذ القانون بشكل مختلف وربما يكون هذا غير ممكناً بالنسبة لطرق الرصد الأخرى . كما يمكن للباحث أن يلاحظ حملات دعائية انتخابية لفهم المجموعات التي تناصر المرشح ، وما هي الأدوات المستخدمة في الحملة الانتخابية . وباختصار يمكننا عن طريق الملاحظة المباشرة أن نعمق فهمنا لكيفية اتخاذ القرارات السياسية ، أو لدراسة آثار هذه القرارات أو لدراسة سياسات معينة في إطار بحوث تقييم السياسات العامة للدولة، فعلماء السياسة يهتمون بدرجة كبيرة بتأثير القرارات السياسية وفعاليتها .

^{٩٣}- د. أحمد، فاروق يوسف، مناهج البحث العلمي (القاهرة : مكتبة عين شمس ، ١٩٧٩) ، ص ٨٩-٩٦ .

^{٩٤}- د. الفوال، صلاح، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية (القاهرة : مكتبة غريب ، د.ت) ، ص ١١٢-١١٥ .

ثانيهما : إمكانية تجنب التشخيص المفتعل أو غير الحقيقي للتجارب والمسح الميداني ، وهذه أهم ميزة للملاحظة المباشرة في البحوث السياسية ، لأنها تسمح للباحث أن يدرس الأفراد وهم في واقعهم الاجتماعي والسياسي فعلاً، فهي إذن تزودنا بتقديرات للسلوك الاجتماعي أكثر واقعية من تلك التقديرات التي نحصل عليها بالمسح أو التجربة الاجتماعية المصطنعة ... هذا وتعد الملاحظة المباشرة الأداة المهمة للمعرفة العلمية التي أساسها واقعياً أو اختياريّاً، لأنها تيسر لنا المعيشة الواقعية الحية للظواهر دون اصطناع أو وسائط . فالملاحظة المقننة تكفل نقل الباحث إلى الحدث تلقائياً وهي تمكنه مباشرة من معايشة مشاعر حشد جماهيري ثائر وحماسه أو تأثير زعيم سياسي "كاريزمي" له حضوره وإلهامه الجماهيري ، أو الندوات واللقاءات الجماهيرية أو عمليات الإثارة ... الخ.(١)

٨-١- أهمية الملاحظة :

يرى البعض أن الملاحظة هي أهم أدوات البحث على الإطلاق ، وإن كل بحث في العلوم الاجتماعية يستخدمها بدرجات مختلفة ، ابتداءً من الملاحظة السريعة غير المقننة إلى الملاحظة العلمية المقننة والدقيقة، لأنه وهناك بعض أنماط السلوك والتفاعل السياسي والاجتماعي التي لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً إلا باستخدام هذه الأداة كتأثير الزعيم السياسي وخطاباته في مستمعيه أو أعمال ومظاهر العنف السياسي المختلفة وآثارها المادية والنفسية أو عمليات التفاعل والمساواة داخل المؤسسات أو الجماعات الصغيرة للجان البرلمانية مثلاً أو الجماعات غير الرسمية المختلفة أو الأحزاب أو عمليات التنشئة أو ملاحظة الأطفال مثلاً لاكتشاف سمات القيادة بينهم أو سمات خطابية أو خصائص للمشاركة والاتصال وغيرها. إذن تقيد الملاحظة في التعرف على المناخ العام والعوامل المختلفة المحيطة بالعملية السياسية وتفاعل الأفراد والجماعات والأطراف الفاعلة في مختلف الجوانب السياسية ابتداءً من البيروقراطية إلى الاتصال الجماهيري، ومن التجنيد السياسي وظهور القيادات الجديدة إلى عمليات الإحياء أو تأكيد عناصر الهوية السياسية أو محاولات ترسيخ التكامل الوطني أو القيمي في المجتمع أو استجواب المزيد من الأفكار والمهارات والقيم الحديثة الوافدة من نظم ومجتمعات أخرى .

والملاحظة تعني إعطاء صورة واقعية حية للسلوك الفعلي ومظاهر التعبير غير اللفظي عن الرأي ، بحيث يكون من غير الممكن تحريف هذا السلوك الفعلي أو تلك الصورة الحية التي يتلقاها الباحث خلال المقابلة أو الإجابات التي يحصل عليها من خلال الأسئلة الواردة في

صحيفة الاستبيان . كما أن الملاحظة قد تكون ضرورية وملزمة للمقابلة ولخطوات استطلاعات الرأي ولعملية تحليل المضمون كذلك. وتكون في هذه الحالات وظيفية أساسية إذا أمكن تصنيفها وتجميعها بمعنى إبعادها من أن تعكس وجهة نظر الباحث .

وبصفة عامة ، يمكننا القول بأن للملاحظة أهمية في دراسة الثقافة السياسية والثقافة العامة في المجتمع وطريقة الحياة فيه، خصوصاً بالمشاركة Participant Observation باعتبارها الأداة الرئيسية في مثل هذه الحالات فهي تخدم الباحثين في أكثر من مستوى، لأنها تلتفت أنظارهم إلى سلوك معين أو تلقي الأضواء على ظاهرة بعينها أو على بيانات كمية فتعطيها معنى خاصاً، كما قد تمثل بالنسبة للباحث محكاً خارجياً يمكنه من التثبت من صدق البيانات ودقتها إذا ما كانت ملاحظة دقيقة مقننة .

وتكتسب الملاحظة أهميتها مقارنة بأدوات جمع البيانات الأخرى لما تتميز به من طابع مباشر ومرونة فائقة تسمح للباحث بتعديل مضمون خطته وإطارها وخطواتها وفق التطورات التي تشير إليها، فهي تتميز عن المقابلة والاستبيان لأنها لا تفرض لقاء الأشخاص وسؤالهم وتسجيل إجاباتهم أو استخدام الاستبيانات واستطلاعات الرأي في قضايا سياسية أو مسائل خلافية أو أمور مثارة من المجتمع ، مما قد يضيف نوعاً من التحيز أو الحرج أو نوعاً من عدم التعاون أو رد الفعل في شكل التهرب أو الامتناع عن الإجابة أو تبني آراء مخالفة أو مقاومة الباحث بطرق ومظاهر مختلفة^(١).

وما يؤكد أهمية الملاحظة إمكانية استخدامها في مواقف ولأهداف متنوعة:^(٢)

في مواقف ولأهداف متنوعة:

- ١- تكون صورة كلية عن البيانات التي سيحصل عليها الباحث والتي سيتناولها في بحثه.
- ٢- لإمكانية الدفع وصبط النتائج.
- ٣- رصد المواقف الطبيعية المتباينة تمييزاً عن المواقف المصطنعة أو المفتعلة [الملاحظة العلمية].

٤- في دراسة حالة Case study من خلال ملاحظة دقة خصائص الحالة...

٥- في الدراسات المقارنة...

^{٩٦}- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦-٢٧ .

^{٩٧}- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٨-٢٩ .

٦- اطيادية وعدم المشاركة الفعلية في المواقف الشاهدة، إحيانا أو آيه يكون مشاركا فيها عندما توجه صعوبات واقعية.

والواقع، إن المشاركة أو عدم المشاركة في الملاحظة هو مجرد اختلاف في الدرجة ، فقد يكون الباحث عضواً في البرلمان ، أو في أحد لجانها ، أو أحد الفاعلين الرئيسيين في جماعة سياسية ، أو أحد النشطين في تفاعل معين . ويكون الباحث ملاحظاً وفاعلاً في آن معاً، كما قد يكون الباحث واضحاً في أهدافه وطبيعة أدوات جمع البيانات والمناهج التي يستخدمها. ويعلن ذلك بوضوح ، أو قد يكتفي فحسب بالإشارة أو التلميح إلى ذلك . ولهذا يعتمد بعض الباحثين إلى تمثيل درجات مشاركة الباحث في الملاحظة بالنقاط التي تشكل في جملتها خطأ متصلاً مستمراً يمثل أحد قطبيه عدم المشاركة في حالتها النقية ، والقطب الآخر المشاركة الكاملة في نشاط الجماعة وتحديد النقطة على هذا الخط المتصل التي تمثل المشاركة في الملاحظة، وهذا يكون وفق إسهام الباحث في أنشطة الجماعة، أو عضويتها وكثافة ومدة هذا الإسهام وفاعليته .

٨-٢ - الملاحظة المباشرة والبحث السياسي العلمي:

تعد الملاحظة المباشرة أسلوباً بسيطاً للبحث السياسي ، ورغم أنها تبدو وسيلة سهلة ودقيقة لجمع البيانات حول كيفية تصرف الأفراد ، إلا أنها تتضمن بعض المشكلات المعقدة التي يتعين على الباحث أن يتعامل معها . وبالتالي ، فهي تحتاج غالباً إلى إعداد لا يقل عما يحتاجه أسلوب آخر لجمع البيانات .

وفيما يلي استعراض وتعريف بالاستخدامات والأساليب والصعوبات التي تواجه البحوث التي تعتمد على الملاحظة ، ومحاولة الإجابة عن الأسئلة الأربعة التالية التي ترتبط بأداة الملاحظة: (١)

- ١- ما هي الاستخدامات العلمية؟ وما نوع المعلومات التي يمكن جمعها بالملاحظة المباشرة ؟
- ٢- ما هي الأساليب الفنية المختلفة للملاحظة المباشرة ؟
- ٣- هل هناك ثمة صعوبات منهجية يواجهها الباحث في إجراء الملاحظة المباشرة ؟
- ٤- هل تظهر مشكلات أخلاقية معينة عند إجراء البحث الذي المعتمد على الملاحظة المباشرة وفي حال وجودها ، كيف يمكن التعامل مع هذه المشكلات ؟

في الواقع، يعتمد اختبار الأساليب الفنية للبحث على ما يريد الباحث أن يصل إليه . وأهداف البحوث السياسية قد تكون وصفية أو استطلاعية من ناحية ، أو تفسيرية أو لاختبار الفروض النظرية من ناحية أخرى . وبوجه عام ، تعد الملاحظة المباشرة هي أكثر الأساليب

٩٨- الحسن، إحسان محمد ، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي (بيروت : دار الطليعة ، ط٤ ، ١٩٩٤) ، ص ٤٠-٤١

ملاءمة بالنسبة للدراسات والبحوث الوصفية ، وذلك على الرغم من أنه عن طريق أساليب معينة للملاحظة يمكن اختبار الفروض، ولعل أهم استخدام للملاحظة هو إعطاء وصف تفصيلي لظاهرة سياسية أو اجتماعية ما ، واستخدام هذا الوصف في تطوير نظريات وفي تكوين فروض يمكن اختبارها بوساطة أساليب أخرى .

وبهذا المعنى تعتمد الملاحظة المباشرة أساساً على استراتيجية استقرائية للبحث ، بمعنى تحويل أسباب حالات معينة إلى نتائج عامة. والملاحظة قد تكون إما عادية حينما تحدث دون قصد ودون أن يراد منها الكشف عن حقيقة علمية كتلك التي يقوم بها المرء في حياته اليومية. أو تكون علمية إذا قام بها الباحث بهدف الوصف التفصيلي للظاهرة السياسية محل اهتمامه ، أو اختبار الفروض أو الكشف عن العلاقات بين المتغيرات .وهذا النوع من الملاحظة يعتمد في العادة على التسجيل والقياس خلافاً للملاحظة العادية.^(١)

٨-٣- خطوات الملاحظة المباشرة وقواعدها :

تحدد خطوات الملاحظة ومراحلها بالهدف من ورائها، وبمكانتها في البحث، وهل الملاحظة مجرد أداة لجمع بيانات أولية ، أم لضبط النتائج ؟ وما الذي يجب ملاحظته بالضبط ؟ وما هي العلاقة التي تربط الباحث بالوقائع والظواهر موضع الملاحظة ؟ وكيف تتطور هذه العلاقة ؟ وما هي الإجراءات التي يجب مراعاتها للتأكد من دقة الملاحظة ؟ وكيف سوف يتم تسجيل الملاحظة ؟ ومتى ؟ وكيف يتم تصنيف وترتيب البيانات التي يجري تسجيلها ؟.

وبصفة عامة ، على الباحث عند قيامه باستخدام الملاحظة المباشرة كأداة لجمع البيانات أن يراعي الاعتبارات التالية: ^(٢)

١- العوامل التي تكفل دقة الملاحظة سواء تلك المكلفة بحصر الوقائع التي يجب ملاحظتها دون استبعاد بعضها أو تجاهله ، أو تلك المتعلقة بمهارات الباحثين وقدراتهم وإيمانهم بالموضوعية والأسلوب العلمي، والتزام الصدق والصراحة بشكل مطلق ، أو تلك المكلفة بأدوات التسجيل وتوقيته وطريقته أو بطبيعة المواقف التي تتم فيها الملاحظة وموقعها ومضمونها وأطرافها .

٩٩- جارول مانهايم وريتشارد ريتش ، التحليل السياسي الإفريقي : طرق البحث في العلوم السياسية ، إعداد ومراجعة السيد غانم ودودة بدران (القاهرة : مركز البحوث والدراسات السياسية ، ١٩٩٦) ، ص ١٤١-١٤٣ .

١٠١- د. عبد الغفار القصي ، مناهج البحث في علم السياسة (القاهرة : جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤) ، ص ١٠٢-١٠٣ .

٢- الإطار النظري للبحث وصياغة الفروض والتساؤلات المثارة في البحث ، وفي ضوء الملاحظة قد يلجأ الباحث إلى إعادة النظر في بعض العناصر الأساسية للبحث لتتلاءم والحقائق والوقائع الحية ومتماشية معها . أو أنه يلجأ إلى إعادة صياغة فروض البحث ليحصل على علاقة لها صفة التعميم . وفي حال قيام فريق من الباحثين بعملية الملاحظة يلزم على الباحث الرئيسي أن يقوم بتوزيع أقسام الموضوع وجوانبه عليهم . فيقوم كل منهم بحصر اهتمامات وملاحظاته في جانب واحد ، على أن يراعي الجميع خطة البحث وفروضه العامة والترابط بين الجوانب المختلفة التي يسهمون في ملاحظاتها بشكل مشترك .

٣- يمثل تسجيل الملاحظات أهمية أولية في استخدام هذه الأداة لجميع البيانات ، وعادة ما يوصى بسرعة وفورية التسجيل أولاً بأول في صحيفة التسجيل تكون معدة سلفاً بدقة وشمول. وتتراوح أدوات التسجيل ما بين التدوين إلى استخدام أجهزة مرئية أو مسموعة، وهذا يفرض على الباحث ضرورة تنظيم الملاحظات الميدانية التي يجري تسجيلها وتصنيفها وترتيبها للرجوع إليها عند الضرورة ، فتكون لإعطاء صورة حية لأي موقف يتم وصفه. أي لا مبرر لوجود الباحث لمجرد الملاحظة دون تسجيل ما يلاحظه ويجب ألا تستأنف عملية الملاحظة إلا بعد أن يستكمل التسجيل، والتعليق على ما تم تسجيله، أو تصنيفه بطريقة تكفل الاحتفاظ بالانطباعات السابقة والتأكيد على النقاط المهمة التي أمكن تسجيلها.

٤- ما هي خصائص المكان أو الموقع المراد ملاحظته ؟ وما يرتبط به من أحداث وعادات وتقاليد وإطار مرجعي للجماعة ، وعناصر ثقافية وجغرافية ومناخية وديموغرافية ؟ وما المدة ؟ وما التوقيت أو الفترة أو الفترات التي تتطلبها ؟ وما إمكانات تكرار الموقف ؟ وما معدل التكرار المتوقع وخصوصيته أو عموميته ؟ وهل يرتبط الموقف بمناسبة اجتماعية أو بطقوس معينة ، أو بإجراءات سياسية أو اجتماعية معينة ؟ أو برغبات ومطامع ومصالح وقيم معينة ؟ وما هو الموقع أو الموقف أو الإطار الذي ستنم انطلاقاً منه الملاحظة ؟

٨-٤ - أهمية الملاحظة بالمشاركة مراحلها ومشكلاتها :

تعد الملاحظة بالمشاركة أداة مهمة لجمع البيانات في كثير من الدراسات الخاصة بالمجالات التشريعية والمنظمات الدولية ، وصنع القرار داخل الفرع التنفيذي من الحكومة والسياسة على الصعيد المحلي، ويستطيع الباحث ، من خلال الملاحظة بالمشاركة ، أن يحصل على معلومات في أي من المواقف الآتية: (١)

١٠٢- د.حامد عبد الماجد ، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية(القاهرة:جامعة القاهرة، ٢٠٠٠)، ص٢١٤-٢١٥

- يصعب على الباحث أو يستحيل عليه في بعض الأحيان أن يجمع معلومات من الأفراد باستخدام المقابلة أو الاستبيان ، فيلجأ إلى الملاحظة بالمشاركة ، إذ يصبح في هذه الحال جزءاً من مجتمع الأفراد فيتعاون معه .
 - إمكانية الحصول على بيانات تكشف عن أنماط سلوكية معينة يصعب معرفتها باستخدام تقنيات لجمع المعلومات في لحظة زمنية محددة ، مثال ذلك ، استخدام الملاحظة بالمشاركة في الكشف عن أنماط الصراع التي تظهر فقط عبر فترة زمنية طويلة، والتي قد يذكرها الناس بصورة مشوهة بفعل مصالحهم الشخصية أو انتمائهم.
 - لدى قيام الباحث بدراسة مجتمع ما أو ثقافة غريبة عنه لا يعرفها جيداً ، فهو لا يستطيع من خلال الملاحظة بالمشاركة ، أن يكون رؤية و فكرة ومعرفة لا بأس بها تساعده على استخدام التقنيات البحثية الأخرى . فهناك باحثون سياسيون اتخذوا من الملاحظة بالمشاركة مدخلاً ضرورياً لاستعمال أدوات أخرى لجمع المعلومات ، من ذلك مثلاً أن المشاركة في أعمال لجان الكونغرس الأمريكي قد زودت بعض الباحثين برؤى ومعارف قيمة أفادتهم في إعداد كشوف مقابلة لدراسة العملية التشريعية داخل الكونغرس ذاته .
- وفيما يتعلق بمراحل الملاحظة بالمشاركة ، يمكن القول إن عملية الملاحظة بالمشاركة تمر بعدة مراحل متميزة ، في كل منها يثير الباحث عدة تساؤلات ، ويمارس الكثير من الأنشطة للحصول على بيانات معينة . وبصفة عامة هناك ثلاث مراحل لعملية الملاحظة بالمشاركة ، تهتم المرحلة الأولى بمعرفة الجوانب الأساسية لحياة المجتمع قيد الملاحظة ، بينما ينصب اهتمام المرحلتين الثانية و الثالثة على الفحص المتعمق لمشكلات أو جوانب أكثر تحديداً ، وجمع معلومات بطريقة أكثر تنظيماً.^(١)

٨-٤-١ - المرحلة الأولى هي مرحلة التعرف المبدئي :

يتم في هذه المرحلة رسم خريطة للمجتمع موضع الدراسة اجتماعياً وسياسياً ، حيث يسعى الباحث إلى أن يقف على أوجه الحياة السياسية والاجتماعية للمجتمع المراد دراسته من قبيل: أنواع البشر الموجودين ، ماذا يفعلون؟ نواحي الاختلاف بين المجموعات التي يحتضنها المجتمع ، مصادر الصراع ، القضايا المهمة ، الاتجاهات والمعتقدات السائدة ، الشخصيات ذات النفوذ والتأثير ، ثم التجارب والأحداث المهمة في حياة المجتمع التي تشغل حيزاً مهماً من أحاديث الناس . وكل ذلك يمكن أن يعرفه الباحث من خلال تعرفه على مختلف المناطق في المجتمع وإجراء حصر للسكان في تلك المناطق أو في بعضها للحصول على بيانات جديدة عن التركيب الديموغرافي ، وخلق علاقات تعارف مع أفراد من الأسر التي تشملها عملية الحصر .

David dooly , Social Research Methods (New Jersey : prentice Hall – Inc . , ١٩٩٩) pp.٣٦-٣٨-١٠٣

لأنه إذا لم يستطع الباحث الإلمام بهذه الجوانب ، فإنه يستحيل عليه أن يباشر عملية اختبار فروض بحثه ، إن كان ذلك لازماً للباحث الغريب عن المجتمع ، فمن الضروري أيضاً للباحث الذي ينتمي ثقافياً إليه ، لأن معرفة شخصيات وأحداث معينة يكون لها بالغ الأهمية في فهم العملية السياسية داخل المجتمع قيد الدراسة .

كما أنه في مرحلة التعرف المبدئي ، يجب على الباحث أن يحدد لنفسه دوراً في المجتمع ، وأن يقوم بتنمية علاقات شخصية مع أفراد بعينهم ولاشك أن أكثر الأدوار نفعاً للملاحظ المشارك هو الدور الواضح والمريح، وهناك ثلاثة أوجه لقضية الدور:

أولها: يتعلق فيما إذا اختار الباحث لنفسه دوراً محورياً أو هامشياً ، لأنه لو وقع اختياره على دور هامشي فهو سيكون مفيداً للباحث ، لأنه سيقوم بالملاحظة باستقلالية عن الفرق أو الزمر في مجتمع الدراسة ، ويمكنه جمع معلومات عن صراعات ذلك المجتمع وشكاوى الناس عن سلوك بعض المسؤولين .وفي بعض الأحيان يكون للباحث دوراً محورياً فيرتبط بالمجموعات الفاعلة والمؤثرة أو قد يرتبط بالقادة في المجتمع قيد الدراسة .

ثانيها: يتمحور حول ما إذا اختار الباحث لنفسه أن يتقمص دوراً موجوداً بالفعل في المجتمع أم دوراً جديداً . ويلاحظ بهذا الصدد ، أن غالبية الباحثين السياسيين الذين أجروا دراسات في غير بيئاتهم قد اختاروا أدواراً جديدة على هذه البيئات ، ومن مزايا هذا الدور إتاحة حرية الحركة في المجتمع أمام الباحثين .

ثالثها: يرتبط بمدى اعتماد الباحث على نفسه أم أنه يستعين ببعض أبناء مجتمع الدراسة لإخباره بما يدور في هذا المجتمع ، ولمده بمعلومات أساسية في هذه المرحلة المبكرة من البحث. ولكن يفضل عدم الارتباط بإخباري له دور هامشي في المجتمع أو ينتمي إلى جماعة بينها وبين جماعات أخرى علاقات صراعية قد يعرقل عمل الباحث أو يعطي صورة مزيفة عن أوضاع مجتمع الدراسة .

٨-٤-٢- المرحلة الثانية هي البحث البؤري :

بعد أن ينتهي الباحث من مرحلة التعرف المبدئي على مجتمع الدراسة والاكتشاف العام لهذا المجتمع ، ينتقل إلى مرحلة البحث البؤري أي الفحص الدقيق والمتعمق لمفاهيم أو جوانب معينة من مجتمع الدراسة وقد تكون بعض هذه الجوانب أو المفاهيم متضمنة في التصميم الأولي للبحث ، وبعضها قد تظهر أهميته خلال فترة التعرف المبدئي.(١)

٨-٤-٣- المرحلة الثالثة هي مرحلة التنظيم والقياس

بنصب اهتمام الباحث في هذه المرحلة على جمع مشاهداته بطريقة منظمة تسمح له بالتحقق من صدق فروضه التي قام بصياغتها بشكل نهائي في المرحلة السابقة ، ولتيسر للباحث تحقيق هذه المهمة ، عليه أن يضع مؤشرات للمفاهيم المستخدمة في البحث ، ويقوم بتسجيل منظم للشواهد الخاصة بالأحداث أو الأفراد أو كليهما معاً وذلك في حدود الفروض التي تحاول الدراسة اختبارها. وأخيراً على الباحث أن يستخدم المقابلة المقننة أو الاستبيان لتسهيل عملية جمع بيانات عن الأشخاص بطريقة منظمة ومجدية.(٢)

أما مشكلات الملاحظة بالمشاركة فيمكن إيجازها في ثلاث مشكلات :

أولها: عملية تسجيل الملاحظة ، حيث أنه تلافياً للتحيز والتحريف الذي قد ينجم عن الاعتماد على الذاكرة ، ينصح بتدوين الملاحظات على الفور. لكن قد يستثير التسجيل الفوري سلوك الأفراد موضوع الملاحظة بحيث لا يتصرفون على طبيعتهم بل بشكل مصطنع وهو ما يشوه المعلومات ، إلا أن وجود ألفة بين الباحث ومن يقوم بملاحظتهم من شأنه أن يقلل من خطر تشويه البيانات .

ثانيها: تنبع من طبيعة الظاهرة موضع الملاحظة ، فإذا كان لدينا ظواهر يمكن ملاحظتها بسهولة (المظاهرات ، أعمال الشغب ، التصويت برفع الأيدي ...) ولكن هناك ظواهر يصعب ملاحظتها كالتصويت السري . كما أنه في حال النشاط الكثيف المراد ملاحظته لا يستطيع الباحث أن يلاحظ سوى عدد محدود من الأفراد وجزء من النشاط الجاري بحيث يوزعهم على أماكن مختلفة داخل المجتمع للحصول على أقصى مايمكن من مشاهدات .

١٠٤ - د.فاروق يوسف أحمد ، مناهج البحث العلمي ، مصدر سابق ، ص/١١٥ .

١٠٥ - د.حامد عبد الماجد ، مصدر سابق ، ص/٢١٧ .

ثالثها : تتعلق بالإطار الزمني ، حيث لا يستطيع الباحث أن يكرر الأحداث السياسية كي يخضعها للملاحظة ، كما أنه في كثير من الأحيان لا يمكنه التنبؤ بوقوع حدث ما حتى يتواجد في أثناء حدوثه ليقوم بملاحظته.^(١)

٨-٥- تقييم الملاحظة المباشرة :

بصفة عامة ، تتمتع أداة الملاحظة المباشرة بمزايا عديدة تضيف عليها ميذاً من الأهمية ، فالتفاعلات والمواقف التي تتناولها الملاحظة (الإضرابات ، والاحتجاجات ، والسلوك الجماهيري عموماً) لا تستطيع وسائل جمع البيانات الأخرى أن تعبر عنها ، والباحث الحصيف هو من يستطيع تسجيل وقائعها بدقة وينقل صورتها حية إلى بحثه . ومن مزايا الملاحظة المباشرة الأخرى قدرتها على توضيح ظواهر ذات أهمية ، ولا يذكرها صراحة أطراف التفاعل موضوع الملاحظة ، وذلك خشية افتضاح أمرهم أو ملاحقتهم ، ولعل أهم مزايا الملاحظة المباشرة ما يلي:^(٢)

- أنها أفضل أدوات جمع البيانات حول السلوك غير اللفظي .
- أنها تعطي الباحث فرصة مشاهدة السلوك كما يحدث على أرض الواقع تماماً لتجعله قادراً على إعطاء ملاحظات دقيقة حول الملامح الرئيسة للسلوك موضع الملاحظة .
- كما أنها أقل عرضة للتحيز مقارنة بغيرها من وسائل جمع البيانات ، خصوصاً تلك التي تعتمد على الإجابات اللفظية لمفردات العينة أو المجتمع موضع الاستبيان أو المقابلة .

١٠٦- لمزيد من التفاصيل عن مشكلات الملاحظة أنظر :

• د. كمال المنوفي ، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة (الكويت:وكالة المطبوعات ، د.ت)، ص ١١٢-١١٥ .

• د. فاروق يوسف أحمد ، مصدر سابق ، ص ١١٧-١١٨ .

١٠٧- د. عبد الغفار القصبي ، مناهج البحث في علم السياسة ، مصدر سابق ، ص ١٠٤-١٠٥ .

الفصل التاسع

Interview "المقابلة"

- ٩-١ - تعريف المقابلة.
- ٩-٢ - استخدام المقابلة.
- ٩-٣ - أنواع المقابلة.
- ٩-٣-١ المقابلة المفتوحة.
- ٩-٣-٢ المقابلة المقننة.
- ٩-٣-٣ المقابلة المقننة - المفتوحة.
- ٩-٣-٤ مقابلة الصفوة.
- ٩-٤ - خطوات المقابلة وقواعدها.
- ٩-٥ - تقسيم المقابلة.

تعد المقابلة من أهم أدوات جمع البيانات في البحوث والدراسات السياسية الميدانية ، لأنه بدون المقابلة (أي مواجهة الباحث للمبحوث بهدف جمع الحقائق والبيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع البحث) لا يستطيع الباحث التعرف على الحقائق ، أو تبويبها و تصنيفها ، وتحليلها تحليلًا علميًا يساعده على التوصل للنتائج النهائية التي يستخدمها الباحث في توضيح جوانب موضوع الدراسة وأبعاده .

٩-١- تعريف المقابلة :

هناك تعريفات كثيرة للمقابلة ، أبرزها ما يلي^(١):

المقابلة هي تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف المواجهة ، حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو البيانات لدى المبحوث أو التي تدور حول آرائه ومعتقداته .

المقابلة تعني ذلك النمط أو الأسلوب المتخصص للاتصال الشخصي والتفاعل اللفظي الذي يجري لتحقيق غرض خاص . ويركز فيه على بيانات ومعلومات خاصة ، ويستبعد ما عداها من المعلومات وكذلك المعلومات القريبة أو الدخيلة وغير الجوهرية في الموضوع . هذا بالإضافة إلى أن المقابلة هي نوع من التفاعل الذي يكون فيه دور كل من المقابل والمجيب دوراً محدداً يتوقف في سماته الخاصة على غرض المقابلة أو الطابع الغالب عليها .

المقابلة هي عملية حوارية بين شخصين : الباحث الذي يحاول الحصول على المعلومات يجمعها ، ويصنفها ، والمبحوث الذي يعطي المعلومات إلى الباحث بعد إجابته على الأسئلة التي يوجهها إليه الباحث . وتتمثل عملية المقابلة في فعل ورد فعل: سؤال وجواب ، وبعد القيام بها يستطيع القائم بالمقابلة تحقيق أهدافه في جمع المعلومات والبيانات والتعرف على الآراء والمواقف والاتجاهات والاطلاع على الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأشخاص المبحوثين^(٢).

وبناءً على ما سبق تعد المقابلة في الدراسات الميدانية حجر الزاوية في الوصول إلى الحقائق التي لا يمكن للباحث معرفتها دون النزول إلى واقع المبحوث والاطلاع على ظروفه والعوامل والقوى التي تؤثر فيه ، وجمع حقائق تتعلق بهذه الموضوعات يستلزم من الباحث أن يذهب إلى مكان المبحوث لمباحثته ومشاهدة ظروفه الموضوعية، ولكن تتطلب المقابلة درجة من التعاون

١٠٨- الشريف، د. عبد الله محمد ، مناهج البحث العلمي (القاهرة : دار عصمي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦) ، ص ١٢٩ .

١٠٩- الماجد، د. حامد عبد، مصدر سابق ، ص ٢٧٥ .

والتفاعل الإيجابي بين الباحث والمبحوث. إذ على الباحث احترام المبحوث و الإصغاء إلى إجاباته وشروحه وتعليقاته ، ويجب أن يحيطه علماً بأن المعلومات التي يحصل عليها منه ستكون سرية ، كما يجب على الباحث عدم إلزام المبحوث بالإجابة عن الأسئلة المحددة . أما المبحوث فعليه أن يكون متعاوناً مع الباحث ومهتماً بموضوع بحثه عبر الإجابة عن الأسئلة الاستبائية ، لأن عدم الإجابة عنها سيفشل البحث الذي يقوم به الباحث، ولدى فشل البحث لا يستطيع الباحث حل المشكلة التي تواجه المواطنين من خلال تنسيق جهوده مع المؤسسات السياسية والتشريعية^(١).

٩-٢- استخدام المقابلة:

وفيما يتعلق باستخدام المقابلة كأداة، يلاحظ أن المقابلات تستخدم بشكل واسع في المجتمعات المتقدمة هذه الأيام ، وذلك لأهداف واسعة. إلا أن استخدامها في البحوث كأداة لجمع البيانات يخضع لاعتبارات وشروط لها أهميتها وبدونها تفقد المقابلة مغزاها ومبررها.

وتمثل المقابلة في البحوث السياسية مكانة مرموقة، لأنها تتيح للباحث أن يحصل على بيانات ومعلومات في غاية الأهمية، وتلعب دوراً أساسياً في البحث السياسي ، خاصة ما إذا ما كانت المقابلة مقابلة " صفوة " التي يمكن للباحث من خلالها أن يسبر أغوار مشاعر شخص ما أو مجموعة أشخاص تجاه قضية ما أو ظاهرة معينة وأن يتعرف على مواقفهم واتجاهاتهم أو خبراتهم .

كما أن المقابلة قد تستخدم في المرحلة التمهيديّة من البحث بهدف التعرف على مختلف أبعاد المشكلة البحثية قيد الدراسة، وكذلك متغيرات الدراسة والعلاقة بين هذه المتغيرات. كما قد تستخدم المقابلة لاختبار فروض معينة وتطويرها أو صياغة واقتراح فروض بحثية جديدة ، أو لتجميع بيانات ومعلومات ذات أهمية بالنسبة لأهداف البحث . ذلك أن المقابلة تعين الباحث على الوقوف على تفضيلات المبحوثين وقيمهم واتجاهاتهم التي يمثلونها ، وتوفر إمكانية قياس معارفهم ومعلوماتهم^(٢).

وتتميز المقابلة بالمرونة النسبية والقابلية للتعديل ، وبإمكانية استخدامها في مشكلات متعددة ومع أنماط عديدة من الأفراد ، حتى مع الأطفال الصغار الذين لم يتعلموا بعد القراءة والكتابة .

١١٠- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

١١١ - د. عبد الغفار القصبي ، مناهج البحث في علم السياسة ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

ويمكن متابعة المبحوث والتوضيح له ، والرد على استفساراته حتى نتمكن من الوصول إلى الإجابة السليمة. كما يمكن متابعة سلوكيات المبحوث أثناء المقابلة، وأن يحفز المبحوث ويشجعه. لذلك الاستجابة التي تحققها المقابلة هي أعلى في معظمها كثيراً عن الاستبيان^(١). كما تتيح المقابلة للباحث الفرصة للتعمق في فهم المبحوث ، ويمكن للباحث من خلال مهاراته وتدريبه أن يوجه المقابلة نحو غايات البحث ويخلق نوعاً من الحوار البناء من خلال المقابلة ، وتشجع المبحوث على الاستجابة الكاملة ، ويزيل لديه أية شكوك أو لبس بشأن الأسئلة وعناصر موقف المقابلة برمتها^(٢).

٩-٣-أنواع المقابلة :

تصنف المقابلة في عدة أنواع أو مستويات من المقابلات^(٣):

٩-٣-١- المقابلة المفتوحة :

وتتميز بالمرونة المطلقة ، حيث يترك قدر كبير من الحرية للمبحوث في التعبير عن آرائه وتفضيلاته ودوافعه ومعتقداته ، وبالتالي لا يرتبط مثل هذا النوع من المقابلات بأسئلة محددة باحتمالات للإجابة . وإجابة أسئلة هذا النوع من المقابلة تستدعي إجابة مفتوحة أيضاً، مثال ذلك : ما هو رأيك بالنسبة لموضوع التعليم المفتوح أو الافتراضي ؟ ، وتمتاز المقابلة المفتوحة بقراءة بياناتها ، ويؤخذ عليها صعوبة تصنيف الإجابات المتوافرة .

٩-٣-٢- المقابلة المقننة:

يقصد بالتقنين هنا توجيه أسئلة معينة بذاتها إلى المبحوثين جميعهم ، بالترتيب نفسه وبالطريقة نفسها، وفي وقت محدد على أساس أن يتعرضوا للمثير نفسه ، حيث يتوقع الحصول على استجاباتهم وردود أفعالهم المختلفة بدرجاتها المتباينة نتيجة التعرض لنفس المنبه . وتستخدم في هذه المقابلة أسئلة تتطلب الإجابة بنعم أو لا، أو موافق، محايد، أو غير موافق . ويتطلب

^{١١٢}- د. طاهر مرسي عطية ، إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه في العلوم الإدارية (القاهرة : دار النهضة العربية ، د.ت)، ص ١٠٢ .

١١٣- د. عبد الغفار القصبي ، مناهج البحث في علم السياسة ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

١١٤ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٧ - ١٠٨ وانظر أيضاً :

• طاهر مرسي عطية ، مصدر سابق ، ص ١٠٢-١٠٣ .

• د. عبد الله محمد الشريف ، مناهج البحث العلمي ، مصدر سابق ، ص ١٢٩-١٣١ .

هذا النوع إجابات دقيقة ومحددة ،وتكون عملية تصنيف البيانات فيه وتحليلها إحصائياً أسهل بكثير من أنواع المقابلة الأخرى.

٩-٣-٣- المقابلة المقننة - المفتوحة :

وهي مقابلة تكون فيها الأسئلة مزيجاً من النوعين السابقين (مقننة ومفتوحة) ، وهي أكثر أنواع المقابلات شيوعاً . وتجمع بين ميزات النوعين آنفي الذكر من حيث غزارة البيانات وإمكانية تصنيفها وتحليلها إحصائياً . ومن الأمثلة على ذلك أن يبدأ الباحث بتوجيه أسئلة مقننة للشخص موضوع البحث على النحو التالي :

" هل توافق على التعليم المختلط ؟ " ، ثم ينتقل إلى أسئلة مفتوحة لسبر غور الموضوع . كان يضيف: لماذا أو هل لك أن توضح موقفك بشيء من التفضيل أو غير ذلك " .

٩-٣-٤- مقابلة الصفوة :

وهنا نعني الصفوة السياسية والمتقفة ، وفي الواقع هناك تعريفات متعددة لمفهوم الصفوة ، فيرى البعض أن الصفوة الحاكمة مجموعة أفراد يهيمنون على صنع القرار السياسي، وتخطيط سياسات المجتمع عموماً ، في حين يرى البعض الآخر أن الصفوة السياسية مجموعة صغيرة نسبياً ، ومنظمة بشكل عضوي ، تمارس السلطة بشكل شرعي أو غير شرعي ، أو تطالب بحقها في ممارستها ، أو تعتقد أن لها حق في ممارستها على الجماعات الأخرى ؛ التي ترتبط بها في علاقات سياسية أو ثقافية. وهناك من يعرفها على أنها " الصفوة السياسية هم كبار موظفي الحكومة ، والإدارات العليا والأسر ذات النفوذ السياسي كالأسر المالكة والأرستقراطية". ويمكن الاعتماد على الصفوة وإن حملت لقب " سابقاً " حيث تحتفظ بنوع من الوثائق الشخصية . كما أنه حتى السيرة الذاتية غالباً ما تكون مفيدة في تحليل بعض الأحداث والمواقف السياسية. وتوجد عدة اعتبارات تدفع الباحث للتركيز على إجراء المقابلات مع الصفوة ، من ذلك مثلاً : انتشار الأمية ، أو الاحتياج إلى الدراية والتخصص ، أو الرغبة في الحصول على المعلومات والمعارف المتوافرة لدى الصفوة بصدد الأحداث أو الوقائع السياسية المختلفة ، أو قد يكون الدافع لمقابلة الصفوة هو الرغبة: في تدقيق بعض المعلومات التي تم الحصول عليها من مصادر أخرى مكتوبة أو ميدانية، فمقابلة المؤرخين مهمة في توضيح بعض الالتباسات التي قد تتسبب فيها مصادر صحفية غير محترفة كتبت في موضوع تاريخي دون تدقيق. في الحصول على أطر تفسيرية جديدة للقضية قيد البحث ، فقد يكون لدى الصفوة آراء بشأن تفسير نقطة

غامضة في البحث عندئذ يستطيع الباحث أخذ ذلك بعين الاعتبار عند قيامه بعملية التفسير .
مساعدة الصفوة للباحث في استشراف المستقبل إذا تميز أفراد الصفوة بقدرة فكرية عالية^(١).

٩-٤ - خطوات المقابلة وقواعدها :

تتطلب المقالة اختياراً دقيقاً للقائمين بها ، وتدريب هؤلاء على الموضوعية وتجنب التحيز ، والإيمان بأهمية البحوث الميدانية ، وضرورة صدق هذه البحوث، مع أهمية أن يوضح للقائمين بالمقابلات طرق المقابلة وخطواتها وقواعدها الأساسية لتسجيل المعلومات ، وضرورة وجود مهارات أساسية في الاتصال والإقناع، كما يجب أن يتوافر لدى هؤلاء الدافع الذاتي للعمل الدؤوب والمخلص، وأسس معاملة المبحوثين واحترام آرائهم وحفزهم على التعاون الجاد والتفاعل الخلاق في موقف المقابلة لتحقيق أهداف البحث العلمي ، حتى يقبل هؤلاء على القائم بالمقابلة ويمنحونه ثقتهم وتعاونهم . كما يجب على الباحثين أن يلموا بخصائص المبحوثين وخلفياتهم السياسية والثقافية^(٢).

من أولى خطوات المقابلة توافر إطار نظري للبحث ، وأهدافه وأسباب اختيار المقابلة كأداة للبحث والصياغة الدقيقة لأهداف البحث ، والمتغيرات التي يسعى الباحث إلى قياسها . كما أن التحديد الدقيق للمشكلة البحثية سوف يسهل عملية تحديد نوع الأسئلة والبيانات التي يريد الباحث الحصول عليها من المقابلة ، كما يسهل عملية تحديد الأشخاص الذين ستنم مقابلتهم، مما تمكن الباحث من تحديد صورة المقابلة هل هي رسمية مقننة أو مفتوحة أو مقابلة صفوة.

وبتعبير آخر ، بعد تحديد المشكلة بدقة يترجم الباحث أهداف المقابلة ومتغيراتها الرئيسة إلى أسئلة تشكل في مجملها الهيكل الأساسي للاستمارة التي سوف تستخدم في المقابلة ، بحيث تعكس هذه الأسئلة في الإجابة عنها البيانات المطلوبة في البحث في حالة المقابلة المقننة وفق استمارة .

وتتضمن استمارة المقابلة عادة إلى جانب الأسئلة تعليمات مناسبة لكل من القائم بالمقابلة، والمبحوثين ممن تجري معهم المقابلة. بعد ذلك، تأتي مرحلة المقابلة ذاتها ، وهنا يقوم الباحث بطمأنة المبحوثين إلى أن هدف البحث أكاديمي بحت ، وأنه يتوقف على تعاونهم ، وعليه أن

١١٥- د. عبد الماجد، حامد، مصدر سابق ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

١١٦- القصبى، عبد الغفار، مناهج البحث في علم السياسة ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

يحظى بثقتهم ثم يحدد فريق البحث من القائمين بالمقابلة ، والتوقيت المناسب لإجرائها. وتبدأ المقابلة بهذه الطريقة من خلال تهيئة المناخ الملائم نفسياً ومادياً ، وتبدأ عادة بالأسئلة البسيطة لتتدرج إلى الأكثر عمقاً. وعلى الباحث أن يكون ذكياً لماحاً يبعث على الثقة في كل لحظة ليحظى بالإجابات كاملة في ضوء جهوده وطمأنته للمبحوثين .

ويرى البعض أنه لا يريد تسجيل المقابلة بشكل فوري بتدوينها بشكل منظم يسهل عملية الرجوع إليها أو باستخدام جهاز تسجيل يتأكد من سلامته. وفي المقابلة المقننة يتم إرشاد المبحوثين حتى لا يستطردون في إجاباتهم دون إحراجهم . وبعد جمع البيانات يتم ترتيبها وتصنيفها بقصد تحليلها . أما بالنسبة للأسئلة المفتوحة فيخضعها الباحث لتحليل المضمون ، ويطبق عليها إجراءات تقدير درجات تحكمية لها ، وأخيراً يجري تحليل البيانات وتفسيرها^(١).

٩-٥- تقييم أداة المقابلة :

للمقابلة مزاياها الواضحة، خصوصاً في بعض الحالات الضرورية التي تفرض طبيعة البحث أن يقوم الباحث بمقابلة عدد من الأشخاص . كما أن للمقابلة أهميتها في حال تغشي الأمية التي قد تعوق إجراء الاستبيان كما هو الحال في المجتمعات النامية. وإذا قام بالمقابلة باحثون مدربون ويتميزون بالحنكة والموضوعية ويتمتعون بقدرة إدارة موقف المقابلة، وتسجيل المعلومات ومبادئ العلاقات العامة، فإن المقابلة تعطي في الغالب نتائج مهمة^(٢).

ورغم هذه الأهمية للمقابلة كأداة لجمع المعلومات في مختلف مجالات البحث العلمي، إلا أنه قد يكتنفها بعض العيوب . ومنها : تحتاج المقابلة إلى إمكانات مادية تتعلق بنفقات السفر لمقابلة الأشخاص في أماكن مختلفة. وتحتاج المقابلة إلى وقت كبير لتحديد المواعيد وإرسال الرسائل والعثور على الأشخاص المراد مقابلتهم . كما يعتمد نجاح المقابلة كلياً على التفاوت في رغبة المستجيب عند إعطاء المعلومات أثناء المقابلة . كما أن المبحوث قد يفاجأ بسؤال أو بعدة أسئلة لم يكن يفكر بها، وهنا قد يضطر إلى إعطاء إجابات غير دقيقة ولا تقابل حقيقة المقصود بالسؤال، كما قد يعتمد إعطاء ردود مقتضبة غير مثمرة إن شعر أنه في موقف استجواب^(٣).

١١٨ - المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤ .

١١٩- د. القصيبي، عبد الغفار ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

١٢٠- د. سلامة، أحمد عبد الكريم ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية (القاهرة : د. ب ، أ) ، ص ١١٦ .

الفصل العاشر

الاستبيان Questionnaire

- ١٠-١-١ تعريف الاستبيان.
- ١٠-٢-١ أنواع الاستبيان.
- ١٠-٢-١-١ الاستبيان الحر.
- ١٠-٢-٢-١ الاستبيان المقيد/ المقفل.
- ١٠-٢-٣-١ الاستبيان المختلط.
- ١٠-٢-٤-١ استخدام الاستبيان بالمقابلة بدلاً من الاستبيان البريدي.
- ١٠-٣-١ شروط الاستبيان
- ١٠-٤-١ خطوات الاستبيان والقواعد الأساسية.
- ١٠-٥-١ طرق استقصاء الاستبيان.
- ١٠-٥-١-١ إرسال استمارة الاستبيان بالبريد.
- ١٠-٥-٢-١ استيفاء استمارة الاستبيان بالهاتف / الانترنت.
- ١٠-٦-١ أنواع العينات.
- ١٠-٦-١-١ العينات العشوائية.
- ١٠-٦-١-١-١ العينة العشوائية البسيطة
- ١٠-٦-١-٢-١ العينة المنتظمة.
- ١٠-٦-١-٣-١ العينة الطبقية.
- ١٠-٦-١-٤-١ عينة التجمعات والعينة متعددة المراحل.
- ١٠-٦-٢-١ العينات غير العشوائية.
- ١٠-٦-٢-١-١ العينة بطريقة الحصص.
- ١٠-٦-٢-٢-١ العينة العمدية والعينة التراكمية.
- ١٠-٧-١ الشروط الواجب مراعاتها في صياغة أسئلة الاستبيان.
- ١٠-٨-١ شروط صحيفة الاستبيان.

١- تعريف الاستبيان:

الاستبيان وسيلة من وسائل جمع البيانات، وتعتمد أساساً على استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة ترسل بالبريد إلى المبحوثين، أو تسلّم لهم ليقوموا بتسجيل إجاباتهم عن الأسئلة الواردة فيه وإعادته ثانية، ويتم ذلك بدون مساعدة الباحث للأفراد في تسجيل إجاباتهم. وهذا يعني أن الاستبيان هو وسيلة للحصول على إجابات عن عدد من الأسئلة المكتوبة في نموذج يعد لهذا الغرض، ويقوم المبحوث بملئه بنفسه^(١٢١).

وبتعبير آخر، إن الاستبيان هو الطلب الكتابي لوجهة نظر أو رأي حول موضوع أو مسألة معينة مع شخص أو مجموعة من الأشخاص. وبذلك يمكن استخدام الاستبيان في تجميع الآراء والاتجاهات حول ذلك الموضوع أو تلك المسألة، فهو أداة فعالة للتعرف المباشر على وجهات النظر دون تدخل القائم بالاستبيان أو تأويله أو تخمينه.

ويكون الاستبيان على هيئة ورقة أو استمارة مدون فيها أسئلة محددة، ويطلب من المبحوثين أن يجيبوا بطريقة "نعم" أو "لا"، أو يشير إلى العبارة أو الإجابة المدونة بأنها "صحيحة" أو "خاطئة"، أو يضع علامة "...أمام الرقم، أو يضع علامة أو دائرة أو خطاً تحت أو أمام الإجابة التي يراها، أو يكتب عبارة مختصرة في الفراغ الأبيض أو السطر الخالي.

وقد لا يتضمن الاستبيان أسئلة تتطلب إجابة مكتوبة، بل يكون على هيئة صور أو رسومات، ويؤثر للمبحوث على الصورة أو الرسم الذي يقابل وجهة نظره حول المسألة^(١٢٢).

أنواع الاستبيان:

للاستبيان عدة أنواع هي^(١٢٣):

١٠-٢-١ - **الاستبيان الحر أو المفتوح Open Form**: ويترك فيه للمبحوث حرية الإجابة عن الأسئلة المدونة وفق إرادته وطريقته الخاصة، دون إجبار على الاختيار بين إجابات محددة. ولما كان هذا النوع من الاستبيان يحتاج إلى جهد ووقت من جانب المبحوث، فكثيراً من المبحوثين لا يهتمون بالاستبيان ولا يعيدونه إلى الباحث.

١٢١- د. الشريف، عبد الله محمد، مناهج البحث العلمي، مصدر سابق، ص ١٢٣.

١٢٢- د. سلامة، أحمد عبد الكريم، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، مصدر سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

لمزيد من التفاصيل عن أنواع الاستبيان، انظر:

المصدر السابق نفسه، ص ١٠٩-١١٠.

١٢٣- د. الشريف، عبد الله محمد، مصدر سابق، ص ١٢٣-١٢٥.

١٠-٢-٢- الاستبيان المقيد أو المقفل **Closed Form**: وهو استبيان مزود بإجابات محددة أمام الأسئلة، ولا يكون أمام المبحوث إلا تعيين أو اختيار الإجابة الأنسب من وجهة نظره، وذلك بوضع علامة أمام تلك الإجابة، وهذا الاستبيان هو النوع الأكثر قبولاً لدى الجمهور.

١٠-٢-٣- الاستبيان المختلط **Mixed Form**: وفي هذا النوع من الاستبيان، تحتوي استمارة الاستبيان على أسئلة وإجابات محددة يمكن للمبحوث أن يختار إحدى تلك الإجابات. كما تحتوي الاستمارة على فراغات بيضاء يترك فيها للمبحوث أن يكتب ما يشاء من البيانات والمعلومات التي لم يسأل عنها الباحث.

ولما كان الاستبيان قد يعكس تحيزاً من قبل الباحث، خصوصاً في اختيار العينة التي يتوجه إليها باستمارات الاستبيان، يؤكد البعض على ضرورة توجيه الباحث لضمان اختيار مفردات العينة في مناطق ليس منها محل إقامته وأن يسجل الباحث أسماء وعناوين الحالات موضع الدراسة، فضلاً عن صقل الباحث وتدريبه وتوعيته بالأهمية التي تمثلها الأسس العلمية وأخلاقيات البحث الميداني عامة^(١٢٤).

وثمة من يرى أن المقابلة تصبح أكثر ملائمة، وأكثر جاذبية لجعل المبحوثين يبدون آرائهم وتفضلاتهم مقارنة بملء استمارة الاستبيان، خصوصاً، وأن الاستبيان قد يرتبط بعدم رد نسبة كبيرة من المبحوثين للاستمارات، وهو ما يتضح عن إرسال الأخيرة بالبريد. ولكن يمكن التغلب على ظاهرة عدم استجابة المبحوثين برد الاستمارات المرسلة بالبريد وذلك من خلال طرق عديدة من بينها^(١٢٥):

- استخدام الاستبيان بالمقابلة بدلاً من الاستبيان البريدي: وفي هذا جمع بين مزايا كل من أداتي الاستبيان والمقابلة، حيث يمكن للقائمين على المقابلة شرح وتفسير أية جوانب غامضة أو التباس في صحيفة الاستبيان، كما يمكن إقناع المبحوثين بأهمية تعاونهم.
- يرى البعض أنه يعد مقبولاً إذا لم تتجاوز نسبة أو معدل الرفض للرد على الاستبيان ٣٠-٤٠ %، لكن هذه النسبة إذا خرجت من العينة النهائية من شأنها أن تمثل تحيزاً خطراً في النتائج، مما يبرر لدى البعض حيل الإجابة على الاستبيان إجبارية. لكن هذا قد يصطدم برفض المبحوثين وتهربهم، كما يتنافى مع ما يتمتع به المواطن من جهة في الرد أو عدم الرد على الاستبيان.
- قد يفضل الباحث استخدام الاستبيان المقيد أي استخدام الأسئلة المغلقة التي يتكون كل منها من بدائل محددة يختار المبحوث من بينها واحدة في كل سؤال، أو أساليب مماثلة تكفل عدم

١٢٤- د. رشاد، عبد الغفار، أسس المنهج العلمي، مصدر سابق، ص ٣٦-٣٧.

١٢٥- د. القصبي، عبد الغفار، مناهج البحث في علم السياسة، مصدر سابق، ص ١١١-١١٢.

تهرب المبحوثين أو إجحامهم عن إنفاق المزيد من الوقت والجهد لملء استمارة الاستبيان واستيفاءها ، خصوصاً إذا كانت مطولة. في حين يرى البعض أن مثل هذه الأسئلة المغلقة من شأنها أن تقيد منظور الباحث من نواح عديدة.

١٠-٣- الشروط العامة للاستبيان^(١٢٦):

لما كان الاستبيان قوامه عدة أسئلة يطلب من المبحوثين الإجابة عنها، فإنه لكي يؤدي الاستبيان ثماره في تزويد الباحث بالمعلومات وبيانات اللازمة لبحثه، لابد للباحث أن يراعي في صياغة استبيان الشروط التالية^(١٢٧):

- أن يكون موضوع الاستبيان محدداً واضحاً بقدر الإمكان، بحيث يسهل على المبحوثين معرفة الإطار الذي تدور حوله أسئلة الاستبيان. كأن يتعلق بأسباب انتشار الظاهرة الإرهابية، أو ازدياد معدل العنف السياسي الرسمي أو غير الرسمي، أو ارتفاع واتساع ظاهرة انتهاك حقوق الإنسان في دول كثيرة، أو انتشار الأزمات الدولية أو الإدارة بالأزمات، أو ارتفاع نسبة الجريمة المنظمة عبر الحدود الدولية...الخ.
 - أن تكون أسئلة الاستبيان بسيطة واضحة، غير مبهمّة، وبعيدة عن التعقيد اللفظي، وتتناسب مع المستوى التعليمي والثقافي للمبحوثين. وألا تتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة رداً مطولاً يؤدي إلى ضياع الحزم في بيان الرأي.
 - ولكي يتحقق ذلك كله، يجب على الباحث أن يختبر الاستبيان قبل تطبيقه، وذلك عبر توزيعه على عينة صغيرة من الشريحة أو القطاع الذي سيوجه إليه الاستبيان للتعرف على إجاباتهم، ثم يقوم الباحث بمراجعة أسئلة الاستبيان وتوضيحها حتى تأتي معبرة ودقيقة.
- ١- أن تنصب أسئلة الاستبيان على الموضوع العام هدفه الدراسة، وأن تكون بعيدة عن العموميات، وعن التعرض للأسرار الخاصة، وألا تثير انفعالات المبحوثين أو ردود فعل غير عادية تدفعهم إلى إعطاء معلومات غير صادقة وغير موضوعية أو تجعلهم يحجموا تماماً عن الإجابة.
- ٢- أن يحدد الباحث في استمارة الاستبيان طريقة الإجابة عن الأسئلة، بإرفاق تعليمات عن كيفية الإجابة في هامش ورقة الاستبيان، أو في الصفحة الأخيرة من صحيفة الاستبيان. كما يجب أن يحدد الوقت الذي ينبغي فيه الانتهاء من الإجابة على الاستبيان ورده أو إرساله إلى صاحبه.

١٢٦- د. رشاد، عبد الغفار ، أسس المنهج العلمي، مصدر سابق، ص ٣٦-٣٧.

١٢٧- د. القصبي، عبد الغفار ، مناهج البحث في علم السياسة، مصدر سابق، ص ١١١-١١٢.

٣- أن يوجه الباحث الاستبيان إلى الأفراد أو الجهات ذات الاهتمام بموضوعه، حتى تأتي الإجابات مثمرة وتخدم موضوع البحث، فإذا كان هناك استبيان حول أسباب اللجوء إلى التحكيم في منازعات الاستثمار فيجب أن يوجه إلى جمهور المستثمرين وأصحاب المنازعات أمام هيئات التحكيم، أو يوجه إلى أساتذة القانون أو القضاة والمحكمين.

١٠-٤- خطوات الاستبيان والقواعد الأساسية:

قبل البدء بصياغة أسئلة الاستبيان، على الباحث أن يكون قد حدد الإطار النظري العام لبحثه، وحدد موضوعه بدقة وكذلك محاوره الرئيسية والافتراضات والتساؤلات التي تثيرها دراسته، وهدف البحث وموارده الفنية والمالية والزمنية. وفي ضوء ذلك، يبدأ الباحث في تحديد البيانات التي يرغب في الحصول عليها، وأدوات الحصول على هذه البيانات، وموقع صحيفة الاستبيان من ذلك. وكذلك، التأكد من الإمكانات المالية ووجود مساعدين للباحث ومدى تدريبهم ومهاراتهم وموضوعيتهم وحيادهم وإيمانهم وتمسكهم بقواعد الأسلوب العلمي وأسس البحث الميداني وأخلاقياته، والإطار الزمني اللازم وحجم التمويل وطريقة معالجة البيانات^(١٢٨).

وفضلاً عن ذلك، يقوم الباحث بتحديد كيفية تنفيذ صحيفة الاستبيان، فهو قد يلجأ إلى تسليم الصحيفة عن طريق المقابلة الشخصية وجهاً لوجه مع المبحوثين، أو يقوم بإرسالها إليهم بالبريد. وهناك باحثون يستخدمون الهاتف وأحياناً شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) لإيصال صحيفة الاستبيان إلى المبحوثين. وذلك كله، بعد تحديد الباحث لطريقة اختيار العينة وحجمها وموقعها. وخلال ذلك، يقوم الباحث أيضاً بصياغة أولية لصحيفة الاستبيان، بحيث يغطي المحاور الرئيسية لبحثه. بما يوفر له المعلومات الأساسية المطلوبة.

ويفترض أيضاً، أن يكون الباحث ملماً بالقواعد والعمليات التالية:

أنواع العينة، وحجمها، ومدى تمثيلها للمجتمع الأصلي أو مجتمع الدراسة.
الأسس المنهجية لصياغة الاستبيان وقواعد الأسئلة وأنواعها الواردة في الاستبيان.
المفاضلة بين طرق استيفاء استمارة الاستبيان (المقابلة، البريد، الهاتف، الإنترنت).

١٠-٥- طرق استيفاء صحيفة الاستبيان^(١٢٩):

١٢٨- د. سلامة، أحمد عبد الكريم، مصدر سابق، ص ١١٠-١١١.

١٢٩- د. القصبي، عبد الغفار، مصدر سابق، ص ١١٢-١١٣.

هناك أربع طرق لاستيفاء صحيفة الاستبيان:

- **المقابلة الشخصية وجهاً لوجه:** حيث يقوم الباحث أو مساعده بمقابلة المبحوثين فرداً فرداً، ويعطي كلاً منهم استمارة استبيان لجيب عن الأسئلة أو يكتب الإجابات التي ينطق بها المبحوث، ولكن يمكن أن يسجلها عن المبحوث إذا دعت الضرورة إلى ذلك. لكن هذه الطريقة تتطلب جهداً كبيراً، وعدداً كبيراً من المساعدين المدربين والأكفاء، وذلك حتى يمكن إقناع المبحوثين بالتعاون، والاستحواذ على ثقتهم، والحفاظ على مستوى ملائم من الموضوعية وسرية البحث، وعدم التسبب بالجرح الذي قد ينشأ نتيجة أنواع معينة من الأسئلة.

وبغض النظر عن هذه الاعتبارات، فإن طريقة الاستبيان بالمقابلة الشخصية وجهاً لوجه تتميز بدور مهم للباحث ومساعديه في تهيئة الظروف الملائمة لإدارة الموقف وتوجيهه لإنجاح البحث والحصول على تعاون المبحوثين وثقتهم وتوضيح أي غموض أو التباس أو تضارب يراه المبحوثون في الأسئلة. كما هذه الطريقة في استيفاء استمارة الاستبيان تعد ضرورية في المجتمعات ذات المعدلات العالية من الأمية. وتستخدم هذه الطريقة في الحالات التالية:

- عندما تكون مصحوبة بالملاحظة.
- لدى بروز أهمية المظاهر المرئية وردود الأفعال مباشرة من المبحوثين.
- عندما يتعذر الوصول إلى المبحوثين إلا من خلال طرق أبوابهم.
- لدى رغبة الباحث وعزمه على تعميم نتائج بحثه في حينه.
- عند مرونة اختيار مكان المقابلة، فهي قد تجري في المنزل، أو المكتب، أو الشارع، أو أماكن الاقتراع، وإلى غير ذلك.

وتتميز طريقة الاستبيان بالمقابلة وجهاً لوجه بعدد من المزايا، أهمها ما يلي:

- إمكانية تنفيذها في الموضوعات المعقدة.
- إمكانية التحقق والاختيار الدقيق والتأكد من صحة البيانات مباشرة.
- القدرة على إيجاد علاقات ألفة ووثام مع المبحوثين.
- إتاحة الفرصة للمبحوثين أن يتحكموا في استجاباتهم.
- ولكن يؤخذ على هذه الطريقة وجود عدد من العيوب، أبرزها:
- تحيّر القائمين على المقابلة.
- عدم إمكانية إجراء مقابلة أفراد معينين وجهاً لوجه لأسباب مختلفة.
- تصادم أو تضارب إدراكات كل من القائمين على المقابلة والمبحوثين.
- التكلفة العالية، إذ تحتاج هذه الطريقة إلى فريق مدرب وكف وميزانية ووقت.

١٠-٥-١ - إرسال استمارة الاستبيان بالبريد:

قد يتم الحصول على استمارة الاستبيان من خلال إرسالها عبر البريد، ويعتمد اتباع هذه الطريقة على الباحث أو الجهة التي تقوم بالبحث وأهداف البحث وموضوعه وخطته وإمكانياته. وعموماً تستخدم طريقة استيفاء استمارة الاستبيان بالبريد في الحالات التالية:

- لدى إمكانية حصر عدد الأشخاص وعناوينهم بدقة.
- في حال وجود جماهير أو قطاعات معينة ومحددة جيداً. مثل: تجمع سكاني محدد لمهنة ما، أو جنس محدد (رجال، نساء)، أو عقيدة ما.
- للسكان الأكثر استقراراً بمحل إقامة دائم.
- إمكانية تفريغ البيانات وحفظها تبعاً.
- الحصول على إجابات من أناس متنوعين وبأماكن مختلفة في الوقت نفسه. ويرفق عادة بالاستمارة خطاب شكر وتقدير، ونشرة توضح الطابع الخاص للبحث (أكاديمي، عملي، حزبي..)، وأهميته بالنسبة لأهداف الباحث، واسم الهيئة المشرفة على البحث أو الباحث، وأن المهم هو تحديد المعالم العامة لمجتمع الدراسة وليس آراء أفراد ووجهات نظر معينة.
- وفيما يتعلق بمزايا هذه الطريقة، فيمكن الإشارة إلى المزايا التالية:
- إن استيفاء استمارة الاستبيان عبر البريد هي الأرخص مقارنة بمختلف الرسائل الأخرى.
- تخلو من التحيز في الإدراكات.
- إمكانية استخدام الصور أو الجداول وغيرها مما يمكن طباعته في الاستمارة المرسله بالبريد.
- ولكن هناك ثمة عيوب ومثالب لإرسال استمارة الاستبيان عبر البريد، أهمها ما يلي:
- معدل أقل في وصول استمارات الاستبيان بعد استيفائها.
- لا تتيح الفرصة للمبحوث للتحكم في الإجابات التي يبديها بشكل مؤكد.
- قد تسبب المراسلات البريدية إثارة، وقد ينظر إليها المبحوثون على أنها غير مهمة، ولا تستحق استيفائها وإعادتها.
- بطء استعادة استمارات الاستبيان.
- تتطلب عينة أو جمهوراً يعرف القراءة والكتابة جيداً، ويفهم مضمون الاستمارة.

١٠-٥-٢ - استيفاء استمارة الاستبيان بالهاتف / الإنترنت :

يلجأ بعض الباحثين إلى استيفاء استمارة الاستبيان من خلال الهاتف أو من خلال شبكة الإنترنت ، وذلك عندما يرغب الباحثون في الوصول إلى النتائج مباشرة ، وعندما يتناول موضوع الاستبيان قضايا عامة ، أو عند إمكانية وصول المبحوثين إلى الإنترنت أو يملك كل منهم هاتفاً

. وقد يلجأ الباحثون لهذه الطريقة عندما يريدون استقاء البيانات عبر الهاتف / الإنترنت على مستوى الدولة أو على مستوى منطقة محلية في آن معاً .

وتتمتع هذه الطريقة بعدة مزايا ، لعل أبرزها مايلي :

- أنها عامة وغير شخصية .
- سهولة إمكانية استخدام بيانات البريد الإلكتروني والمواقع المختلفة والهواتف لاختيار عينة عشوائية .
- السرعة ورخص التكاليف .
- تتسم بالمرونة من الناحية الجغرافية .
- مفيدة للغاية في حال مجتمعات فيها نسب هواتف ومستخدمي الإنترنت عالية : مثل أساتذة الجامعات والأطباء .
- عدم تحيز القائمين بالاتصال ، وكذلك خالية من تحيز في الإدراكات لدى المبحوثين .
- ولكن توجد عدة عيوب لطريقة استيفاء الاستبيان عبر الهاتف أو الإنترنت أهمها مايلي :
- قد يسبب استخدام الهاتف أو الإنترنت قلقاً أو شكوكاً لدى بعض المبحوثين أو ذويهم .
- غير مفيدة في الموضوعات المعقدة .
- توفر فرصة أقل للمبحوثين ليتحكموا في استجاباتهم .
- صعوبة استخدامها لتمثيل محدودي الدخل أو من لا يملكون هاتفاً أو حاسوباً
- تعتمد على سماع الكلمات المنطوقة عبر الهاتف وحالة شبكة الإنترنت وسرعتها مما قد لا يستحسنه البعض .
- ولكن يلاحظ ، أن بعض الباحثين يمزجون بين أكثر من طريقة لاستيفاء استمارة الاستبيان ، كأن تسلم استمارة الاستبيان إلى المبحوثين من خلال المقابلة الشخصية ، على أن يرسل المبحوث الرد بالبريد ، أو يتلقى المبحوثون الأسئلة من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية (مجلة ، صحيفة ، أو الإذاعة ، أو التلفزيون ، أو عبر أحد مواقع شبكة الإنترنت) ويقومون باستيفائها وردها بالبريد أو عبر الإنترنت ، أو غيرها من طرق قد تجمع بين مزايا أكثر من طريقة ، وتقلل من العيوب المرتبطة بها مما ينعكس ايجابياً على البحث .

١٠-٦- أنواع العينة (١٣٠):

١٣٠ - مزيد من التفاصيل عن طرق استيفاء صحيفة الاستبيان، انظر:

0 المصدر السابق نفسه، ص ١١٥-١١٦.

0 د. حامد عبد الماجد، مصدر سابق، ص ٢٧٤.

يلاحظ في كثير من الحالات ، عدم إمكانية إجراء الاستبيان بطريقة الحصر الشامل ، بمعنى تلقي الباحث الإجابة من جميع أفراد مجتمع البحث، لذا يلجأ الباحث إلى اختيار عينة يجب أن تتوفر فيها شروط معينة ، حتى تكون النتائج قابلة للتعميم على مجتمع الدراسة أو المجتمع الأصلي .

إن تحديد المجتمع الأصلي وتعريفه بدقة ، في ضوء طبيعة مشكلة الدراسة research problem وهدفها وموضوعها وإمكاناتها والدراسات السابقة وقنوات الاتصال المتاحة للاتصال بأفراد هذا المجتمع ، تكون الخطوة الأولى. في اختيار العينة . ويتفاوت هذا المجتمع الأصلي تفاوتاً واضحاً فقد يكون المثقفين في سورية أو خريجي العلوم السياسية في الوطن العربي أو طلاب الدراسات العليا في جامعة دمشق أو في جامعة حلب أو أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي أو انسياب حديثي السن في مؤسسة أو نقابة أو اتحاد مهني . أما الخطوة الثانية تكمن في تحديد الحجم الملائم للعينة المختارة حيث تبرز بعض العوامل التي تتحكم في تحديدها ومنها :

- مقدار التباين في مفردات المجتمع الأصلي .
- ميزانية البحث وإمكاناته المالية .
- الموارد البشرية الضرورية للبحث .
- مدى اعتماد الباحث على الأساليب اليدوية أو الحواسب الآلية في مراحل البحث المختلفة .
- حدود الخطأ العشوائي الذي يمكن أن يقبله الباحث.
- مدى وجود اهتمامات يوليها الباحث لأجزاء من البحث أكثر من غيرها. ومدى وجود اهتمام خاص للحصول على بيانات تفصيلية عن هذا الجزء مما قد يدفع الباحث على زيادة حجم هذا الجزء تحديداً.

كما أنه من الضروري أن يحصل الباحث على حجم العينة الذي يمثل بالفعل المجتمع الأصلي، ويسمح بظهور جميع أقسام هذا المجتمع وفئاته. هذا مع العلم أن حجم العينة يعتمد أيضاً على حجم المجتمع الأصلي، وفي المجتمعات ذات التباين الواضح، يلاحظ أنه كلما زاد حجم المجتمع الأصلي ذاته، زاد حجم العينة التي يمكن أن تمثله. وبصفة عامة، كلما زاد حجم العينة قلّت نسبة الخطأ المتوقع، ويوضح الجدول التالي حدود هذا الخطأ المتوقع بالنسبة لأحجام مختلفة للعينة:

عدد مفردات العينة	حدود الخطأ المتوقع (...)
١٠٠	١١
٢٠٠	٨
٤٠٠	٦

٥	٦٠٠
٤	١٠٠٠
٣	١٥٠٠
٢	٤٠٠٠

المصدر: د. عبد الغفار القصبي، مناهج البحث في علم السياسة، مصدر سابق، ص ١١٨.

فعلى سبيل المثال، الباحث الذي يقبل نسبة خطأ متوقعة ٨% يختار عينة من ٢٠٠ مفردة، ويمكن تقليل حدود هذا الخطأ بزيادة حجم العينة، مما يفرض نفقات أكثر، ممثلاً عند تقليل حدود الخطأ إلى ٤% يختار عينة من ١٠٠٠ مفردة، أو تقليل حدود الخطأ إلى ٢% يفرض اختيار عينة من ٤٠٠٠ مفردة. بينما السماح بحدود خطأ أعلى للخطأ (مثلاً ١١%) يسمح باختصار حجم العينة إلى ١٠٠ مفردة فقط.

ولكن إذا كان هدف الباحث المزيد من الدقة بغض النظر عن الجهد والتكلفة، لا يقبل الباحث بحدود خطأ مرتفعة بل يسعى إلى تقليل نسبة الخطأ المتوقعة إلى أدنى حد ممكن، لأن ذلك يسمح للباحث بإمكانية التعميم والتنبؤ، لأنه في هذه الحال يكون الباحث على درجة عالية من اليقين.

قد تكون العينات عشوائية أو اجتماعية، تختار عشوائياً بحيث تتاح لكل مفردات المجتمع الأصلي فرصة الظهور نفسها كأحد مفردات العينة. وقد تكون عينات غير عشوائية تتحدد بناءً على خصائص وشروط يفترض توافرها في مفردات العينة. وهنا قد يلعب الباحث دوراً متحيزاً في اختيار مفردات العينة، مما لا يضمن تمثيلها للمجتمع الأصلي، لأنها قد وضعت بناءً على تقديره الشخصي.

١٠-٦-١- العينات العشوائية وأنواعها:

١٠-٦-١-١- العينة العشوائية البسيطة: simple random sample

يخضع اختيار مفرداتها لمبدأ المساواة المطلقة في الفرص المتاحة لكل مفردات البحث للظهور في هذه العينة، ويفترض تشابه عناصر العينة المختارة في خصائصها مع مجتمع البحث الأصلي، بحيث يوليه الباحث جل اهتمامه لما لها من مغزى في بحثه. مثال ذلك فئات النخب الحزبية أو جماعات الضغط... كما يشترط في هذه العينة وجود قائمة كاملة بمفردات مجتمع الدراسة وهذا في أغلب الحالات غير متوفر.

١٠-٦-١-٢- العينة المنتظمة: systematic sample

وتعني اختيار العينة من بين كل مفردات المجتمع الأصلي بطريقة منتظمة، وبتعبير آخر إن هذه العينة هي صورة معدلة للعينة البسيطة. فإذا كان عدد مفردات العينة ٦٠٠ مفردة، فإنه يختار الرقم ٢٠ ومضاعفاته (أي أرقام ٤٠، ٦٠، ٨٠، ١٠٠،....وهكذا). وتطبق مثل هذه في اختيار عدد من الصحف لإخضاعها لتحليل المضمون فيختار مثلاً عينة من أرقام الأعداد الصادرة من صحيفة "تشرين" خلال عام ٢٠٠٨ وفق هذه الطريقة.

يكون اختيار المفردة الأولى فقط من هذه العينة عشوائياً، وهو ما يضيف على هذه العينة سهولة اختيارها وملاءمتها لبعض أنواع البحوث التي تهتم بتقسيم مجتمع الدراسة إلى فئاته وعبر أبعاد متساوية من بعضها.

١٠-٦-١-٣- العينة الطبقيّة: stratified sample

يقسم المجتمع في هذه الحال إلى طبقات أو مجموعات متجانسة، عمرية (أطفال، شباب، كهول..) أو مهنية (أطباء، معلمون، عمال، فلاحون..) ويتم الاختيار بطريقة عشوائية من كل طبقة، ويكون الحجم الذي يمثل الطبقة أو الشريحة الاجتماعية متناسباً مع حجم الطبقة أو الشريحة في المجتمع الأصلي. مثلاً إذا كانت العينة حول الشباب في سورية وهم يمثلون نحو ٤٧ % من المجتمع، يجب أن تكون نسبة هؤلاء الشباب أيضاً ٤٧ % من العينة المختارة عشوائياً.

١٠-٦-١-٤- عينة التجمعات والعينة المتعددة المراحل: cluster sample & multistage sample

وتعني اختيار عدداً من الوحدات الفرعية عشوائياً مثل: المحافظات أو المدن أو النواحي أو القرى أو المدارس. وتضم العينة :

- كل مفردات الوحدة الفرعية (كل مكان المحافظة أو المدينة أو الناحية أو القرية أو المدرسة)، وهي تجمعات لمجتمع البحث الكلي.
- تختار عينات من الوحدات عشوائياً لتمثل هذه الوحدات عبر مراحل متعددة: نختار عدداً من المحافظات وفي كل محافظة مختارة سيتم اختيار عدد من المدن أو النواحي أو القرى أو المدارس. وداخل كل مدرسة يختار عدد من الصفوف، وداخل كل صف يختار عدد من الطلاب. ويكون الاختيار عشوائياً في كل حالة.

١٠-٦-٢- العينات غير العشوائية: ومن أنواع هذه العينات ما يلي:

١٠-٦-٢-١- العينة المتاحة: convenience sample

تسمى هذه العينة عينة متاحة أو عينة عرضية لأن أفرادها جاءوا عرضاً ودون ترتيب سابق، ويقوم الباحث باختيار أفرادها لأن هذا ما أتيح له. وهنا يتعامل الباحث بشكل عرضي مع مجموعة من أفراد المجتمع للإجابة عن أسئلة الاستبيان، ويستمر في ذلك مع مجموعات أخرى من الأفراد إلى أن يحصل على عدد من الإجابات المطلوبة والمناسبة والتي أتيحت عرضاً لأغراض البحث.

١٠-٦-٢-٢- عينة الحصص: Quota sample

ويطلق على هذه العينة عينة طبقية غير عشوائية، وفيها يحاول الباحث أن يحصل على عينة تمثل مختلف فئات المجتمع الأصلي، وبالنسبة التي توجد بها، والتي هي موضع اهتمام وتركيز في بحثه. فلو كان هدف البحث دراسة نسبة الأميين أو المتعلمين بين سكان المدن والريف في إحدى المحافظات أو المدن، على الباحث مراعاة نسبة وجود كل فئة في العينة على نحو يماثل نسبة وجودهم في مجتمع الدراسة الأصلي.

١٠-٦-٢-٣- العينة العمدية والعينة التراكمية: purposive sample & snowball sample

يختار الباحث في العينة العمدية مفرداتها بحيث تتوافر فيها شروط معينة، بمعنى أن تتكون العينة طبقاً لحاجات محددة للباحث. فإذا كان هدف البحث دراسة الاتجاهات السياسية للطلاب ذوي الدخول الأعلى في كليات الجامعة و رؤي الاكتفاء بأربع أو خمس كليات أو بما يسمى كليات القمة في مصر (الطب، الصيدلة، الهندسة، العلوم السياسية، الحقوق) فقط على أساس نسب الانتماء لأحزاب سياسية، فيختار من بين الكليات المختلفة فقط الكليات التي تقترب فيها نسب الانتماء في كلية من نسب الانتماء التي يفترض أنها معروفة بالنسبة لمجتمع الدراسة. وهذا يعني أن العينة العمدية تستلزم معرفة المقاييس والنسب والمعالم الإحصائية المختلفة لمجتمع الدراسة وبدون ذلك من غير الممكن استخدامها.

أما الطيبة للعينية التراكمية فهي تلك العينة التي يحدد فيها الباحث عدد محدود من أفراد تتوافر لديهم الخصائص التي يحتاج إليها في بحثه، ويستخدمهم لانضمام آخرين، بمعنى أن يقوم هؤلاء الأفراد بتحديد الآخرين واختيارهم....وهكذا.

وعليه، فإن العينات غير العشوائية تمتاز بأنها أكثر سهولة في إجراءاتها وأقل بكلفتها وأكبر في فرص الوصول إلى السمات المرغوب في دراستها. وهذه العوامل تبرر رغبة كثير من الباحثين لمثل هذه العينات غير العشوائية وذلك رغم ما يوجه لها من انتقادات خاصة و تعلق بدقة حساب الخطأ العشوائي فيها.

١٠-٧- الشروط الواجب مراعاتها في صياغة أسئلة الاستبيان:

يفترض أن يقوم الباحث بتصميم أسئلة الاستبيان بعناية فائقة، ذلك لأن الاستمارة الجيدة كالقانون الجيد الذي يتسم بالوضوح وعدم الغموض، وبدرجة عالية من الاتساق والدقة المنطقية. لذلك على الباحث قبل صياغة أسئلة الاستبيان أن يراجع إطار البحث، والموضوع الذي يتناوله، ومحاوره، وأقسامه، والمشكلات التي تتفرع عن هذا الموضوع.

وبصفة عامة، هناك عدة قواعد لصياغة أسئلة الاستبيان، يمكن إيجازها بما يلي^(١٣١):

١- **الشمول**: يجب أن تتضمن الأسئلة كل الإجابات المحتملة التي يمكن توقعها، بمعنى آخر عن الفئات المعطاة للمبحوث يجب أن تكون شاملة. وعادة ما يلجأ الباحثون هنا لوضع فئة مسماة: أخرى. وهنا سيلجأ المبحوث لوضع إجابته في إحدى الفئات المطروحة عليه، حتى ولو لم تكن مناسبة تماماً، ولكن لا بد أن تكون الإجابات أو الاختيارات من الفئات الفاصلة والمحددة، بحيث لا يشعر المبحوث بالاضطراب في الاختيار بين أكثر من إجابة، وعادة ما نسأل المبحوث أن يختار أحسن إجابة من وجهة نظره.

٢- **الوضوح**: أي يجب أن تكون أسئلة الاستبيان واضحة، وأي غموض لن يفيد الباحث في استيفاء استمارة الاستبيان. كما أن الباحث عادة ما يكون معاشياً لموضوعه ومشكلته البحثية التي يدرسها. لذلك قد تكون الآراء والاتجاهات واضحة تماماً في ذهنه، لكنها ليست كذلك دائماً بالنسبة للمبحوثين. فالكثير منهم لا يثير الموضوع أو المشكلة البحثية عندهم اهتماماً مناسباً. ومن ناحية أخرى قد يكون لدى الباحث إدراك وعلم بالموضوع والمشكلة البحثية لكنه ليس عميقاً، ومن ثم يفشل في توضيح مقصد سؤاله بطريقة تكفي للحصول على الإجابة المناسبة.

٣- **تجنب الأسئلة المزدوجة**: يقع الكثير من الباحثين في أخطاء شائعة، كأن يقوم الباحث بطرح أسئلة ائتلافية ذات إجابات مزدوجة إلى المبحوثين، مثال ذلك: ما رأيك في أن يكون انتخاب رئيس الجمهورية بالاستفتاء العام والمضي قدماً بتخفيض سعة الانتخاب؟

وهنا قد لا يستطيع المبحوث الإجابة، فهناك من يرغب بأن يكون انتخاب الرئيس مباشر من الشعب ولكن لا يؤيد تخفيض سعة الانتخاب. مثال آخر: يجب تعديل قانون العمل والمضي قدماً في الخصخصة؟ فهناك من يرغب في تعديل قانون العمل ولكنه لا يؤيد المضي في الخصخصة. وهناك من يرغب في الخصخصة ولكن لا يرغب في تعديل قانون العمل... وهكذا.

٤- **أهلية المبحوث للإجابة عن الأسئلة**: يجب أن يتأكد الباحث من كون المبحوثين لديهم المعلومات الضرورية للإجابة عن الأسئلة. ولا جدوى من إرهاق المبحوثين بعدد كبير من الأسئلة

١٣١- د. القصبي، عبد الغفار ، مصدر سابق، ص ١١٦ _ ١٢١.

غير المهمة، بل يجب أن تقتصر على الأسئلة المهمة. كما يجب على الباحث تحاشي الأسئلة التي تحتاج ذاكرة قوية، أو عمليات حسابية معقدة . أحياناً يطرح الباحث سؤالاً يقتضي من المبحوث أن يرجع بذاكرته إلى الوراء، وفي هذا التعرض لمخاطرة عدم دقة الإجابة. مثلاً: تسأل خريج جامعة عن مشاعره حين الاختيار بين الفرع العلمي و الفرع الأدبي عندما كان في مرحلة دراسة الثانوية العامة. وفي أحيان أخرى يسأل الباحث سؤالاً متخصصاً ولا يلم المبحوث بجوانب الموضوع، وليس لديه معلومات كافية. كأن يسأل طالب إحدى الكليات عن النسبة التي يجب أن تخصص لكل قسم من أقسام الكلية من الميزانية؟؟ وهنا قد يقدم المبحوث إجابات ليست ذات معنى.

٥- تناول نقاط قصيرة: يجب أن يتضمن السؤال فكرة واحدة، وعدم إثقال كاهل المبحوثين بأسئلة معقدة المضمون والأفكار، وذلك من خلال أسئلة فرعية عن الأفكار الفرعية. ومن ناحية أخرى يعتقد الباحث أنه لكي يوضح ما يقول عليه أن يسوقه في عبارات طويلة معقدة، ولكن هذا غير صحيح لأن وضوح الموضوع إنما يأتي من قدرة المبحوث على قراءته بسرعة وفهم مضمونه ومقصده ثم اختيار الإجابة بدون صعوبة ولذلك ينصح بتجنب النفي في صياغة الأسئلة.

ومجرد أن يصوغ الباحث السؤال في صورة نفي فذلك يعوق تفسير المبحوث للسؤال، على سبيل المثال: يجب عدم فرض رسوم دراسية باهظة على الطلاب العرب الدراسيين في الجامعات السورية. هذا السؤال وعبرة من قبيل (عدم فرض، عدم منع، عدم قبول...) تعوق الفهم.

٦- تجنب الأسئلة الإيحائية: لأن مثل هذه الصياغة لا تجعل المبحوث يعطي الإجابة التي يريدها وإنما يقاد إلى هذه الإجابة، وهذا النوع من الأسئلة يطلق عليه الأسئلة الإيحائية leading questions مثال ذلك: هل توافق ميكيا في رأيه بأن الغاية تبرر الوسيلة؟ هل تتفق وحجج الكيان الصهيوني في جعل القدس الشريف عاصمتهم الأبدية؟

٧- تجنب الأسئلة التهديدية أو التي تثير التحيز الشخصي questions which excite bias مثال ذلك: كم مرة اضطرت لمخالفة القانون؟ هل سبق وأن تاجرت في المخدرات؟ هل سبق وأن غششت في الامتحان؟

٨- تجنب الأسئلة ذات الاتجاه الواحد: هل تؤيد...؟ هل تؤيد...؟...الخ حيث يجب تنوع الأسئلة حتى لا يغلب الأفراد اتجاهاً متميزاً، فلا تصح أن تكون الاستمارة كلها: موافق/ غير موافق. أو السؤال بصيغة: هل تؤيد؟ هل تعارض؟ هل تمنع؟

٩- تحاشي أسئلة معينة: مثل الأسئلة التي قد تدفع المبحوثين إلى رفض الإجابة عنها بشكل مباشر أو تثير تحيزاً لديهم كسؤال زعماء حزبيين عن انتماهم الحزبي.

١٠-٨- شروط صحيفة الاستبيان :

تعد صحيفة الاستبيان الأداة التي تعكس درجة اهتمام الباحث ودقة تصميمه ووضوح أهدافه وهي تتضمن ترجمة لأهداف البحث ومحاورة ونقاطه الفرعية إلى أسئلة تشكل قوام الصحيفة ومضمونها بحيث تعكس هذه الأسئلة ما يحاول الباحث أن يحصل عليه من بيانات.

وهناك ثمة شروط في استمارة الاستبيان ذاتها حيث يجب أن تكون جذابة وسهلة في تناولها وفي طريقة استيفاء بياناتها ويجب أن يكون حجم الصحيفة مناسباً ونوع الورق جيداً ومقبول اللون والطباعة جيدة وسهلة القراءة كما يفضل أن تستهل الاستمارة ببيانات تفيد موضوعية البحث وهدفه وطابعه فضلاً عن موضوعه والجهة أو الهيئة المشرفة عليه.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أنه إذا ما تم ضغط الاستبيان في مساحة صغيرة فإن ذلك لا يشجع المبحوثين على التعاون في حين أن الاستبيان المطبوع في مساحات واسعة بخط واضح ظاهر فهو يشجع المبحوثين على الاستجابة ويجب أن يحتوي على فراغات واسعة ملائمة وكافية للإجابة عنها حتى لا يضطر هؤلاء إلى الإجابة على ورقة منفصلة كما ينبغي مراعاة التفريغ والتعامل الإحصائي مع البيانات عند صياغة الاستمارة.

وبتعبير آخر من الضروري تشجيع روح التعاون مع المبحوثين وكسب ثقتهم طالما أن اشتراكهم في الإجابة على الاستبيان تطوعياً ولا بد من الاهتمام بصحيفة الاستبيان من حيث تصميمها وبنائها وترتيبها وشكلها العام لتكون من عوامل تنمية التعاون والثقة وجذب المبحوثين وتحفيزهم للإجابة عنها^(١٣٢).

تعد فقرات التعليمات في الاستبيان مهمة بشكل لا يمكن تجاهله وتكرار التعليمات من وقت لآخر له أهمية أيضاً لتذكير المبحوثين بما هو مطلوب وإزالة أي غموض محتمل ولطمأنة المبحوثين ويجب أن تكون هذه التعليمات واضحة وبسيطة وفي مكان واضح وكتوبة بطريقة مشوقة وجذابة. ولهذه المعلومات أهمية متعددة الأبعاد منها:

- بيانات عن الاستبيان وأهميته العلمية وسريته وموعد إجرائه والجهة المشرفة عليه.
- إرشادات لتوجيه المبحوثين إلى طريقة الإجابة المطلوبة بالتحديد.
- حثّ المبحوثين على استكمال الإجابات ومراجعتها ورد استمارة الاستبيان بعد ملئها بالبريد، إذا كان الاستبيان بريدياً مع وعد المبحوثين إرسال نسخة من ملخص نتائج الاستبيان وخطاب رقيق يشكرهم على حسن تعاونهم. وقد يعزز هذا الخطاب بتزكية من عميد الكلية أو الأستاذ المشرف على البحث أو من هيئة رسمية.

١٣٢- د. الماجد، حامد عبد ، مصدر سابق، ص ٢٦٣.

- في حال الاستبيان البريدي ترسل خطابات تذكرة توضح أهمية الدراسة الأكاديمية والعلمية^(١٣٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد الانتهاء من تصميم صحيفة الاستبيان يقوم الباحث بتجريب الاستبيان على نطاق محدود لاكتشاف مدى صلاحيتها وملاءمتها والتعرف على مدى الحاجة إلى أسئلة جديدة أو إعادة صياغة بعض أسئلة معينة أو حذف البعض الآخر. ويمكن إجراء ذلك من خلال طريقتين:

١- من خلال عرض الاستبيان الأول على مجموعة من الباحثين ويفترض بهؤلاء أن يكونوا أكثر قدرة على تقييم الصحيفة ومناقشة مدى ملاءمتها وتغطيتها كافة محاور الموضوع فهذه الطريقة تكفل حسن الصياغة.

٢- استخدام الصحيفة في نطاق عينة تجريبية Experimental Sample تتوافر فيها خصائص المجتمع الأصلي، ويشترط أن يجري هذا الاختبار بطريق المقابلة الشخصية، ليتسنى للباحث إقامة حوار يفيد منه في تلافي أوجه القصور وفي تحسين الصحيفة وتطويرها نحو صياغتها النهائية.

وقد يؤدي اختبار الصحيفة بهذه الطريقة إلى إدخال تعديلات جوهرية على تصميمها أو إلى إعادة صياغة أسئلة جوهرية بها، وفي هذه الحال ينصح بإعادة اختبار الصحيفة مرة أخرى ومرة ثالثة وهكذا حتى تصبح في صورة ملائمة^(١٣٤).

١٣٣- د. القصبي، عبد الغفار، مصدر سابق، ص ١٣٤.

١٣٤- المصدر السابق نفسه، ص ١٣٥-١٣٦.

الفصل الحادي عشر

تحليل المضمون Content Analysis

- ١١-١ - تعريف تحليل المضمون.
- ١١-٢ - أهمية تحليل المضمون وحدوده.
- ١١-٣ - مستويات تحليل المضمون وخطواته.
- ١١-٤ - أنواع تحليل المضمون.
 - ١١-٤-١ التحليل الكيفي.
 - ١١-٤-٢ التحليل الكمي.
- ١١-٥ - فئات المضمون.
 - ١١-٥-١ فئة الغايات والوسائل.
 - ١١-٥-٢ فئة الاتجاه وكثافته
 - ١١-٥-٣ فئة المستويات
 - ١١-٥-٤ فئة القيم والأهداف.
 - ١١-٥-٥ فئة السمات والخصائص
 - ١١-٥-٦ فئة الفاعل
 - ١١-٥-٧ فئة مصدر المعلومة.
 - ١١-٥-٨ فئة الجمهور المستهدف.
- ١١-٦ - فئات الشكل.
- ١١-٧ - اعتبارات اختيار فئات التحليل وتحديدها

يعد تحليل المضمون أحد الأدوات المنهجية التي تستخدم على نطاق واسع في البحوث والدراسات السياسية والإعلامية وذلك بهدف تحليل الخطابات السياسية المختلفة واهتمامات الرأي العام واتجاهاته كما يترجمها المضمون الاتصالي، إضافة إلى صورة الأمة عن غيرها من الأمم، وكذلك إدراكات قطاعات المجتمع حول قضايا مختلفة.

١١-١ - تعريف تحليل المضمون:

يرى بيرلسون Berelson أن تحليل المضمون هو أسلوب أو أداة بحث لوصف المحتوى الظاهر للرسالة الإعلامية وصفاً كمياً وموضوعياً ومنظماً. ويدخل ضمن العناصر الأساسية لتحديد مفهوم تحليل المضمون مايلي^(١٣٥):

١- يعني تحليل المضمون تحديد المضمون وتنقيته وبلورته ليتسنى وصفه وصفاً موضوعياً وكمياً دقيقاً. وهناك من يرى أنه ليس بالضرورة أن يكون التحليل دائماً كمياً، إذ يمكن أن يكون أيضاً كيفياً كما أنه من الضروري بيان الدلالات الكيفية للتحليل الكمي.

٢- يعد تحليل المضمون أداة للملاحظة لكنها ليست ملاحظة مباشرة لسلوك أفراد أو جماعات وإنما هي ملاحظة غير مباشرة تقتصر على تحليل مضامين المادة الاتصالية للوصول إلى استنتاجات صحيحة ذات صلة بفروض الدراسة وتساؤلاتها.

٣- يتناول تحليل المضمون الخصائص اللغوية والرمزية للمادة الاتصالية في شكل مصطلحات تخضع للضبط الدقيق وأنه يسعى لتحويل المضمون إلى مادة قابلة للتليخيص والمقارنة والقياس الكمي ويقوم تحليل المضمون على أساس تكرارات ورود هذه الخصائص بطريقة نظامية.

٤- يسعى الباحث إلى وضع تصميم كمي يقسم بمقتضى المضمون موضع التحليل إلى فئات محددة استناداً إلى قواعد واضحة ويكون تصنيف الفئات وفق قاعدة إما ... أو ...، حيث تقع وحدة التحليل - سواءً أكان جملة أو فكرة أو كلمة - في الفئة أو تخرج عنها، وتنتهي قاعدة إما ... أو ... إلى حصر الوحدات داخل كل فئة والتي ينطبق عليها تعريف الفئة وخصائصها.

١٣٥- د. الماجد، حامد عبد، مصدر سابق، ص ٢٢١-٢٢٢.

د. القصبي، عبد الغفار، مصدر سابق، ص ١٤٣-١٤٤.

١١-٢- أهمية تحليل المضمون وحدوده:

إن تحليل المضمون كأداة كيفية له أهميته المنهجية والأكاديمية المتزايدة، خاصة في ظل التطور المتزايد في دقة هذه الأداة وانتشار استخدامها في مجالات كثيرة. كما تتبع أهمية تحليل المضمون من كونه يستخدم في تحقيق مايلي^(١٣٦):

- وصف خصائص المضمون الاتصالي.
- تحديد أهداف الرسالة أو الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها (القيم المستهدف إرسالها).
- دراسة تأثير المسالة الاتصالية.
- يمثل تحليل المضمون أداة مهمة للكشف عن أهداف المرسل ونواياه وطريقته في التفكير وطرق استشهاده ودفاعه عن فكرته.
- ازدياد أهمية تحليل المضمون في مجالات سياسية تطبيقية مثل دراسة مؤشرات الرأي العام في وسائل الاتصال الجماهيرية وبالنسبة للدبلوماسيين لمعرفة تلك المؤشرات في الدول التي يمثلون بلادهم لديها.

يلاحظ أنه بالرغم من أهمية تحليل المضمون إلا أن استخدامه يواجه عدداً من الصعوبات التي تشكل حدوداً على هذه الاستخدام، ومن أبرزها مايلي^(١٣٧):

١. وجود صعوبات في استخدام أداة تحليل المضمون، بالنسبة للنصوص العربية وذلك لأن معظم الدراسات في تحليل المضمون قد تمت في الأصل باللغتين الانكليزية والفرنسية مما يجعل تحليل المضمون سهل التطبيق بالنسبة لهاتين اللغتين. ومن ناحية ثانية إن طبيعة اللغة العربية وتعدد دلالات المفهوم الواحد ووجود الصور المختلفة للمجاز وطبيعة البناء اللغوي ذاته تفرض صعوبات حقيقية على إجراء تحليل المضمون وهذا ما يفرض على الباحث الذي يقوم به درجة معينة من درجات الفهم والتعمق في هذه اللغة.

٢. قد يكون التساوي المفترض للوحدات المكونة للرسالة غير حقيقي فتمثل نفس الكلمات أهمية مختلفة وفق قواعد الصياغة أو المساحة التي تشغلها الكلمة نفسها لاختلاف حجم

١٣٦- د. الماجد، حامد عبد، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

١٣٧- Cheryl Zollars the Perils of Periodical Indexes: Some Problem in Constructing Samples for Content Analysis and Culture Indicators Research Communication Research, vol. ٢١, ١٩٩٤.

الخط أو موقعها في صدر الرسالة الاتصالية، وذلك التساوي المضلل غالباً ما يظهر على مستوى التكرار.

٣. ضرورة التحقق من النتائج من خلال جمع المعلومات من مصادر أخرى عن طريق الجمع بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي أو البحث عن معلومات أخرى تتعلق بالمضمون موضع التحليل أو بالمرسل.

٤. إن ضبط نتائج تحليل المضمون يتطلب تعدد القائمين بالتحليل وهذا يمكن توافره والركون إليه من خلال الخبرة والدقة، وكذلك حماس القائمين بالتحليل وثقتهم بأنفسهم.

٥. إن تحليل المضمون قد يقترن بدرجة من التميز أو الافتقار إلى الخبرة والمعرفة المنهجية. ولذلك لابد من مراعاة بعض الاعتبارات لضمان حد أدنى من الحياد والموضوعية منها:

- الوصف المتكامل للإجراءات والقواعد والطرق التي سيتبعها الباحث في إجراء التحليل.
- التحديد الواضح لفئات التحليل واستبعاد التحليل الجزئي أو الأفكار المسبقة.
- يفضل العمل الجماعي كي تتوافر إمكانيات لضبط النتائج خاصة تحديد فئات التحليل.

١١-٣- مستويات تحليل المضمون وخطواته:

هناك مستويين لتحليل المضمون، هما:

- ١- مستوى التكرارات: أي مستوى تكرار وحدة التحليل بما يترجم حجم الاهتمام. ولكن هناك عيبان لمستوى التكرار فهو:
أ- قد يؤدي إلى نتائج مضللة.

ب- يقيس حجم الاهتمام فقط بشأن قضية أو موضوع ما.

- ٢- مستوى الشدة (الكثافة): أي قياس شدة النص وقوته في التعبير عن محتواه^(١٣٨).

١٣٨- د. حسين، سمير، تحليل المضمون (القاهرة: دن، ١٩٨٠)، ص ٢٥-٢٦.

ونظراً لصعوبة قياس مستوى الشدة (الكثافة) وضبطه علمياً نجد الدراسات العربية التي تستخدم تحليل المضمون تعتمد على مستوى التكرارات.

أما بالنسبة لخطوات تحليل المضمون فهي كالآتي^(١٣٩):

١- تحديد موضوع البحث ومشكلته. لنفترض مثلاً أنه يتعلق باتجاهات الرأي العام السوري تجاه تطبيق الرأي العام السوري تجاه تطبيع العلاقات من الكيان الصهيوني.

٢- صياغة الفروض العلمية. أي بحث الفروض الأساسية التي تتعلق بمدى وجود علاقة بين المتغيرات واتجاهها، أو الإجابة على عدد من الأسئلة البحثية.

٣- تحديد مجتمع البحث. أي تحديد المواد التي ستخضع للبحث والدراسة، فقد يتضمن مجتمع البحث مقالات الأعمدة الصحفية في مجموعة من الصحف خلال فترة زمنية محدودة.

٤- اختيار العينة. بمعنى تلك التي سنجري عليها عملية تحليل المضمون من مجتمع الدراسة ولكن يشترط أن تكون هذه العينة ممثلة لمجتمع الدراسة كله تمثيلاً صحيحاً ويتجلى ذلك في:

- اختيار عينة المصادر، أي تحديد الأساس الذي يتم في ضوءه اختيار عينة من المصدر محل التحليل والدراسة وذلك لصعوبة إجراء الدراسة على المجتمع برمته.
- اختيار العينة الزمنية أي المدة الزمنية التي ستغطيها العينة.
- اختيار عينة من فئات التحليل ووحدته أي الوحدة الإحصائية أو وحدة العد فهي أصغر وحدة في عملية تحليل المضمون كلها (وحدة الكلمة، وحدة الخبر، وحدة الموضوع).

٥- اختيار فئات تحليل المضمون. أي اختيار مجموعة من التصنيفات التي يقوم الباحث بإعدادها طبقاً لنوعية المضمون ومحتواه وهدف التحليل. وذلك بهدف استخدامها في وصف هذا المضمون وتصنيفه بأعلى نسبة ممكنة من الموضوعية والشمول وبما يتيح إمكانية التحليل واستخراج النتائج بأيسر أسلوب.

وتزداد أهمية هذه الخطوة وتتطلب مزيد من الحذر والدقة والتمكن الموضوعي والمنهجي للباحث خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مايلي:

١٣٩ - د. عبد الماجد، حامد ، مصدر سابق، ص ٢٢٥.

- عدم وجود فئات نمطية جاهزة للاستخدام في كافة البحوث عندما نقوم بعملية تحليل المضمون وإنما يوجد إطار عام يمكن على ضوئه إعداد الفئات.
- ارتباط عملية تحديد فئات تحليل المضمون ووحداته تحديداً واضحاً دقيقاً بمايلي: مشكلة البحث، طبيعة المضمون موضع التحليل، وكمية هذا المضمون، وشكله، والهدف النهائي للبحث، ومجموعة المناهج والأدوات البحثية والتحليلية الأخرى المستخدمة في الدراسة.

١١-٤ - أنواع تحليل المضمون^(١٤٠):

إن تحليل المضمون الجيد هو ذلك التحليل الذي يجمع بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي لما يتسم به كل منهما بمزايا نسبية، باعتبار أن المضمون يحتوي على النوعين: بيانات كمية Quantitative Data وبيانات كيفية Qualitative Data ولا يمكن الاستغناء عن أيهما فكلهما يكمل الآخر، وقبل التعرض لكيفية استخدامها في التطبيق نسرّد فيما يلي سمات كل منها:

١١-٤-١ - التحليل الكيفي Qualitative Data:

يتميز التحليل الكيفي بعدد من السمات، أبرزها مايلي:

- يساعد في مرحلة القراءة التمهيدية للمضمون بهدف استكشاف العلاقات وما قد يصوغه الباحث من فروض إذ إنه يعطي نتائج ومؤشرات عامة.
- يعطي استنتاجات مبنية على انطباعات ذاتية للباحث بما يجمعه من ملاحظات عامة حول خصائص المضمون.
- يقوم على أساس ظهور مضمون معين أو عدم ظهوره، حيث يتم النظر للمضمون باعتباره ترجمة لظاهر أكثر عمقاً وأهمية. وبتعبير آخر إن التحليل الكيفي هو تحليل غير مباشر يركز على مجموعة أخرى من المتغيرات التي ترتبط بالعينة أو بالمرسل أو بجمهور المستقبلية أو بمضامين أخرى ذات علاقة بالمضمون الأصلي. كما قد يركز

^(١٤٠) المزيد من التفاصيل عن أنواع تحليل المضمون انظر:

د. عبد الغفار رشاد، أسس المنهج العلمي، مصدر سابق، ص ٦٧-٦٨.

د. عبد الغفار القصبى، مناهج البحث في علم السياسة، مصدر سابق، ص ١٤٤.

د. حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة الظواهر السياسية، مصدر سابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

على متغيرات وإيماءات الوجه التعابير على اللفظية مثل إيماءات الوجه أو المؤثرات والرموز والتعبيرات المختلفة التي قد تكشف عن جوانب خفية.

• غالباً ما يستخدم في الموضوعات المتداخلة والمتشابكة، فهو إذن تحليل يساعد في الكشف عن المعاني الخفية التي تستتر خلف المضمون أو الملابس والأوضاع التي ارتبط بها.

• أما فيما يتعلق بتطبيق التحليل الكيفي، فيمكن الإشارة إلى أن التحليل الكيفي يستهدف الكشف عن خصائص المادة الاتصالية، وذلك من خلال تساؤلات رئيسية حول:

- ماذا قيل؟ (الموضوع: مدى ارتباط الموضوع بالواقع).
- كيف قيل؟ (الشكل أو الأسلوب: كيف تناول الكاتب الموضوع، هل كان متفائلاً أم متشائماً أم محايداً؟ وهل الموضوع كله نظري أم تطبيقي؟ هل كله متخصص أم عام؟).
- من القائل؟ (من القائم بالاتصال، كشف الأهداف والمقاصد مع توضيح الظروف النفسية والثقافية للكاتب أو للمرسل عامة، أي توضيح خطه الفكري).
- لمن؟ (من هو الجمهور المستهدف من عملية الاتصال: أي تحديد الفئة المخاطبة المثقفين، المتخصصين، عامة الناس،.....).
- لماذا؟ (لماذا تتم عملية الاتصال؟ وما الدوافع من ورائها؟ بمعنى ماهي القيم المضمنة في المقال؟).
- بأي تأثير؟ (بمعنى ما هي لاستجابة أو التأثير الناجم عن الرسالة أو العملية الاتصالية؟).

١١-٤-٢ - التحليل الكمي Quantitative Data:

أما التحليل الكمي فيتميز بالميزات التالية:

- فهو يقوم على أساس رقمي يركز على التكرار النسبي لكل مفهوم.
- يقوم على عينات صغيرة، فهو نوع من التحليل المباشر يتناول المضمون على نطاق ضيق ومحدد وصريح دون الربط بينه وبين متغيرات أو ظواهر خافية.
- أسلوب علمي يرتبط بدرجة من الدقة والموضوعية والبعد عن التحيز في تناول الخصائص الظاهرة للمضمون، لذلك يوصف بأنه أداة نظامية لاختبار الفروض والإجابة عن التساؤلات إذ إنه يعطي بيانات دقيقة محددة.

■ يساعد على تقديم المعلومات في شكل جداول مما يعني تيسير فهمها وتبسيطها من جهة والتحديد الدقيق للفئات وتكرار ظهورها من جهة أخرى.

وفيما يتعلق بتطبيق التحليل الكمي، يمكن الإشارة إلى أنه لدى القيام بتحليل المضمون كميًا، لابد من تحديد فئات التحليل وهي الخطوة المركزية في تحليل المضمون. بمعنى أن الباحث يجب عليه أن يقرأ المادة المراد تحليلها بعمقٍ وتأنٍ واستحضار لمشكلة البحث وفروضه وتسؤلاته الأساسية باعتبار أن الفئات كأنها نقاط التجمع التي يضع الباحث فيها المادة تمهيداً لتحويلها إلى حقائق رقمية.

والفئات هي في الواقع: مجموعة من التصنيفات التي يقوم بإعدادها الباحث وفقاً لنوعية المادة الاتصالية ومحتواها وهدف البحث، وبالتالي هذا يعني أنه لا توجد تقسيمات نمطية جاهزة للفئات في عملية تحليل المضمون فكل تصنيف يستمد قوامه وطبيعته وخصائصه من خصائص المادة الاتصالية وطبيعتها.

وبصفة عامة يمكن تقسيم فئات التحليل وفقاً إلى: فئات المضمون (ماذا قيل؟) أو وفقاً لفئات الشكل (كيف قيل؟). وفي إطار الدراسات السياسية - خاصة المواد المكتوبة - غالباً ما يعتمد الباحث على فئات المضمون أكثر من فئات الشكل وفيما يلي بيان لمختلف فئات المضمون والشكل.

١١-٥- فئات المضمون: وهي تقسم إلى مايلي:

١١-٥-١- فئة الموضوع: ويقصد بها تصنيف فئات التحليل وفق محتوى المادة الاتصالية وما تشتمل عليه من أفكار وكلمات ومعان ومن قضايا ومواقف وما تتضمنه من غايات أو أهداف أو قيم (الانتماء الوطني، الحرية، العدالة،....). وفئات الموضوع بدورها يمكن أن تقسم إلى فئات فرعية مثل: توزيع الدخل، والمشاركة السياسية....إلخ.

١١-٥-٢- فئة الغايات والوسائل: وهي فئات تندرج تحت فئات الموضوع الرئيسية. فمثلاً إذا كانت القيمة الأساسية هي العدالة، فإن الفئة لفرعية وفقاً للغاية تكون التنمية والأمن، بمعنى أن الغاية من العدالة هي الرفاهية أو الأمان. أما إذا صنفنا الفئات الفرعية وفقاً للوسيلة فتكون التعليم أو القضاء، أي أن كل من التعليم والقضاء يعدان من وسائل تحقيق العدالة.

١١-٥-٣- فئة الاتجاه وكثافته: يقصد بفئة الاتجاه أنها فئة فرعية توضح الموقف من فئة رئيسية تعبر عن قيمة رئيسية بالتأييد أو الرفض أو الحياد. أما فئة كثافة الاتجاه فهي توضح مدى قوة أو ضعف أو وسطية الاتجاه بالتأييد أو الرفض. فمثلاً: إذا كانت الفئة الرئيسية تعبر عن قيمة العدالة فإن الفئة الفرعية التي يمكن أن تندرج تحتها وفقاً للاتجاه تكون: مؤيد/

معارض/ محايد. بمعنى أن المرسل قد يكون مؤيداً أو معارضاً أو محايداً تجاه العدالة في المادة موضع التحليل. ويمكن أن تكون الفئة الفرعية هي: مؤيد بشدة/ مؤيد/ غير مؤيد.... وهكذا.

١١-٥-٤- فئة المستويات: وفي هذه الفئة يمكن دراسة مايلي:

- الأساس الذي تم بموجبه تصنيف اتجاه المضمون.
- وصف طبيعة التأييد أو المعارضة عبر التعرف على أسس التقييم التي اتبعت بالنسبة لاتجاه المضمون.

- أسباب الموافقة على المضمون وتأييده أو رفض المضمون.

وهناك من يقسم فئة المستويات إلى : القوة/ الضعف/ الأخلاقية/ اللاأخلاقية.

١١-٥-٥- فئة القيم أو الأهداف: يطلق عليها أحياناً الاحتياجات أو الأهداف، وتستخدم في تحليل الموضوعات والشخصيات للتعرف على الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها، وكذلك الرغبات التي يسعون لإشباعها. وفي إطار هذه الفئة يتم التمييز بين قيم مثل: حب، المركز الاجتماعي، المال، الصحة. وقد تعددت الدراسات التي تناولت تحليل المضمون استناداً إلى تحديد فئة القيم والأهداف المتضمنة في الرسالة الاتصالية مثل: تحليل مضمون الكتب المدرسية، وقصص الأطفال، والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية، والحملات الانتخابية.

١١-٥-٦- فئة السمات والخصائص: وهي تصف الخصائص الشخصية والسمات السيكولوجية والأساليب الوصفية التي تسعى إلى وصف سمات الأفراد المتضمنين في الرسالة الاتصالية وخصائصهم ووصف بعض السياسات والمنشآت، حيث يمكن التعرف على خصائص هؤلاء الأفراد من حيث: السن، الجنس، الوضع الاجتماعي، المكانة أو المستوى الاجتماعي، السمات والخصائص النفسية، أو الشخصية وغير ذلك من السمات الفردية.

١١-٥-٧- فئة الفاعل: وهي نستخدمها لدراسة الشخص أو مجموعة الأشخاص الذين يظهرون في موقع قيادي أو في موقع محرك الأحداث. أو نستخدمه للكشف عن الشخصية أو الشخصيات المحورية مع ربطها بالمتغيرات والعوامل المحيطة بمادة التحليل.

١١-٥-٨- فئة مصدر المعلومة: وتستخدم لمعرفة من أين جاءت المعلومة في المادة الاتصالية ومعرفة اتجاه هذه المعلومة أو مدى مصداقيتها وإمكانات تعميمها.

١١-٥-٩- فئة الجمهور المستهدف: وهي تستخدم لتحديد الجمهور المستهدف في العملية الاتصالية وسبب توجيه المادة الاتصالية إليه دون غيره. كما تستخدم لتحديد الجماعات وخصائصها وسماتها والفرق بين جماعة وأخرى.

١١-٦- فئات الشكل: هي تضيف الجوانب الشكلية أهمية كبرى على الموضوع خاصة في المواد الاتصالية المرئية ويمكن أن تندرج في إطارها فئات فرعية مثل:

شكل المادة الاتصالية: هل هي على هيئة خبر أم تعليق سياسي أم مقال أم إعلام أم أنها تأخذ شكل برامج منوعات أم رسوم متحركة؟ وهل استخدمت اللغة الفصحى أم العامية فيها؟ أهل كانت لغة متخصصة أم لعامة الناس؟ ثم ما هو الترتيب الذي تحتله هذه المادة الاتصالية؟ وهل استخدمت معالجات خاصة لإبرازها، مثل: حجم خط الطباعة أو مدى وجود صور؟ وهل وضع المادة في صدر الصفحة أو ذيلها؟ وما هو توقيت البرنامج وترتيبه؟ وعموماً يلاحظ أن فئات الموضوع هي الأكثر ملائمة للمواد الاتصالية المكتوبة.

١١-٧- اعتبارات اختيار فئات التحليل وتحديدتها^(١٤١):

- قبل اختيار فئات التحليل لابد من تكرار القراءة المتأنية والفهم العميق للمادة الاتصالية موضع التحليل وعدم قبول أية أحكام أو آراء أو أفكار مسبقة.
- ضمان عدم وقوع أي جزء من المادة الاتصالية ضمن أكثر من فئة وذلك بتطبيق قاعدة "إما...أو" في تحديد الفئات. وهذا يقتضي أن تكون الفئات شاملة وجامعة بحيث تجد مختلف عناصر المادة موضع التحليل فئة للتصنيف تتضوي تحتها وفق قواعد محددة في التحليل يلزم بها الباحث.
- يجب أن تترك المادة الاتصالية تتحدث بنفسها وتعبر عن نفسها في شكل فئات تتسم بالموضوعية بغض النظر عن آراء الباحث ووجهات نظره وعن آراء المرسل الذي صدرت عنه الرسالة أصلاً.
- ضرورة تحديد الفئات وتعريفها تعريفاً دقيقاً واضحاً، ليستطيع الباحث ضبط نتائجه والتأكد من ثبات تحليله.

١٤١- لمزيد من التفاصيل: د. صلاح مصطفى الفوال، مصدر سابق، ص ١٧-٢١.

الباب الثالث

مناهج البحث في العلوم الاجتماعية



الفصل الثاني عشر المنهج الإحصائي

- ماهية المنهج الإحصائي
- خطوات المنهج الإحصائي
- مزايا المنهج الإحصائي وعيوبه

المنهج الإحصائي

١٢-١- ماهية المنهج الإحصائي:

والإحصاء كمصطلح أكاديمي هو علم تجميع البيانات العددية وتنظيمها وتحليلها وتقديرها وهو الأسلوب التي يستخدمه الباحث من أجل الوصول إلى الحقيقة عن طريق افتراضات معينة يحاول الباحث إثباتها أو تفسير الغموض الذي يدور حول ظاهرة ما من الظواهر التي تدرسها العلوم الاجتماعية، وغيرها من الظواهر وخير مثال على ذلك ماهي الأعمال أو الأوضاع في المجتمع الدولي الأكثر احتمالاً أو الأكثر ملائمة لإثارة الصراعات المسلحة؟

وإذا أردنا دراسة العلاقات بين مستوى الدخل، ومستوى المشاركة السياسية، فإننا نستخدم المنهج الإحصائي الذي يمكننا من الإجابة على هذا السؤال أو غيره وعلماء السياسة اليوم، يستخدمون هذا المنهج في العديد من الموضوعات التي يمكن أن تخضع للقياس أي التعبير عنها بشكل كمي.

وعليه، تعريف المنهج الإحصائي بأنه: "هو أحد أساليب وصف الظواهر في محاولة للتعرف على العوامل التي أدت إلى ظهورها ومقارنتها وإثبات الحقائق العلمية المتصلة، شأنه شأن أساليب الاستنتاج المنطقي، إلا أنه يختلف عنها في كونه يعتمد التعبير الرقمي عن الظواهر التي يتناولها بالبحث (تقديم نماذج رياضية وتحليلية)، وتبدو أهمية المنهج الإحصائي من خلال استخدام أدوات علم الإحصاء في مختلف مجالات الحياة للتأكد من ظاهرة معينة أو نفيها أو قياسها وعرض النتائج في مؤشرات وصفية أو استدلالية،^(١) والمنهج الإحصائي يستخدم البيانات الرقمية لأجل الاستدلال بها على وجود العلاقات بين الظواهر ويعمل على تعميمها، وبالتالي يمكننا القول: أن المنهج الإحصائي يقوم على جمع وتبويب وعرض وتحليل البيانات العددية ومن ثم استخلاص النتائج منها بوسائل متعددة مثل: مقاييس النزعة المركزية والتشتت، الارتباط، تحليل التباين وغيرها.

ويتميز هذا المنهج بالتعمق بدراسة الظواهر والإلمام بجميع العوامل المؤثرة بها والتركيز على جوهر القضية المدروسة، وكثيراً ما يستخدم في الدراسات الاجتماعية والسكانية والسياسية وغيرها، فهو يتناول قضايا توزع السكان وعاداتهم وتقاليدهم واتجاهاتهم وآرائهم السياسية وجميع أحوالهم الأخرى، كما يستخدم هذا المنهج في الدراسات الاقتصادية ويتناول الجوانب المادية للنتاج والتسعير والتسويق والإدارة... الخ.

^١ غانم، عدنان، علي نبيل، جامعة دمشق - كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٧، ص ١١-٢٠

ويعتبر من أهم مناهج البحث العلمي الحديث لكونه يعتمد على المعلومات الميدانية والواقعية التي يتم جمعها عن الظاهرة باستخدام طرائق القياس والاستخلاص والملاحظة والمقابلة والاستبيان وكما أنه يستخدم النماذج الإحصائية والرياضية للتعبير عن العلاقات بين الظواهر المدروسة.

١٢-٢ - خطوات المنهج الإحصائي:

١- الدراسة التحضيرية: ويقصد بها الاطلاع بصورة شاملة على جميع الابحاث والدراسات التي لها صلة بالموضوع المدروس.

٢- تحديد المشكلة والهدف: حيث يتم تحديد المشكلة محل البحث تحديداً دقيقاً، باعتبار المشكلة عبارة عن الغموض في ظاهرة معينة ويتطلب معرفة طبيعة الظاهرة المدروسة وتوفر البيانات عنها من أجل تحليلها إلى عناصرها الأولية ولإحاطة بها من جميع جوانبها.

٣- صياغة الفروض: إن الفرضية بالتعريف عبارة عن مقولة تحمل الصواب أو الخطأ ونحن علينا إثباتها أو نفيها ويجب أن تكون الفرضية دقيقة وواضحة ومنطقية وقابلة للاختبار، كأن يفترض الباحث وجود علاقة بين المستوى التعليمي ومستوى الأداء أو وجود علاقة بين مستوى الدخل والانتماء الحزبي.

٤- القيام بالتعريف الإجرائية، وإعطاء الظواهر مؤشرات كمية.

٥- جمع البيانات الإحصائية: تعد أهم مرحلة في خطوات المنهج فهي الأكثر كلفة وجهداً وأي خطأ في هذه المرحلة يؤدي إلى نتائج مضللة.

ويتم جمع البيانات والمعلومات عن الظاهرة موضوع الدراسة من مصدرين أساسيين:

أ- مصادر ميدانية: يتم جمع البيانات بهذا الأسلوب مباشرة من الوحدات المدروسة مثال: جمع البيانات الخاصة بالحالة التعليمية للناخبين مباشرة منهم أو بواسطة الاستشارات الخاصة بذلك.

ب- مصادر وثائقية: وذلك عن طريق السجلات التي تقوم هيئات رسمية أو شبه رسمية بإصدارها بصفة دورية مثل: سجلات السكان، سجلات الأحوال المدنية، سجلات الناخبين، سجلات الطلاب... الخ.

وتتطلب هذه المرحلة الدقة في البيانات وملائمتها للظاهرة محل البحث، وتدقيق البيانات التي تجمع، وتدقيق المعلومات التي استقيت من الغير، ونشير هنا إلى عدم المغالاة في جمع البيانات وإلمام الباحث إلى حد كبير بالموضوع المرغوب في دراسته.

٦- تبويب البيانات وعرضها في جداول إحصائية: بعد عملية جمع البيانات سواءً من مصادرها الميدانية باستخدام الاستشارات أو من المصادر الوثائقية يكون من الصعب

وحتى من المستحيل في معظم الأحيان فهم اتجاهها أو مدلولها أو الخروج بأية استنتاجات عنها، لذلك يقوم الباحث بتبويب تلك البيانات وعرضها في جداول إحصائية هادفة، يمكن إخضاعها للتحليل وتكوين فكرة عن طبيعة الظاهرة ومكوناتها وتعتبر هذه الجداول الأساس في التحليل الإحصائي، وتتلخص عملية التبويب في تكوين جداول التفريغ، هدفها عرض أكبر من يمكن المعلومات بأكبر ما يمكن من الوضوح والإيجاز، وعادة ما يتم التبويب إما بشكل يدوي أو بالاعتماد على الحاسوب، تأتي فيما بعد عملية عرض البيانات والتي تعتبر امتداد لعملية التفريغ والتبويب وكلتا العمليتين تهدفان إلى ترتيب البيانات المجمعة عن الظاهرة المدروسة، بعد وضع نظام التبويب وتعيين الصفات للمفردات تأتي عملية التصنيف التي هي عبارة عن تجميع البيانات في مجموعات متجانسة وفقاً لإحدى القواعد التالية:

١. **تصنيف جغرافي:** تُجمع الوحدات التي تشترك في صفة مكانية واحدة مثال: توزع السكان في سورية على المحافظات أو توزع مراكز الانتخاب في إحدى المدن على الأحياء في المدينة.

٢. **تصنيف زمني:** تُجمع الوحدات المرتبطة بزمان معين في مجموعة واحدة حسب زمن الحدوث مثال: تطور عدد الأحزاب في إحدى الدول خلال فترة زمنية معينة.

٣. **تصنيف كمي:** في هذا النوع تُجمع الوحدات المشتركة في درجة الصفة المعينة حسب الكم، مثال: توزع الناخبين في أحد مراكز الاقتراع حسب فئات الأعمار.

بعد عملية التبويب يتم عرض البيانات على شكل جداول (بسيطة، مزدوجة، وكمية) ومن ثم تمثل تلك البيانات المجدولة في رسوم بيانية وأشكال هندسية وخطوط بيانية، هدفها إبراز الاختلاف الأكثر أهمية، لأن العرض البياني أقرب للذهن وأسهل للتذكر ويسهل علينا أيضاً معرفة الاتجاه العام للظاهرة المدروسة، غير أن التعمق في معرفة الظاهرة ومعرفة المزيد من المعلومات عن اتجاهها وعن الأسباب التي تكمن وراء الاتجاه تقتضي الانتقال إلى التحليل والتفسير.

٧- **التحليل:** تعتمد عملية البيانات الإحصائية على عملية التبويب ووضع البيانات في جداول إحصائية يمكن الاعتماد عليها في استخلاص النتائج، والذي يتم بعدة طرق منها:

تحليل البيانات لمعرفة اتجاهها العام، أو إيجاد القيمة المتوسطة لها، أو إيجاد قيم تباعدها أو تشتتها بعضها عن البعض الآخر، أو عن قيمة معينة خاصة بها مثل متوسطها الحسابي وكذلك مقارنة بعضها بالبعض الآخر بواسطة مقاييس التشتت النسبية مثل معامل الاختلاف وغيرها، ومن الممكن إيجاد العلاقة الارتباطية فيما بينها وإجراء التقديرات والتنبؤات المستقبلية باستخدام

معادلات الانحدار الخطي والمتعدد والتحليل المتعدد المتغيرات لظاهرة ما أو لعدة ظواهر باستخدام الحزم البرمجية الجاهزة (spss) وغيرها.

٨- **التفسير:** يقوم الباحث بتفسير تلك البيانات المجمعة والمبوبة والمحللة ويعني التفسير، استخلاص ما تعنيه هذه الأرقام وإبراز الارتباطات وإثباتها أو نفيها، حيث لا يكفي الباحث بالأرقام المجردة، بل وجب عليه قراءة تلك الأرقام في سياقاتها الثقافية والسياسية والاجتماعية والتاريخية، كما عليه عدم الاكتفاء بتلك النتائج، بل يعمل على تعميمها على حالات أوسع من الحالات التي قام بدراستها وذلك عن طريق رفض وقبول الفرضيات الإحصائية والتقدير الإحصائي باعتبار التحليل والتفسير من أهم أهداف الإحصاء وأكثرها فائدة.

ولتوضيح ما سبق نورد المثال التالي:

بفرض أننا بصدد دراسة العلاقة بين مستوى الدخل والسلوك السياسي للشخص ففي هذه الحالة نقسم الدخل إلى مستويات ثلاث (عالٍ، متوسط، منخفض) ثم نقوم بالتعريف الإجرائي لكل منها لنضعها ضمن فئات محددة، بعد ذلك نبحث عن الأشخاص وعدد الذين لهم دخل عالٍ، أو الذين لهم دخل متوسط وفي النهاية الذين لهم دخل منخفض، طبعاً بعد تحديد المتغير التابع والمتغير المستقل. فإذا كنا نعتقد أن الاختلاف في مستويات الدخل يرتبط مع الانتماء الحزبي، فينبغي أن نتوقع بأن توزع قيم المتغير التابع يختلف في كل صنف من أصناف المتغير المستقل (المتغير المستقل، هو المتغير الأسبق حدوثه زمنياً)، ويمكن أيضاً التعامل مع البيانات على شكل نسب مئوية من أجل المقارنة وقابلية التفسير وأخيراً جعل هذه المجموعات الثلاث معاً في جدول، بحيث يكون المتغير التابع في صف والمتغير المستقل في العمود، ومع ذلك ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أن المنهج الإحصائي يقتضي معرفة الرياضيات وقوانين الإحصاء والاحتمالات وغيرها التي يستطيع بها الباحث أن يحلل بياناته ويختصرها في نتيجة رقمية ذات دلالة علمية، وتلعب المقاييس الإحصائية أدواراً كبيرة في الدراسات التي تستخدم المنهج الإحصائي ومن هذه المقاييس: مقاييس النزعة المركزية، مقاييس التشتت ومعاملات الارتباط واختيار الفرضيات والتقدير الإحصائي والتحليل المتعدد المتغيرات.^(١)

١٢-٣- مزايا المنهج الإحصائي وعيوبه:

^١ لمعرفة المزيد عن ذلك يمكن الاطلاع على: كتاب الإحصاء التطبيقي، غانم عدنان، علي نبيل - جامعة دمشق - كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦، وكتب الإحصاء المختلفة.

يفيد هذا المنهج الباحث الاجتماعي وبالأخص السياسي في تفسير الكثير من الغموض الذي يدور حول ظاهرة ما وفي تفسير الكثير من أنواع السلوك السياسي التي يمكن التعبير عنها كمياً، كالسلوك التصويتي، والانتماء الحزبي، وأثر وسائل الإعلام في السلوك السياسي ودراسة العلاقة بين الوضع الداخلي والخارجي وتفاعلهما في أي دولة، كذلك يفيد في دراسة الارتباطات المختلفة كالعلاقة بين ظواهر معينة أو خصائص ظواهر معينة.

هذا ويمكن القول: أن اللغة التي يستخدمها هذا المنهج هي لغة الأرقام والتي قد تكون أوضح معنى وأدق وصفاً من التعبير اللفظي عن الظواهر، وبلغة الأرقام تنخفض كميات ضخمة من الوقائع إلى صيغ ونماذج رياضية طيّعة ومفهومة، تساعدنا في صناعة القرارات وترشيدها وفي إقامة استنتاجات صادقة من الوقائع الملاحظة.

أخيراً يتميز المنهج الإحصائي بأنه يدرس الناحية الكمية للظواهر وتطورها والتأثير المتبادل بين الظواهر الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وعلى الرغم من تلك المزايا، فإن الأرقام كثيراً ما تكون مضلّة ومزيّقة للحقائق بدلاً من أن تلعب دوراً رئيسياً في إظهار الحقيقة، على اعتبار الكثير من الناس يشكون في أي بيان إحصائي ويعتبرونه أنه وسيلة لتزييف الواقع، ولعل أغلبنا سمع التعليق الساخر "إن الأرقام لا تكذب، ولكن الكذابين يضعون الأرقام"، ولكن أسوء التعليقات التي قيلت بلا شك مقولة لأحدهم: "هناك أكاذيب قذرة وإحصائيات" وقد ظهر هذا الشك في الإحصاء أساساً بسبب سوء استخدام الإحصاء بواسطة أشخاص غير مؤهلين، لذلك قد يعتمد بعض الساسة إلى تقديم أرقام مبالغ فيها عن مستوى النمو، أو نسبة البطالة سعياً وراء تكتيل الأنصار حوله، أو يحدث العكس فقد يقرّم البعض الأرقام مثل أرقام معدلات النمو الاقتصادي في بلدان خصومهم، لتشويه صورهم والإساءة إليهم، ويبقى أن نقول، أن لغة الأرقام لا تكفي دائماً للتعبير عن الظواهر الكيفية، لذلك ننصح المتخصصون بعدم الاكتفاء بالأرقام، وإنما ينبغي عليهم تحديد الوقائع موضوع الدراسة تحديداً منهجياً دقيقاً حتى يمكن دراستها كمياً، كما أنه لا يكفي وجود مجموعة من الحالات المتغيرة حتى يمكن عدها نوعاً من الإحصاء، بل لابد من وجود نوع من التماسك والثبات يضيف على هذه المجموعات صفة الانتظام والتجانس كذلك ينبغي عدم الاكتفاء بالأرقام، ولكن يجب تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها باستخدام تلك الأرقام وذلك بقصد كشف الحقائق كالبيانات الإحصائية الأولية لا تكفي بالغرف لتوضيح أو إعطاء فكرة عن الظواهر المدروسة ما لم يتم

تحليلها بالطرق الإحصائية المختلفة، واستخلاص العلاقات بين الظواهر ومعرفة القانون أو التوزيع الاحتمالي الذي تخضع له هذه الظاهرة وأن تكون العينة ممثلة للمجتمع الإحصائي الذي سحبت منه تمثيلاً صادقاً أي تعكس خصائص المجتمع الذي سحبت منه.



الفصل الثالث عشر

المنهج الوصفي

- ماهية المنهج الوصفي
- أساليب الوصف
- أهمية المنهج الوصفي
- مستويات البحوث الوصفية
- مصادر المعلومات في البحوث الوصفية
- خطوات المنهج الوصفي
- خصائص المنهج الوصفي
- أهم نماذج الدراسات الوصفية
- أهمية المنهج الوصفي في تطور العلم

المنهج الوصفي

١٣-١ - ماهية المنهج الوصفي:

يعرف المنهج الوصفي بأنه: "طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها".^(١) ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: "نوع من أساليب البحث، يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضيح خصائص الظاهرة، ودراسة كمية توضيح حجمها وتغيراتها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى محاولاً استقرار المستقبل..". يعتبر الأسلوب الوصفي ركناً أساسياً من أركان البحث العلمي فهو أول الخطوات التي يقوم بها الباحث عندما يتناول دراسة ظاهرة ما من جهة، وهو الأسلوب الوحيد الممكن لدراسة بعض الموضوعات المتعلقة بالإنسان من جهة ثانية، ويعتمد هذا المنهج على جمع المعلومات الكمية والنوعية عن واقع الظاهرة المدروسة ثم تحليلها واستنباط أهم مواصفاتها والكشف عن العلاقات بين العوامل المؤثرة فيها والمتحولات الناتجة عنها خلال فترة الدراسة.

١٣-٢ - أساليب الوصف:

- أ- **الوصف النوعي:** وفيه يقوم الباحث بوصف الظاهرة المدروسة وصفاً كتابياً يحدد فيه أهم خصائصها وصفاتها النوعية وعناصرها المختلفة وكيفية تبادل التأثيرات بين أطرافها.
- ب- **الوصف الكمي:** وفيه يقوم الباحث باستخدام أدوات للقياس وذلك لقياس قيم العوامل التي تدخل في تركيب الظاهرة المدروسة.

ويمكن للباحث أن يستخدم الأسلوبين الكمي والنوعي معاً في وصف الظاهرة المدروسة.

١٣-٣ - أهمية المنهج الوصفي:

لا تقف أهمية هذا المنهج عند وصف الظواهر أو الممارسات السائدة أو الواقع بل تتجاوز كل ذلك للوصول إلى استنتاجات وتعميمات تسهم في تفسير الظواهر بما يسمح بتغييرها وتوجيهها نحو أهداف مطلوبة، حتى أن البعض يسمي هذا المنهج بالمنهج الوصفي التحليلي وذلك لأن الوصف يقترن دائماً ببيانات إحصائية تجري عليها المعالجات الإحصائية كحساب التكرارات والمتوسطات، والانحرافات، والارتباطات.

^١ سامي عريفيج، خالد حسين، مفيد نجيب، في مناهج البحث العلمي، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص ١٠٧

وتبدو أهميته أيضاً في تنظيم البيانات المتجمعة وتحليلها واشتقاق استنتاجات ذات دلالة بالنسبة للمشكلة التي يعالجها البحث، ومن ثم استخلاص النتائج ودراسة إمكانية تعميمها.

١٣-٤ - مستويات البحوث الوصفية^(١)

تتدرج البحوث الوصفية في ثلاثة مستويات هي:

- **المستوى الأول:** ويتلخص بالوقوف عند الوقائع وتكرارات حدوثها كالتعرّف على عدد المؤيدين لاقتراح ما وعدد المعارضين له، من خلال الأسئلة غير المباشرة التي تطرح على الرأي العام في منطقة معينة.
- **المستوى الثاني:** ويهتم بدراسة الارتباط بين ظاهرتين أو أكثر، كالتعرّف على العلاقة بين المستوى التعليمي للفرد وموقفه من إشراك المرأة في الانتخابات أو ترشيح نفسها للانتخابات البرلمانية، على سبيل المثال.
- **المستوى الثالث:** يقترب كثيراً من الإجراءات المتبعة في الأسلوب التجريبي وأي أن الباحث يختار مجموعتين إحداهما تكون مجموعة تجريبية والثانية ضابطة، ويقارن بينهما من حيث تأثير أحد العوامل على المجموعة موضع التجربة دون الأخرى.

١٣-٥ - مصادر المعلومات في البحوث الوصفية:^(٢)

إن مصدر المعلومات في البحث الوصفي هو مجتمع الدراسة الذي يتصف بالمرونة، غير أن مجتمع الدراسة ليس بالضرورة أن يكون المجتمع الإنساني بل المجتمع الإحصائي: فالمجتمع المدروس يمكن أن يكون غير محدوداً أحياناً بشكل لا يسمح بالإحاطة بكل مفرداته، أو يكون كبيراً بحيث يكون تناوله بالدراسة مكلفاً من حيث الوقت والمال، فيضطر الباحث إلى اختيار عينة تمثل هذا المجتمع يخضعها للدراسة ويعمم نتائجها على المجتمع بأكمله، ويكون هذا التعميم مقبولاً بمقدار النجاح في اختيار تلك العينة. يعبر الباحث عن المعلومات والبيانات التي يجمعها وفقاً للأسلوب الوصفي في معظم الحالات بالأرقام، كأن يقول إن عدد الناخبين في المنطقة A هو (٦,٥) مليون، بينما هو في المنطقة B ضعفي المنطقة الأولى وهكذا... يمكن هنا ترجمة هذه الأرقام إلى نسب واستخدام الأعمدة والمنحنيات المعبرة عن هذه التكرارات.

^١ المرجع السابق، ص ١٠٨

^٢ www.minshawi.com/vb/showthread.php?=&v=٧٨

يمتاز الأسلوب الرقمي بالدقة وإمكانية إخضاعه للعمليات الحسابية والإجراءات الإحصائية، ولكن في الكثير من الحالات لا يمكننا التعبير بالأرقام فنعبر عن البيانات بالأسلوب الكيفي. ولكن هناك حالات لا يستطع فيها الباحث دراسة المجتمع، لأن هذا المجتمع واسعاً وبالتالي يُعتمد إلى اختيار عينة صغيرة منه تمثل خصائصه، ويمكن تقييم النتائج التي يتم الحصول عليها على مجتمع الدراسة.

١٣-٦- خطوات المنهج الوصفي: (١)

أهم الخطوات التي اتفق معظم الباحثين عليها هي كالتالي:

١. الشعور بمشكلة البحث وجمع بيانات ومعلومات عنها تساعد على تحديدها.
٢. تحديد المشكلة المراد دراستها وصياغتها في شكل سؤال محدد أو أكثر.
٣. صياغة فروض الدراسة والتي يمكن أن تجيب عن سؤال البحث بصورة مؤقتة.
٤. اختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة وتحديد حجمها ونوعها.
٥. اختيار أدوات جمع البيانات والمعلومات المناسبة كالمقابلة والاستبيان.
٦. كتابة النتائج وتفسيرها واختبار الفروض وتقديم عدد من التوصيات.

١٣-٧- خصائص المنهج الوصفي (٢)

يمكننا استنتاج الخصائص التي يتمتع بها المنهج الوصفي من خلال الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه ومن خلال المعلومات التي يحصل عليها ويمكن إيجازها بالتالي:

١. يعتبر المنهج الوصفي الأنسب والأكثر استخداماً في الظواهر الإنسانية والاجتماعية.
٢. يستخدم الباحث المنهج الوصفي في ظل معلومات كافية حول الظاهرة.
٣. يتسم المنهج الوصفي بالواقعي لأنه يدرس الظاهرة، كما هي في الواقع.

^١ عريفج سامي وآخرون، مرجع سابق ذكره، ص ١٠٩

^٢ المرجع السابق، ص ١١٧

١٣-٨- أهم نماذج الدراسات الوصفية

يقسم المنهج الوصفي إلى قسمين رئيسيين يندرج تحت كل قسم عدة أنواع من الدراسات:

أولاً: قسم الدراسات المسحية:	ثانياً: قسم دراسات الروابط والعلاقات المتبادلة:
١- دراسات المسح الاجتماعي	١- منهج دراسة الحالة
٢- دراسات الرأي العام	٢- الدراسات الارتباطية
٣- تحليل العمل	٣- دراسات التتبعية والنمائية
٤- تحليل المضمون	

- **الدراسات المسحية وتهدف:** إلى جمع معلومات وبيانات عن الظاهرة المدروسة، بقصد التعرف عليها وتحديد وضعها الحالي، والتعرف على جوانب القوة والضعف فيها من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو التعرف على ما يعمل به الآخرون في التعامل مع الحالات المشابهة لوضع الخطط المستقبلية، ويتم بواسطة هذا النوع من البحوث استجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها فقط، دون أن يتجاوز ذلك دراسة العلاقة أو استنتاج الأسباب، وبشكل عام، تهدف الدراسات المسحية إلى مسح الظاهرة موضوع الدراسة، لتحديد، والوقوف على واقعها بصورة موضوعية، تمكّن الباحث من استنتاج علمي لأسبابها والمقارنة فيما بينها وقد تتجاوز ذلك بالتعميم تبعاً لما تخلص له من نتائج.

تصنيف البحوث المسحية:

هذا وتصنف البحوث أو الدراسات المسيحية إلى نوعين أساسيين، هما:

١. **المسح العام:** وهو المسح الذي يعالج الجوانب العديدة للوحدة محل الدراسة ولا يقتصر على جانب منها فقط.

٢. **المسح الخاص:** وهو عبارة عن المسح الذي يتناول بالبحث والدراسة جانباً محدداً في الوحدة التي تكون محل البحث (قطاع التعليم العالي مثلاً).

كما أننا نميز أنواعاً للمسوح تتبع ميدان البحث أو أسلوب الحصر أو البعد الزمني أو الهدف منه وسوف نتناولها بإيجاز:

• أنواع المسوح حسب ميدان البحث:

١-١ - **المسح الاجتماعي:** فيتعلق بدراسة قضايا المجتمع المختلفة مثل: توزيع السكان، العادات، الأسرة، دراسة أحوال الأحياء الفقيرة، دراسة مدى تفشي البطالة في مجتمع ما، والتي تمثل خطوة مبدئية مهمة لتطوير المجتمع.

٢-٢ - **مسح الرأي العام:** وتتعلق دراسات الرأي العام بمسح آراء الجماعة ومشاعرها وأفكارها ومعتقداتها، وهي تحقق عدداً من الفوائد أهمها: الحصول على معلومات وبيانات ضرورية للمخططين والقادة في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع، و تكون القرارات ناجحة بقدر ما تكون دراسة الرأي العام ناجحة في انتقاء عينات الدراسة، وخطوات هذه الدراسة كالتالي:

١- تحديد المشكلة المراد استطلاع الرأي العام فيها.

٢- تحديد الافتراضات التي ينطلق منها الباحث.

٣- تحديد المجتمع الذي سيقول الباحث بإخضاعه للدراسة أو عينة منه.

٤- تحديد الوسيلة التي سيستخدمها في استطلاع الرأي.

٥- جمع البيانات وتنظيمها وتحليلها.

٦- الاستنتاج من الدراسة المسحية وتقديم تقرير عنها.

أخيراً يجب أن تكون العينة المختارة ممثلة للمجتمع الذي سحبت منه لتحقيق إمكانية تعميم النتائج.

تصنيف المسوح وفق أسلوب الحصر:

١ - **المسح بالتعداد (الحصر الشامل):** ويغطي مجتمع الدراسة بأكمله دون استثناء ويعطي صورة كاملة عن المجتمع المدروس.

٢ - **المسح بالعينات (الحصر غير الشامل):** ويدرس عينة من المجتمع الإحصائي، ويجب على هذه العينة أن تحمل خصائص المجتمع الذي سحبت منه.

٣ - **تعداد المحسوسات:** تقتصر الدراسة فيه على حصر بعض العناصر المحسوسة، وتتعلق معلومات هذه الدراسة بمجتمع صغير والحصول على البيانات فيه سهل ومباشر وغير قابل للشك مثل عدد الكتب والمراجع في مكتبة إحدى كليات الجامعة.

٤ - مسح بالعينة لمتغيرات محسوسة: وهنا نلجأ للمعاينة لأن مجتمع الدراسة كبير كحصر نسب التعليم بين البنين والبنات في المدينة والريف في سورية فنلجأ لعينات كبيرة لنتمكن من تمثيل المجتمع وتعميم النتائج عليه.

٥ - المسح بالعينات لمتغيرات غير المحسوسة: فنلجأ فيه كذلك للاكتفاء بعينة ممثلة للمجتمع مثل دراسات استطلاع الرأي العام.

• تصنيف بالمسوح وفق البعد الزمني:

١ - المسوح الطويلة: وفيه تجمع البيانات على فترات زمنية مختلفة بهدف دراسة التغيير خلال فترة زمنية طويلة مثل دراسة الأفراد عبر فترة زمنية طويلة نسبياً، لدراسة التوجهات حيث يتم دراسة أفراد مختلفين في نفس التوجهات خلال فترة طويلة من الزمن.

٢ - المسوح العرضية: وفيه تدرس عينة من المجتمع في فترة زمنية محددة.

• تصنيف المسوح وفق الهدف منه:

١ - المسح الوصفي: ويعنى بوصف الظاهرة وتحديدها، وتبرير الظروف والممارسات أو التقييم والمقارنة.

٢ - المسح الارتباطي: هذا النوع من المسح يدرس العلاقات الارتباطية بين المتغيرات.

٣ - المسح التنبؤي: ويعتمد على دراسة الأسباب المحتملة للنتيجة المدروسة، وإيجاد العلاقات بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

٤ - المسح التطوري: ويقوم هذا النوع من المسح على دراسة أنماط ومراحل نمو أو تغير الظاهرة عبر الزمن.

• خطوات المسح:

١. خطة البحث: وتبدأ عادة بسؤال يعتقد الباحث فيه بأن أفضل إجابة له تتم باستخدام

المنهج المسحي، وهو سؤال يتعلق عادة بسلوك يمكن الحصول على بيانات عنه عن

طريق التقرير الذاتي للأفراد، طبعاً بعد تحديد ومجتمع الدراسة وأسلوب جمع البيانات.

٢. المعاينة: ويحدد فيها حجم العينة، وأسلوب المعاينة، لتعميم النتائج.

٣. بناء الأدوات: وتتمثل في الاستبانة والمقابلة.

٤. إجراءات المسح: يقوم من خلالها الباحث التحقق ميدانياً من صلاحية أدوات الدراسة

وطرق تطبيقها، ومن ثم كيفية تطبيقها.

٥. معالجة البيانات: وتتضمن ترميز البيانات، والتحليل الإحصائي، وتفسير النتائج وإعداد التقرير النهائي للبحث.

• **مزايا المنهج المسحي وعيوبه:**

يتميز المنهج المسحي بأنه أشبه ما يكون بالأساس كبقية أنواع البحوث في المنهج الوصفي، إضافة إلى قابليته للتطبيق، وسهولة تطبيقه وتعدد مجالاته يعاب عليه. صعوبة السيطرة على كل متغيرات الدراسة فيه، واختلاف العلماء حول ما يدخل تحت مفهومه من الدراسات.

• **منهج دراسة الحالة: (١)**

يهتم منهج دراسة الحالة بتجميع البيانات المتعلقة بشيء ما، مثال: (الفرد، المؤسسة، المجتمع أو أي جماعة)، كوحدة للدراسة ويقوم منهج دراسة الحالة على التعمق في دراسة المعلومات بمرحلة معينة من تاريخ حياة هذه الوحدة، أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها، ويتم فحص واختبار الموقف المركب أو مجموعة العوامل التي تتصل بسلوك معين في هذه الوحدة، وذلك بغرض الكشف عن العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء هذه الوحدة، ثم الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بها وبغيرها من الوحدات المشابهة. ويعرّف منهج دراسة الحالة، بأنه المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فرداً أم مؤسسة أم نظاماً اجتماعياً... إلخ، لإجراء تحليل عميق للتفاعل الذي يحدث بين العوامل التي تؤدي إلى التغيير والنمو والتطور خلال فترة معينة من الزمن وذلك على الوحدة التي يتم دراستها، والتي يمكن أن تكون (فرد، أسرة، مدرسة، جماعة، أو مجتمعاً كاملاً) وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة أو الوحدات المدروسة.

^١ عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الانكلو المصرية، ١٩٧١، ص ٣٧٨

• خطوات منهج دراسة الحالة:^(١)

١. تحديد مشكلة الدراسة ووحدة التحليل التي قد تكون فرداً أو جماعة أو منظمة سياسية.
٢. إعداد مخطط البحث أو الدراسة كي يتمكن الباحث من تحديد أنواع البيانات والمعلومات المطلوبة والطرق المناسبة لجمعها وأساليب تحليلها.
٣. جمع المعلومات من مصادرها وبالوسائل التي تم تحديدها مسبقاً، (الملاحظة، الاستبيان، تحليل المضمون).
٤. تبويب وتصنيف وعرض وتحليل البيانات بالأساليب التي يرى الباحث أنها تخدم بحثه.
٥. النتائج والتوصيات وبيان مدى إمكانية الاستفادة منها.

• مزايا وعيوب منهج دراسة الحالة^(٢)

ونذكر هنا أهم مزايا منهج دراسة الحالة، وهي:

- ١- توفر معلومات تفصيلية وشاملة ومتعمقة عن الظاهرة المدروسة بشكل لا توفره أساليب ومناهج البحث الأخرى.
- ٢- يساعد في تكوين واشتقاق فرضيات جديدة وبالتالي يفتح الباب أمام دراسات أخرى في المستقبل،
- ٣- يفيد في الكشف عن كيفية تطور أساليب السلوك والاتجاهات عبر الزمن، لتساعد الباحث على معرفة الكثير من الموضوعات المجهولة لديه.

أما عيوب منهج دراسة الحالة فهي:

- ١- عدم القدرة على تعميم النتائج التي توصل إليها إلا إذا تكررت الدراسة على حالات مختلفة وعلى حالات أخرى مشابهة للظاهرة المدروسة، خصوصاً إذا ما كانت العينة غير ممثلة لمجتمع الدراسة.
- ٢- الكلفة والجهد.

• استخدامات منهج دراسة الحالة:

^١ بدر أحمد ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٩

^٢ عريفج سامي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص ١١٧

يستخدم هذا المنهج في مختلف حقول المعرفة ويستهدف التعمق في دراسة الحالات التي يود معالجتها، من أمثلة على ذلك:

- معالجة موقف أو مواقف معمقة ودقيقة في بيئتها الاجتماعية ومحيطها الثقافي.
- متابعة التطور التاريخي لوحدة معينة.
- الحصول على حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف معين أو معرفة العوامل المتشابكة التي يمكن الاستناد إليها في وصف العمليات السياسية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات أو الدول مثل الصراع والائتلاف وغيرها.
- معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص معين.

• أسلوب تحليل المضمون:

يستخدم هذا المنهج في دراسة الإنتاج السياسي والأدبي والعلمي للمجتمعات السابقة والمعاصرة كإنتاج الأحزاب والحركات السياسية، كما يستخدم في الدراسات الإعلامية من خلال ما تتناقله الصحف في بلد ما على مدى فترة زمنية فعلى سبيل المثال: يمكن التعرف على موقف أبناء هذا البلد من القضايا المطروحة، وذلك بتحليل محتوى الأخبار والتعليقات التي تتناقلها، ودراسة مدى تركيزها على هذا الخبر أو ذاك بإعطائه مكاناً في الصفحات الأولى منها أو الصفحات الأخيرة، أو من خلال كتابة الخبر بالخط العريض الكبير أو الخط الصغير، أو من خلال لون الحبر المستخدم أو من خلال موقعه على صدر الصفحة أو على هامشها وغير ذلك من الأمور ذات الدلالة.

إن تحليل المضمون يعد أسلوباً ناجحاً في الدراسة عندما ينجح الباحث في اختيار الوثائق التي يدرسها، وأيضاً عندما يجري فحصاً دقيقاً للتأكد من سلامة الوثيقة، ويرى بعض الباحثين أن الدراسات الوصفية تشترك مع الدراسات التاريخية في هذا الجانب، والشيء الذي لا بد من ذكره هو إن الدراسات التاريخية تتناول وثائق من الماضي بينما تتناول دراسات تحليل المضمون وثائق تسجل أوصاف الواقع الراهن، لذلك يستهدف تحليل المضمون وصف محتوى المادة الإعلامية مثلاً أو الخطاب السياسي ومع ذلك يواجه الباحث في تحليل المضمون بعض الصعوبات التي يمكن ذكرها كما يلي:

١- تزوير الوثائق وعدم أصالتها.

٢- الوثائق غير واقعية.

٣- صعوبة الإطلاع على بعض الوثائق لسريتها.

• **مزايا وعيوب أسلوب تحليل المضمون:**

يمتاز أسلوب تحليل المضمون بعدد من الإيجابيات هي:

١- يكون الباحث على اتصال مباشر مع مواد بحثه بحيث يمكنه إعادة فحصها وتدقيقها

والعودة إليها متى يشاء ماعدا الوثائق السرية.

٢- لا يؤثر الباحث بالمعلومات التي يقوم بتحليلها فتبقى كما هي قبل وبعد إجراء الدراسة

وبعدها.

٣- هناك إمكانية لإعادة إجراء الدراسة مرة ثانية ومقارنة النتائج مع المرة الأولى لنفس

الظاهرة أو مع نتائج دراسة ظواهر وحالات أخرى.

على الرغم من الإيجابيات، فثمة عيوب لا يخلو منها هذا الأسلوب وهي التالية:

١- يحتاج إلى جهد مكتبي من قبل الباحث.

٢- يتطلب من الباحث التعمق في التحليل وفهم الظروف الاجتماعية السائدة وحسن اختيار

مواده البحثية والقدرة على صياغة استنتاجاته.

٣- عدم الاتسام بالمرونة، حيث يكون الباحث مقيداً بالمادة المدروسة ومصادرهما المحدودة.

• **دراسة تحليل العمل:**

يتناول هذا النوع من الدراسات تحليل الوظيفة أو العمل في مؤسسات معينة ويقدم بيانات تتعلق

بأعدادهم ومسؤولياتهم وأنشطتهم وأوضاعهم وأجورهم والمهام الموكلة إليهم وينظم هذه البيانات

ويحللها بشكل يساعد على الاستنتاج منها، ويشمل تحليل العمل ما يلي:

١- تحديد تفصيلي لواجبات الوظيفة ومسؤولياتها

٢- مواصفات العامل الذي يشغل هذا العمل.

٣- وضع برامج التدريب للموظفين الحاليين والجدد.

٤- وضع أو تطوير الأطر النظرية لدراسة الوظائف الإدارية.

٥- التعرف على الكفاءات عند اختيارها لشغل الوظائف المختلفة.

٦- التعرف على نواحي الضعف والقصور في الأعمال وما بها من تكرار.

٧- تعيين الموظفين في الأعمال على نحو يحقق أفضل استخدام للقوى العاملة.

٨- اتخاذ قرارات النقل أو فصل بعض الموظفين أو إعادة تدريبهم أو معاقبتهم.

٩- تحديد أجور الأعمال التي تتطلب مستويات مختلفة من المهارة والمسؤولية.

١٠- توضيح ظروف العمل في الوظيفة (مكتبي، ميداني).

١١- تعريف المصطلحات المهنية والفنية.

ومن أهم الأساليب التي يستخدمها الباحثين أثناء عملية تحليل العمل مايلي:

١- المقابلة.

٢- الاستبيان.

٣- الملاحظة الدقيقة للقائمين بالعمل أثناء العمل.

٤- التقارير الدورية التي يعدها العاملون عن أنشطتهم ومشكلات العمل.

٥- الرجوع إلى الخبراء في الميدان، وإلى الرؤساء المباشرين وجمع أحكامهم.

• الدراسات الارتباطية:

يهتم هذا النوع من الدراسات بالكشف عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر لمعرفة الارتباط بين هذه المتغيرات والتعبير عنها بصورة رقمية، وذلك باستخدام الطرائق الإحصائية لقياس معامل الارتباط بين متغيرين، حيث لا يستطيع الباحث من خلال الملاحظة أن يؤكد الترابط ويحدد مدى هذا الترابط، فعندما يلاحظ الباحث وجود علاقة ما أو ارتباط بين متغيرين يضع فروضاً يفسر بواسطتها هذا الترابط ثم يجمع المعلومات والبيانات التي يفسر بواسطتها هذه العلاقة لإثبات صحة الفروض والوصول إلى النتائج.

وتتضمن هذه الدراسات الطرائق التالية:

١- طريقة الاتفاق أو التلازم في الوقوع:

وفقاً لهذه الطريقة يقول (ميل): إنه إذا وجدنا ظاهرة الانحراف في إحدى البيئات قد تجلت في حي فقير، وفي بيئة أخرى تجلت نفس الظاهرة في حي فقير ومتخلف ثقافياً وكذلك تجلت في حي فقير وسكانه من المهاجرين، فإن ذلك يستدعي أن نستنتج إن الفقر سبباً للانحراف في الحالات المدروسة، مع أن هذا الاستنتاج قد لا يكون صحيحاً، فالأمر قد لا يتعدى الارتباط بين ظاهرة الفقر والانحراف دون أن يكون الفقر سبباً للانحراف.

٢ - طريقة التلازم في التخلّف أو الغياب:

الأمر معكوس هنا، فعلى سبيل المثال أحد السائقين لم يتعرض للحوادث وكان ملتزماً بالسرعة المحددة على الطرقات، كذلك وجدنا سائقاً آخر يشكر ربه لعدم تعرضه لحوادث خطيرة ووجدناه لا يسرع أثناء القيادة، وكذلك وجدنا سائق آخر على غرار سابقه، سنستنتج أن غياب السرعة قد يكون سبباً لعدم وقوع حوادث السير، هذا الاستنتاج قد لا يكون سليماً فوضع الطرقات التي يسيرون عليها، والساعات التي يقودون فيها سياراتهم، ومدى انتباههم أثناء القيادة كلها عوامل مؤثرة.

٣ - طريقة التلازم في الوقوع والتخلّف:

في هذه الطريقة يتم الاستنتاج بعد جمع الملاحظات المشتقة من الطريقة الأولى والثانية معاً لزيادة التأكيد، ومع ذلك علينا أن لا ننسى أن التلازم في الوقوع والتخلّف قد لا يتعدى مجرد ارتباط الظاهرتين معاً دون أن تكون إحداها سبب الأخرى، كما في حالة البرق والرعد اللتان تتلازمان في الوقوع والغياب.

٤ - طريقة التلازم في التغيير:

في حال تبين لنا وجود زيادة أو نقصان في إحدى ظاهرتين يقابله زيادة أو نقصان مقابل إمكانية الميل إلى الحكم بأن إحدى الظاهرتين سبب الأخرى ربما قد يكون السبب عامل ثالث يؤثر على الظاهرتين معاً بأن واحد، ويكون السبب للتغيير النسبي فيهما معاً زيادة ونقصاناً.

٥ - طريقة البواقي:

توحي هذه الطريقة بأنه: إذا تبين لنا ارتباط بين مجموعة من الظواهر ومجموعة أخرى وتمكننا من معرفة العلاقة السببية القائمة بين عدد من مفردات المجموعة الأولى وعدد المفردات المقابلة في المجموعة الثانية، فإن ما تبقى من المجموعة الأولى يكون سبباً بما تبقى بالمجموعة الثانية، وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه قد وجهت انتقادات كثيرة لطرائق (ميل) الخمس بالرغم من أنها مفيدة، إذا أتبعنا دراسات للتحقق من صحة الاستنتاجات القائمة عليها، ومع ذلك يبدو إن الأفضل استنتاج علاقة ارتباط من تفسير الأمر على شكل سبب ومسبب.

• الدراسات التتبعية :

تهتم هذه الدراسات بدراسة التغيرات التي تمر بها الظاهرة من الظواهر عبر مرحلة من الزمن وبذلك لا تقتصر على الوضع الحالي للظاهرة، بل تدرس الظاهرة في فترة ما ثم تتابع دراستها لمعرفة التغيرات التي تمر بها الظاهرة عبر الزمن والعوامل التي أدت إلى ظهورها.

من أمثلة هذه الدراسات، دراسات النمو التي تهتم بالتغيرات التي تحدث للظواهر مثل "النمو السكاني خلال فترة زمنية وقد تكون الدراسة دراسات للاتجاه العام للظاهرة، والتي تهدف إلى دراسة ظاهرة ما في واقعها الحالي ومتابعة دراستها خلال فترة زمنية لمعرفة اتجاهات تطور هذه الظاهرة من أجل التنبؤ بما سيحدث في المستقبل مثل الدراسات التنبؤية المطبقة في كافة مجالات الحياة، وبالتالي يجب الحذر والنظر إلى التنبؤات بأنها ليست مسلمات وحقائق، بل هي مؤشرات تساعد في فهم التطور المستقبلي للظواهر المختلفة.

خطوات الدراسة التتبعية:

- ملاحظة الظاهرة أو الموقف أو السلوك في فترة زمنية ما ووصف الظاهرة في ذلك الزمن.
- متابعة هذه الظاهرة بعد مرور فترة من الزمن ووصفها في ضوء واقعها الجديد.
- متابعة دراسة الظاهرة بعد فترات زمنية أخرى.

١٣-٩- أهمية المنهج الوصفي في تطور العلم:

يقدم الأسلوب الوصفي في البحث كثيراً من الفوائد التي تفيد في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية وذلك عن طريق:

- ١- تقديم حقائق ومعلومات وبيانات دقيقة عن واقع ظاهرة ما.
 - ٢- توضيح العلاقات المتبادلة بين الظواهر المختلفة كالعلاقة بين الأسباب والنتائج والعلاقة بين الكل والجزء مما يساعد الإنسان في فهم الظواهر.
 - ٣- تفسير وتحليل الظواهر المختلفة لفهم العوامل المؤثرة في هذه الظواهر.
 - ٤- المساعدة إلى حد ما على التنبؤ بمستقبل ظاهرة ما من خلال معرفة التغير الذي حصل على هذه الظاهرة وإمكانية التخطيط العام لبعض جوانب المستقبل لهذه الظاهرة.
- أخيراً، هناك بعض الانتقادات على الأسلوب الوصفي وتتلخص في النقاط التالية:

١- إمكانية اعتماد الباحث على معلومات خاطئة باعتبار جمع المعلومات الخاطئة يؤدي إلى نتائج خاطئة ومضللة.

٢- احتمال تحيز الباحث في جمع البيانات وميله إلى مصادر معينة خاصة عند التعامل مع ظواهر اجتماعية وإنسانية غالباً ما يكون طرفاً فيها.

٣- صعوبة إثبات الفروض العلمية في الدراسات الوصفية أحياناً لأنها تتم عن طريق الملاحظة.

٤- صعوبة تعميم النتائج، لأن الظواهر تتغير من فترة لأخرى.



الفصل الرابع عشر

المنهج التجريبي

- معنى المنهج التجريبي والتجربة
- نشأة المنهج التجريبي (جون ستيوارت ميل وافتراض العلاقة السببية)
- خطوات المنهج التجريبي
- أساليب تصميم التجارب
- تقييم عام للمنهج التجريبي

المنهج التجريبي

١٤-١ - معنى المنهج التجريبي والتجربة:

"يُعد المنهج التجريبي أحد المناهج العلمية التي يستعملها الباحث لاختبار الفروض، خاصةً عند الرغبة في معرفة تأثير متغير واحد مستقل في متغير آخر تابع، مع ثبات أو تحديد أثر المتغيرات المستقلة الأخرى التي قد تتدخل في العلاقة الكائنة بين المتغيرين الرئيسين، إلا أنه يمكننا بموجب هذا المنهج من الاهتمام بعدد من المتغيرات، واختبار صحة الفروض المدروسة، كما أنه يمكننا إعادة الدراسة عن طريق هذا الأسلوب أكثر من مرة وعزل المتغيرات بعضها عن البعض الآخر، لدراسة أثر كل منها على الآخر"^(١)

أما التجربة فهي تحقيق علمي من خلاله يضبط الباحث متغيراً مستقلاً أو أكثر يمكنه من ملاحظة التغير المصاحب في ذلك المتغير أو المتغيرات التابعة، كما وبذلك يمتلك أن الباحث المقدرة على اختيار مبحوثية وتوزيعهم على المجموعات التجريبية بشكل عشوائي، وهذه المقدرة تسمى بالتجربة الحقيقية أما إذا افترض الباحث إلى المقدرة على توزيع المبحوثين على مجموعات تجريبية أو افتقر إلى الضبط والتحكم سمي البحث بحثاً شبه تجريبياً.^(٢)

وبناءً على ما سبق، يقتضي البحث التجريبي توفر شرطين فيه، هما:

١- وجود مجموعة تجريبية، يمكن أن يدخل عليها الباحث المتغير المستقل.

٢- قدرة الباحث على توزيع الوحدات المدروسة على مجموعتين بطريقة عشوائية.

١٤-٢ - نشأة المنهج التجريبي (جون ستوارت ميل وافترض العلاقات السببية):

يرجع نشأة المنهج التجريبي إلى جون ستوارت ميل وافترضاته حول العلاقات السببية التي درسها في كتابه: "نسق المنطق" والتي تضمنت ثلاث طرائق رئيسية: تعد بمثابة الأسس التي قامت عليها كل التصميمات التجريبية الحديثة وهي:

١- طريقة وتسمى بطريقة الاتفاق Method of agreement وتعني مقارنة أكبر عدد

ممكن من الظواهر، فإذا ما تبين للباحث أن الحالات التي يدرسها تحمل صفة (Y) مثلاً - الديمقراطية الليبرالية - وكانت جميع هذه الحالات تحتوي على الصفة (X) - مثل السيطرة

^١ الفاندي محبوب عطية ، طرق البحث العلمي في العلوم الاجتماعية (البيبا، البيضاء، منشورات جامعة، عمر المختار، ١٩٩٤، ص

٩٥-٩٤

^٢ حمادة بسيوني ابراهيم ، "تصميم البحوث التجريبية"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦، ص ٩٤-١١٠

النسبية للبرجوازية في إطار توازن الطبقات - فإنه يمكن تطبيق مبدأ السببية، القائم على أن سبب وجود (Y) لا يعني ذلك نفي وجود عوامل أخرى.

فالمقارنة التي يلجأ إليها الباحث هنا، هي البرهان على العلاقة السببية المحتملة - تكون بين أكبر عدد ممكن من الحالات المتنوعة التي تحمل الصفة (X) وأخرى لا تحمل هذه الصفة.

٢- تسمى بطريقة الاختلاف Method of Difference وتقوم على مبدأ المقارنة بين حالتين متشابهتين في جميع الظروف أو الشروط، ما عدا شرط واحد منها بحيث توجد الظاهرة في إحدها ولا توجد في الأخرى نتيجة غياب هذا الشرط، فيكون هذا الشرط أو الطرف الوحيد هو سبب للظاهرة، أو جزء أساسي من السبب، أو نتيجة لها، فإذا افترضنا تشابه النظام السياسي (X) والنظام السياسي (Y) تشابهها كبيراً في جميع الظروف، وشهد النظام (X) انقلاباً عسكرياً دون أن يشهد (Y) مثل هذا الانقلاب، فإن هذا التشابه في الظروف يدفع الباحث إلى تمحيص مختلف العوامل والشروط التي ارتبطت بظاهرة الانقلاب بمعنى فقد يثبت الباحث توافر أحد هذه الشروط في (X) دون توافرها في (Y)، الأمر الذي سبب أو ساهم في هذه الظاهرة لتنفرد بها دون (Y) رغم تشابهها في الشروط الظروف الأخرى، وتتميز هذه الطريقة عن سابقتها بأنها أكثر ضبطاً، وسهولة الاستعمال و أكثر انتشاراً في البحوث العلمية.

٣- هي طريقة التغير النسبي أو التلازم في التغير Method of Concomitant Variation ويقصد بها ستيوارت ميل أنه إذا حدث تغير في أحد هذه العوامل وصحب هذا التغير تغيراً في ظاهرة معينة، دون أن يحدث مثل هذا التغير في ظواهر أخرى لم تتعرض لمثل هذا العامل، فإن يدل على أن هذا العامل كان سبباً في الظاهرة أو نتيجة لها، فالباحث يتناول هنا، علاقة سببية بين سبب ونتيجة، وبعبارة أخرى: هي علاقة ارتباطية - وفق البحوث الحديثة - وهذا يتم من خلال دراسة العلاقة الارتباطية بين المتغيرات.

١٤-٣- خطوات المنهج التجريبي:

- ١- تحديد جميع العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة، التي يريد الباحث قياس أثرها
- ٢- تحديد العامل المستقل (المتغير التجريبي) الذي نريد دراسة مدى تأثيره على الظاهرة المدروسة.
- ٣- تحديد العامل التابع (المتغير الناتج) الذي ينتج عن تأثير العامل المستقل على الظاهرة.
- ٤- تثبيت قيم العوامل المؤثرة في العامل التابع - ماعدا قيم العامل المستقل - وذلك لتبيان مدى تأثير العامل المستقل على العامل الناتج بشكل منفرد.
- ٥- تشكيل مجموعتين متكافئتين لتطبيق إجراءات التجربة على إحداها ثم مقارنة تغيراتها مع الأخرى، ويطلق على هاتين المجموعتين المصطلحين التاليين:
 - **المجموعة التجريبية:** وهي المجموعة التي ستخضع للتجربة وتتعرض لتأثيرات العامل المستقل مع تثبيت العوامل الأخرى، وتجرى التجربة على أساس التحكم التدريجي في تغيرات العامل المستقل وقياس تأثيراتها المقابلة.
 - **المجموعة الضابطة:** وهي المجموعة التي لا تخضع للتجربة وتبقى تحت الظروف العادية، ويشترط فيها ثبات جميع العوامل بما فيها العامل المستقل، وبالتالي تستخدم من أجل مقارنة نتائجها مع النتائج المقابلة لها في المجموعة التجريبية.

١٤-٤- أساليب تصميم التجارب:

- تستخدم في هذا المنهج عدة أساليب لتصميم التجارب، من أهمها:
- ١- **أسلوب المجموعة الواحدة:** يستخدم هذا الأسلوب مجموعة واحدة فقط نظراً لصعوبة تأمين مجموعتين متكافئتين تماماً، يقوم الباحث بتطبيق تجربته على مجموعة واحدة وذلك بإتباع الإجراءات التالية:^(١)
 - تحديد وقياس قيم المتغيرات المستقلة والتابعة قبل إجراء التجربة وتسجيلها بدقة، وتسمى نتائج هذا القياس بنتائج الاختبار القبلي (قبل إجراء التجربة)، وهي تمثل نتائج المجموعة الضابطة.

^١ العلي ابراهيم محمد ، مناهج وأساليب البحث العلمي، (جامعة تشرين، محاضرات أقيمت على طلبة كلية الاقتصاد، للعام الدراسي ١٩٩٩-٢٠٠٠)، ص ١٨-٢٢

- القيام بإجراء التجربة المبرمجة وتطبيق تغيرات العامل المستقل بشكل تدريجي على نفس المجموعة باعتبارها مجموعة تجريبية.
 - تسجيل النتائج التي تم الحصول عليها تحت اسم نتائج الاختبار البعدي (بعد إجراء التجربة).
 - مقارنة نتائج الاختبار البعدي مع نتائج الاختبار القبلي ومعالجتها ثم استخلاص النتائج اللازمة.
- ويعاب على هذا الأسلوب في البحوث الاجتماعية، بأن أفراد المجموعة الواحدة قد ينتبهون إلى أنهم معرضون لإجراء التجربة فيعدلون من إجاباتهم، وتصرفاتهم، إلا أن هذا الأمر غير وارد في البحوث الطبيعية.
- ٢- **أسلوب المجموعتين المتكافئتين:** يعتمد هذا الأسلوب على اختيار المجموعتين المكافئتين لتكون إحداهما المجموعة التجريبية والأخرى المجموعة الضابطة، حتى يضمن الباحث تأمين التكافؤ بين هاتين المجموعتين يقوم بتشكيلهما بإحدى الطريقتين التاليتين:
- أ- طريقة السحب العشوائي: وفيها يتم سحب أفراد كل مجموعة بشكل عشوائي للتأكد من عناصر التكافؤ بين المجموعتين وذلك من خلال دراسة ومقارنة متوسطات وانحرافات ونسب بعض المؤشرات الهامة فيهما، وبعدها يحدد الباحث دون أي تحيز (بالقرعة مثلاً) أي المجموعتين ستكون المجموعة التجريبية وبالتالي تكون الأخرى المجموعة الضابطة.
 - ب- طريقة الأزواج أو التوائم: وفيها يقوم الباحث باختيار أزواج أو توائم متماثلة من حيث العوامل المؤثرة ثم يقوم بفرز عشوائي لعنصري كل زوج ليضع الأول في المجموعة التجريبية والآخر في المجموعة الضابطة ويكرر ذلك حسب الحجم المطلوب لكلا المجموعتين.

وحسب هذا الأسلوب يقوم الباحث بتنفيذ الإجراءات التالية:

- تحديد وقياس المتغيرات المستقلة والتابعة في كلتا المجموعتين التجريبية والضابطة والتأكد من تكافؤهما من حيث العوامل المؤثرة خلال التجربة المقبلة.
- القيام بإجراء التجربة وضبط جميع العوامل المؤثرة فيها، عدا العامل المستقل التجريبي الذي يعطى قيمةً مدروسةً ومتدرجةً ويطبق تأثيره على عناصر المجموعة التجريبية.
- تسجيل نتائج تأثير العامل التجريبي على عناصر المجموعة التجريبية وذلك باستخدام الأدوات والمقاييس المناسبة.
- إعادة تحديد وقياس قيم المتحولات المستقلة والتابعة في عناصر المجموعة الضابطة باستخدام نفس الأدوات والمقاييس السابقة.
- مقارنة نتائج المجموعة التجريبية مع نتائج المجموعة الضابطة ومعالجتها ثم استخلاص النتائج الممكنة.

٣- أسلوب المجموعات الثلاثة: ويطبق هذا الأسلوب عندما يرغب الباحث بدراسة تأثير عاملين مستقلين على الظاهرة المدروسة، وهنا يقوم الباحث أولاً باختبار تكافؤ المجموعات الثلاثة والتأكد من تحققه، ثم يحدد عشوائياً مجموعتين تجريبيتين ومجموعةً ثالثةً ضابطةً، ثم يقوم بتطبيق تأثير العامل المستقل الأول على المجموعة التجريبية الأولى وتأثير العامل المستقل الثاني على المجموعة التجريبية الثانية مع ضبط العوامل الأخرى في الحالتين، وبعدها يسجل نتائج التجريبتين ويقارنها مع نتائج المجموعة الضابطة ويستخلص النتائج الممكنة، وهنا يمكن للباحث أن يقوم بإعادة التجريبتين بتبديل تطبيق نفس العاملين على المجموعتين السابقتين، حيث يطبق العامل الأول على المجموعة الثانية والعامل الثاني على المجموعة الأولى، ثم يسجل نتائج هاتين التجريبتين كالعادة، وبعد الانتهاء من التطبيقين المذكورين يمكن أن يقوم الباحث بإجراء المقارنات التالية:

- أ- مقارنة نتائج تأثير العامل الأول على كلتا المجموعتين ثم مقارنتها مع المجموعة الضابطة.
- ب- مقارنة نتائج تأثير العامل الثاني على كلتا المجموعتين ثم مقارنتها مع المجموعة الضابطة.

ج- مقارنة نتائج تأثير كلا العاملين المستقلين معاً على المجموعة الأولى مرة وعلى المجموعة الثانية مرة أخرى ومقارنتها مع معطيات المجموعة الضابطة.

٤- الشكل الملائم للتصميم التجريبي: لقد اتضح أن لكل تصميم تجريبي نواحي قصور معينة فكل منها يصلح لنوع من الدراسات، وليس هناك تصميم تجريبي مثالي يصلح لكل الدراسات والمواقف، ولكن يمكن للباحث أن يقلل من نواحي الضعف في كل تصميم باتباعه المبادئ التالية:

- أ- أن يضبط الباحث كل العوامل والمؤثرات الأخرى عدا العامل التجريبي.
- ب- أن يكون الباحث دقيقاً في تسجيل التغيرات والآثار التي تحدث نتيجة استخدام المتغير التجريبي.
- ج- أن يكون الباحث حذراً من التحيز لمتغير ما دون الآخر.
- د- أن يكون الباحث قادراً على تسجيل المتغيرات وتقديرها كمياً وذلك باستخدام الاختبارات والمقاييس المناسبة.
- هـ- أن يصمم الباحث إجراءاته بحيث يستطيع التمييز بين التغيرات السلوكية الناتجة عن المتغير التجريبي والتغيرات السلوكية الناتجة عن عوامل أخرى.

١٤-٥- تقييم عام للمنهج التجريبي:

صادفت التجارب في البحوث التي يقوم بها علماء فروع العلوم الاجتماعية - ربما باستثناء علم النفس - صعوبات عديدة أهمها:

- ١- أن المنهج التجريبي يتطلب إجراءات إدارية وتنظيمية معقدة، وذلك من أجل الحصول على الموافقات الرسمية اللازمة وتشكيل المجموعات الاختبارية وتأمين الأمكنة والأجهزة الفنية الضرورية.
- ٢- يتم التجريب عادة على عينة محدودة من الأفراد وبذلك يصعب تعميم نتائج التجربة، إلا إذا كانت العينة ممثلة للمجتمع الذي سحبت منه تمثيلاً صادقاً، كما أنه من الصعب أن يجد الباحث عينتين متكافئتين.
- ٣- تتأثر نتائجه بمقدار ضبط العوامل الأخرى المؤثرة في الظاهرة لأن عملية ضبط تلك العوامل صعبة جداً وخاصة في البحوث الاجتماعية.

- ٤- عند دراسة الظواهر الإنسانية هناك صعوبات أخلاقية وفنية وإدارية، فالأخلاق تمنع إخضاع الإنسان لبعض أنواع التجارب التي قد تؤثر عليه.
- ٥- تتم التجارب في معظمها في ظروف صناعية بعيدة عن الطبيعية ولا شك أن الأفراد الذين يشعرون بأنهم يخضعون للتجربة يميلون إلى تعديل بعض استجاباتهم لهذه التجربة.
- ٦- غالباً ما تكون العوامل السببية في موضوعات وظواهر البحوث السياسية والاجتماعية عموماً، كالسلوك السياسي والجماعات والأحزاب وصنع القرارات والمشاركة السياسية والطبقة والوضع الاقتصادي ومستوى الثقافة ومستوى الديمقراطية ذاتها محصلة لعدد كبير من العوامل والشروط، وهذا معناه أن إخضاعها يفرض التحكم بالظروف، الأمر الذي يتعذر تحقيقه.
- ٧- أن التجريب عبارة عن إثبات فروض والتأكد من صحتها أو عدم صحتها، مما يعني أن التجربة لا تزود الباحث بمعلومات جديدة، وإنما يثبت بواسطتها معلومات أو علاقات معينة.
- ٨- تعتمد دقة النتائج على الأدوات التي يستخدمها الباحث كالاختبارات والمقاييس التي يعدها ومدى صدق هذه الاختبارات ومدى ملائمتها لقياس الظاهرة المراد دراستها (قياسها).
- ٩- إن انتشار أسلوب تحليل النظم توصل إلى أن العوامل والمتغيرات لا تؤثر على الظاهرة المدروسة على انفراد، بل تتفاعل وتتربط في علاقات شبكية معقدة.

الفصل الخامس عشر

المنهج التاريخي

- أهمية المنهج التاريخي والدراسات التاريخية
- الاهتمام بالتاريخ السياسي الاجتماعي
- خطوات المنهج التاريخي

المنهج التاريخي

١٥-١ - أهمية المنهج التاريخي والدراسات التاريخية:

يستخدم هذا المنهج في دراسة تطور الظواهر كمياً ونوعياً عبر الزمن الماضي أو دراسة ظاهرة حاضرة تمتد جذورها إلى الماضي ووضعها في إطار تحليلي يرشدنا في دراسة تلك الظاهرة. يفيد التاريخ الباحثين في علم السياسة في التعرف على تطور الأفكار السياسية والتنظيمات والجماعات والشخصيات والأمم عبر التاريخ ويجعلهم قادرين على تقييم الأفكار والنظم والأدوار الحديثة، كما أن التاريخ ييسر للباحث رؤية أعمق للوقائع أو نتائج الأحداث، وهذه الرؤية التاريخية تجعله أقدر على النظرة الشاملة المترابطة للوقائع والجزئيات والتفاصيل في أي موقف باعتبار موضوعات التاريخ لا يمكن فهمها في عزلة عن السياق التاريخي العام الذي يحيط بها، وإنما في إطار تتربط عناصره، وتحدد بؤرة الاهتمام في البحث بالتأكيد على النقاط المركزية أو المحاور التي يركز عليها الباحث ويوجه جهوده.

ونحن قصدنا من استخدام المنهج التاريخي، لمقدرته التفسيرية التي يزودنا بها من خلال إيلاؤه الزمن دوراً معيناً في ذلك التفسير، وبصيغة أخرى إدخاله الظروف المحيطة بميلاد ظاهرة أو تعزيزها و ضعفها أو اختفائها في تفسير ذلك. والمثال على ذلك: ظهور الدستور في ظل ظروف معينة، أو الظاهرة الحزبية، أو المؤسسات البرلمانية، أو اختفاء نظام سياسي أو اجتماعي، ففي اختفاء النظام السياسي كالنظام الاشتراكي في العديد من الدول الاشتراكية سابقاً، أما في اختفاء نظام اجتماعي فهو يعني اختفاء الرق، أو التطورات التي تطرأ على مؤسسة من المؤسسات كالأمم المتحدة.

فالمنهج التاريخي لا يكتفي بسرد الوقائع وتكديسها، ولكنه يقدم تصوراً عن الظروف والمحيط اللذان تحكّم في ميلاد الظواهر أو اندثارها، ويحاول أن يصل إلى إيجاد القوانين التي تحكم في ذلك، وهو يستهدف التعميم بعد استخلاص العلاقات الموجودة بين ظاهرة أو حادثة ما، والوضعية أو الحالة أو الظرف الذي وجدت فيه.

يقول "بولين يونج: "إننا في البحث الاجتماعي نتعقب التطور التاريخي لكي نعيد بناء العمليات الاجتماعية، ونربط الحاضر بالماضي، ونفهم القوى الاجتماعية الأولى التي شكلت الحاضر

بقصد الوصول إلى وضع مبادئ وقوانين عامة متعلقة بالسلوك الإنساني للأشخاص والجماعات والنظم الاجتماعية".^(١)

لقد تطور المنهج التاريخي من كونه سارداً للأحداث ومجمعاً للمعلومات إلى مفسر للأحداث وساع إلى بناء أطر للتفسير والتحليل.

لقد سيطر المنهج التاريخي على الدراسات السياسية عهداً من الزمن، ولم يتراجع هذا الدور إلا مع مطالع القرن العشرين، وبشكل لافت للانتباه في عقد العشرينيات منه حينما بدأت المدرسة السلوكية تؤسس قواعد التفسير السلوكي للظواهر، إلا أن المنهج التاريخي ما يزال يحظى بمكانة مرموقة ضمن مناهج الدراسات السياسية، فمعرفة التقلبات التي طرأت على ظاهرة من الظواهر تستدعي استعادة اللحظة التي حدثت فيها والمحيط الذي اكتنفها وما يتضمنه من عناصر فمثلاً لو أردنا دراسة الأمم المتحدة أو التنظيم الدولي الحالي ينبغي معرفة الظرف الزمني وطبيعة العلاقات الدولية السائدة في عام ١٩٤٥ عشية ميلاد الأمم المتحدة.

كما أننا نستفيد من المنهج التاريخي في تفسير الحصار الأمريكي على كوبا، وذلك باستعادة الظرف الزمني ومكوناته التي أحدثت ذلك الحصار، وكذلك دراسة ظاهرة التعددية السياسية في سورية باستعادة الوضع التاريخي الذي ولدت فيه التعددية والعناصر المكونة لذلك الوضع.

والهدف من كل هذا هو استخلاص قواعد عامة يمكن تعميمها على ظواهر شبيهة في الحاضر غير أن إدراك الظاهرة وطريقة نقلها أو تسجيلها، والوضع النفسي لناقل الحادثة، وكذلك الخلفية الفكرية والثقافية والعقيدية والأيدولوجية للمفسر، والمدخل أو المداخل التي يستخدمها في تفسير الحادثة، فالماركسي يولي أهمية كبرى للعامل الاقتصادي في تفسير الأحداث، والرأسمالي يرفض إعادة توزيع الفائض من ثرواته على أغلبية المجتمع لتصحيح الاختلال الهيكلي داخل النظام الرأسمالي، ولكن الرأسماليين يسعون بدلاً من ذلك إلى إعادة استثمار فائض رأسمالهم في مشروعات مربحة في الخارج، وتكون النتيجة قيام ظاهرة الإمبريالية، وأن الصراع بين القوى الرأسمالية على المستعمرات تحركه الرغبة في السيطرة على الأسواق والمواد الخام.

وهناك من يفسر الأحداث بإرجاعها إلى رغبات الزعماء وخصائصهم، كما أن هناك من يفسر الأحداث بإرجاعها إلى البواعث العقيدية، وهناك من يستخدم المدخل الجغرافي إلى غير ذلك من

^١ حامد ربيع، علم السياسة عن طريق النصوص، (مكتبة القاهرة الحديثة، د ت)، ص ١٤٣ وما بعدها

المداخل التي تسعى لتفسير الأحداث التاريخية وعلى الرغم من الجهود المبذولة من أجل الوصول بالمنهج التاريخي إلى مرحلة التعميم وبناء نظرية عامة لتفسير الأحداث، فإن تلك الجهود مازالت نتائجها متواضعة جداً.

١٥-٢- الاهتمام بالتاريخ السياسي الاجتماعي:

التاريخ عنصراً مساعداً للتحليل السياسي، لكونه يعد مصدراً لتزويد علماء السياسة بالأدلة المثبتة أو المنفية لمنطق النظرية، فهو حقل للتجارب يحل محل التجارب العملية التي تتميز بها العلوم الطبيعية، كما يفيد في الدراسات المقارنة للظاهرة الواحدة وما طرأ عليها من تطور، أو لمقارنتها بغيرها من الظواهر المشابهة لها، كما يساعد على بناء الإطار الفكري للتحليل، كما يسمح لنا بفهم الحاضر، أو على الأقل هو أداة أساسية للوصول إلى فهم المتغيرات المرتبطة بالأوضاع القائمة ووزنها.^(١)

١٥-٣- خطوات المنهج التاريخي:

إن المنهج التاريخي يتضمن خطوتين أساسيتين:

أولهما، جمع البيانات أي الوثائق والمعلومات،

وثانيتهما، الربط بين الواقعة والوضع السائد في تلك الحقبة من الزمن (أي تفسير الواقعة بناء على البيانات المجموعة بشأنها).

فالتأليف التاريخي يبدأ "برغبة لدى الباحث في اختيار موضوع معين، ثم يبدأ في البحث عن المصادر المتعلقة، بموضوعه، ثم تتلو عملية جمع المصادر العلمية والنقد والتمحيص لها، وهي أشبه بعمل القاضي الذي يأتي بالشهود والرواة، فيستنطقهم، ويدقق في شهاداتهم، ويحقق في إفادتهم، ثم يستند إلى نتيجة عمله وتحقيقه في الحكم على العصر الذي يدرسه"^(٢)

لذلك على الباحث أن يحدد مشكلته، ويضع فروضه التي تستدعي الاختبار، يلجأ إلى التاريخ يستنطقه بشأن الحادثة التي احتضنها في حقبة من الزمن، والباحث يتجه إلى الشهود الذين شاهدوا الحادثة، أو إلى الذين سجلوها نقلاً عن من شاهدها وتزداد أهمية المصادر التي تعاصر الحدث لذلك تسمى بالمصادر الأولية.

^١ ربيع حامد ، نظرية التحليل السياسي، ص ٢٠١- ٢١٢

^٢ الجميعي عبد المنعم الدسوقي ، منهج البحث التاريخي، دراسات وبحوث، (القاهرة: مطبعة الجيلاوي، ١٩٩٢)، ص ١٦- ١٧

وهناك مصادر أخرى لا تعاصر الحدث، حيث تقتصر إلى الرابطة بينها وبين الحدث، لذلك يطلق عليها: المصادر الثانوية، وكلا المصدرين يؤديان وظائف كبيرة للباحث، إذ بدونهما يغدو البحث عبارة عن أساطير وتخيلات تقتصر إلى صفة العلمية، ويجمع الباحث بياناته من مصادر شتى منها: السجلات الرسمية وغير الرسمية، والأحكام القضائية، وسجلات الحالات المدنية، والتجارية، والأرشيف، والتقارير السنوية، وسجلات النوادي والجمعيات، والتقارير الرسمية، ومحاضر الجلسات، وسجلات الصادرات والواردات، والعقود الفردية، وكذلك التقارير الصحفية على الرغم من إمكانية تزيفها للحقائق، وسجل الأحداث الملحق بالمجلات أو الدوريات وكذلك المكتبات والمتاحف، والمستندات السياسية والعسكرية، والإحصاءات والحسابات والمدونات والحوليات، والمذكرات والسير الذاتية للكتاب والسياسيين، الشهود الأحياء وأقوالهم الشفوية أو المدونة.

ومع ذلك، قد تكون هذه المصادر عرضة للتعديل أو التزوير أو الإهمال أو النسيان أو المبالغة، لذلك وجب على الباحث معرفة الجهة التي ينسب إليها النص، أي: معرفة مصدر الوثيقة؟ من ألفها؟ ما هو تاريخها؟ هل المؤلف حقاً هو ذلك الذي أودع الوثيقة أو شخص آخر؟ وهذه الخطوة تختصر في العبارة التالية: هل الوثيقة صحيحة أم مزورة؟ وما مدى الحرص أو التحريف الذي لحقها، هل هي من وضع مؤلف واحد أو من تأليف عدد أكثر من ذلك؟ وما هو نصيب كل واحد منهم؟

لذلك يتوجب على الباحث التحقق من صحة النسبة ومعرفة الشخصيات التي تولت التأليف ومعرفة توجهاتهم ومراتبهم وعلاقاتهم وارتباطاتهم بالجهات المختلفة، ومعرفة مستوياتهم العلمية، ومدى معاصرهم أو عدم معاصرهم للوقائع التي يروونها، ومعرفة زمن الكتابة ومكانها، وكثيراً ما يهتدي الباحثون إلى معرفة المؤلف، بدراسة الأصل التاريخي بمعرفة الخط والحبر والورق واللغة والأسلوب والمصطلحات والروح السائدة، وتسلسل الأخبار أو من خلال الإطلاع على بعض كتب معاصريه أو مقارنة نصه هذا بنصوص معروفة النسب، ومعرفة المؤلف قد تفيدنا في معرفة مكانته ومستواه وأفكاره وتأثيراتها في الساحة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها،

لأنه إذا كان المؤلف معروفاً ينبغي بحث شخصيته ومدى صدقها والثقة بها، وعدالته في الرواية وأمانته^(١)

ونشير هنا إلى عدم اكتفاء الباحث بجمع البيانات وتصنيفها، بل بسعيه المتواصل لتعليل الوقائع والأحداث، من خلال تفسيرها بالربط بينها وبين الأوضاع السائدة في تلك الحقبة، فالباحث السياسي الدارس لظهور مؤسسة في حقبة تاريخية لا يكتفي بجمع البيانات عنها فحسب بل يربط بين ظهور تلك المؤسسة والمستوى الاجتماعي والحضاري السائد أو الفكر المنتشر، أو الشخصيات المتحكمة، فقد يكون السبب الرئيس هو تسلم شخصية مبدعة الحكم أو اعتناقه لأفكار بعض المفكرين الداعين إلى فكرة المؤسسة، فالباحث عن إيجاد العلاقات بين الوقائع والأفكار الصاعدة، أو البنية الاجتماعية والاقتصادية المواكبة، والتفاعلات المختلفة لكل ذلك، هي التي تميز الباحث الاجتماعي أو السياسي عن غيره من السرد للأحداث.

عندما يدرس الباحث السياسي ظاهرة معينة، ينبغي له أن يفترض فروضاً بشأن بروز تلك الظاهرة، أو بشأن التطورات التي لحقتها، أو اختفائها، أو تعديلها، أو قوتها، أو ضعفها، فهو يفترض وجود أسباب وخلفيات واكبت تلك الحقبة الزمنية التي أحدثت أثرها في نمط تلك الظاهرة، ومن ثم يستجمع قواه العقلية للإحاطة بالملابسات التي اكتتفت تلك الظاهرة، ويبحث عن الأدلة والبراهين من خلال الاستقراء، والقياس والمقارنة بين النظائر، عساه يصل إلى دليل يحظى بالمقبولية والكفاية يزيح اللبس والغموض عن مشكلته ويستحسن للباحث السياسي الاستعانة بمختلف العلوم لتفسير ظواهره التاريخية، كأن يستفيد من علم الاجتماع ونظرياته ونماذجه ومداخله في تفسير الظواهر الاجتماعية والتي يمكن تطبيقها على الوقائع التاريخية الجزئية، فعلى الباحث أن يضع واقعه التي يدرسها في إطار عام يساعده على تفسيرها وتحليلها بشكل علمي، ليتمكن بذلك من صياغة فروضه واختيار البيانات الملائمة واستخدام المداخل النظرية المساعدة على التفسير، ثم يسعى أخيراً إلى محاولة التعميم، على الرغم من أن تعميماته تظل ذات صبغة احتمالية وهذه الخاصية (عدم التحكم في المتغيرات وصفة التعميمات الاحتمالية) لا ينفرد بها المنهج التاريخي وحده ولكنها تسري على كل العلوم الاجتماعية وإن اختلفت في درجاتها.

^١ حاطوم نور الدين ، وآخرون، المدخل إلى التاريخ، (سوريا: المطبعة العصرية، ١٩٦٤)، ص ٤٥٥ - ٤٥٧ وانظر، عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ١٨٨ - ١٩٥

وبعد أن يكمل الباحث الخطوات السابقة ينتقل إلى الخطوة الأخيرة، والتي تتعلق بكتابة التقرير وعرض النتائج التي استخلصها من دراسته عرضاً متناسقاً واضحاً.

أخيراً: أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض هذا المنهج قد تضعف الثقة في نتائجه، إلا أن اتباع الأسلوب الموضوعي في البحث وعدم التحيز لبعض مجريات الأمور التاريخية يؤمنان الظروف المطلوبة للوصول إلى نتائج سليمة.

أخيراً يمكن القول أن: دور المنهج التاريخي بشكل عام في معالجة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يبرز من خلال:

- الكشف عن الأصول الحقيقية للنظريات والمبادئ العلمية.
- الكشف عن المشكلات التي كان يعاني منها الإنسان في الماضي والتعرف على أساليب معالجتها.
- تحديد العلاقات التي تربط بين الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية وغيرها.
- التنبؤ بأحوال وقيم الظواهر المدروسة وتقرير النتائج المترتبة على ذلك.

الفصل السادس عشر

المنهج المقارن

- مفهوم المنهج المقارن
- متطلبات وإجراءات المنهج المقارن
- خطوات منهج المقارنة
- أهداف المقارنة
- مجالات استخدام منهج المقارنة

المنهج المقارن

١٦-١ - مفهوم المنهج المقارن:

يقوم هذا المنهج على البحث عن أسباب حدوث الظاهرة موضوع البحث عن طريق إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التي تصاحب حدثاً معيناً، ولا بد للباحث عند استخدامه لهذا الأسلوب أن يبحث عن العلاقة بين السبب والنتيجة، وأن يتأكد مما يلي:

- ١- هل يظهر السبب الذي يدرسه مصحوباً مع النتيجة بشكل دائم؟
 - ٢- هل يظهر السبب قبل النتيجة؟
 - ٣- هل السبب حقيقي أم مجرد علاقة مع السبب الحقيقي؟
 - ٤- أهل السبب هو الوحيد أم هناك أسباب أخرى؟
 - ٥- ما الظروف التي تكون فيها العلاقة بين السبب والنتيجة قوية أو ضعيفة؟
- ### ١٦-٢ - متطلبات وإجراءات المنهج المقارن:

- ١- يجري هذا النوع من الدراسات في الظروف الطبيعية، حيث تدرس الظاهرة كما هي موجودة في الواقع ولا يضطر الباحث إلى إجراء تغيير في هذا الواقع، كأن يثبت عاملاً ما أو يقلل من تأثير عامل آخر.
 - ٢- إن كثيراً من الظواهر الإنسانية لا تخضع للتجريب ولا يمكن دراستها إلا من خلال أسلوب دراسة المقارنة.
 - ٣- تتطلب الدراسات التجريبية جهداً طويلاً ونفقات عديدة وإجراءات إدارية تنظيمية متعددة لتصميم التجارب وملاحظة النتائج، بينما لا تتطلب دراسات المقارنة مثل هذه الجهود لأنها تتم في ظروف طبيعية.
- لقد ازداد الاهتمام بالمنهج المقارن، وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية، حيث الآثار التي تركتها الحرب، وبروز الدول حديثة الاستقلال، والحرب الباردة، والسعي لنشر النموذج الفكري والسياسي والاجتماعي والثقافي في المجتمعات حديثة الاستقلال، كل ذلك دفع المتخصصين في هذا الحقل - خصوصاً في حقبة الخمسينيات - إلى المزيد من الاهتمام بتوسيع دائرته، واشتد عود السياسة المقارنة في حقبة الستينيات.

لقد أراد خبراء الدراسات المقارنة للدول الحديثة الاستقلال أن تنتهج النهج الليبرالي الغربي في التنمية السياسية، فكانت كتابات "جابريل الموند" و "كولمان" و "روستو" وغيرهم، ولم تعد الدراسات المقارنة تنصب على الدول الغربية، بل شملت كل الدول،^(١) بحيث لم يعد التركيز على مفهوم الدولة التقليدي بل أصبح التركيز على البنية والعملية داخل الدولة، فلم تعد الدولة هي الفاعل السياسي الوحيد داخلياً ودولياً ولكن دخل فاعلون جدد (التنظيمات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية داخل الدولة الواحدة أو عبر الدول)، وكل هذا أصبح بعد دخول مفهوم سياسة المقارنة.

١٦-٣ - خطوات منهج المقارنة:

بادئ ذي بدء نشير إلى ضرورة التفريق بين السياسة المقارنة والمنهج المقارن، بالسياسة المقارنة تعني دراسة السياسة على مستوى كلي بالرجوع إلى الوحدات المشار إليها بالعبارات مثل، "النسق السياسي"، "الدولة" و "الدولة- الأمة". أما المنهج المقارن فهو المنهجية المتبعة في دراسة أي نوع من الوحدات الاجتماعية مثل: الأحزاب السياسية والمجتمعات،^(٢) فالمقصود بالمنهج هنا هو مجموعة القواعد المتبعة في دراسة الظواهر لكشف حقائقها، وتتضمن خطوات المنهج المقارن الآتي:

أ- تحديد مشكلة البحث الخاضعة للمقارنة: عندما يصوغ الباحث مشكلته صياغة واضحة ودقيقة، فإنه ينبغي عليه أن يربطها بوحدة التحليل أو الوحدة التي يتخذها الباحث كعنصر أساس للمقارنة، فالوحدة: قد تكون الدولة، أو الحزب أو البيروقراطية العليا، أو السلوك الانتخابي، أو اتجاه الرأي العام، أو الثقافة، أو عملية صنع القرار الخارجي في مجموعة من الدول. ومن المصاعب التي تواجه صياغة المشكلات هي إمكانية التمييز في سلوك الباحث، وكذلك عدم كفاية وحدة التحليل للمقارنة أي مدى تمثيلها كعينة للمقارنة للمجتمع أو الدولة التي يزعم تمثيلها.

^١ Wiarda, op. pp. ١٢-١٤.

- Louis J. Contori and Andrew H. Ziegler, Jr (eds). Comparative Politics, in the post – Behavioral Era, (Boulder: Lynne Renner publishers, ١٩٨٨), p. ٧٤

^٢ Jan – Erik Lane and Svante Ersson, comparative Politics, an Introduction and New Approach, (Polity press, ١٩٩٤), p.٦.

ب- صياغة الفروض وتحديد المتغيرات: فبعد تحديد المشكلة واختيار وحدة التحليل، يقوم الباحث بصياغة الفروض، التي هي عبارة عن جمل توكيدية تقريرية تتضمن علاقات افتراضية بين متغيرين أو أكثر، مثل: الافتراض بوجود علاقة بين التعليم والمشاركة السياسية، فالباحث وهو يقارن نظاماً متشابهة يقوم بتحديد الكثير من المتغيرات الموحدة أو المتشابهة في الوحدات التي تجري عليها المقارنة، ليقول ما استطاع المتغيرات موضع البحث، وهي المتغيرات التي تختلف فيها النظم حيث تعد تلك المتغيرات متغيرات تفسيرية تمكن الباحث من التوصل إلى تفسير الاختلاف في أنماط السلوك والأبنية. إلا أن التحكم في المتغيرات ليس بالأمر الهين في دراسة الظواهر السياسية التي يصعب ضبطها والتحكم فيها والإلمام بكل متغيراتها، ثم إن تحديد المتغير مثل: هل هي مساواة اقتصادية أم سياسية؟ كذلك فإن قياس بعض المتغيرات قد لا يتحقق، فالكثير من المتغيرات يصعب تحويلها كمياً، ومن ثم يصعب قياسها، وأخيراً ينصح الباحثين بدراسة الدول المتشابهة في نظمها السياسية والثقافية والاجتماعية لتقليل أثر النظم السائدة في هذه البلدان.

ج- تحديد المفاهيم والتعريفات الإجرائية: المفاهيم هي تلك الألفاظ التي نُعبر بها عن الظواهر التي نتقاسمها الخصائص المشتركة، وتحديد المفهوم ينبغي أن يسبق جمع البيانات الكمية، كما أن المفاهيم هي الدليل الذي يسترشد به الباحث في عملية المقارنة حتى لا يتيه ويضل جهده عبارة عن تجميع وتصنيف للوقائع المتشابهة أو المختلفة بدون رابط بينها ولا سياق ينتظمها. لقد طور علماء سياسة المقارنة مفاهيم عديدة، مثل: مفاهيم المشاركة، والشرعية، والسلطة، والاعتدال، صنع القرار، البنية، تجميع المصالح، التعبير عن المصالح، النسق... الخ. وما يهمننا في المفاهيم ليس حقيقتها وإنما أهميتها ومنفعتاتها النظرية، إلا أنه ينبغي للمقارن أن يحذر من المفاهيم وما يمكن أن تلحقه من تشوهات بالحقائق والظواهر المختلفة خاصة في المقارنة الدولية، فمفهوم حزب، أو قائد أو سلطة أو نظام تختلف دلالتها من بلد لآخر. ومن ثم فإن التعريف الإجرائي للمفهوم وتحويله إلى مؤشرات كمية قابلة للقياس في الواقع، تزداد تعقداً بسبب تأثير دلالة المفهوم من ثقافة لأخرى في تحديد ماهية المؤشرات محل الدراسة.

د- جمع البيانات: تعد البيانات ضرورية للمقارنة واختبار الفروض التي تمت صياغتها، فهي الوسيلة التي نستوضح بها خصائص الوحدة التي نسعى إلى مقارنتها، ويمكن أن تأخذ وسيلة جمع البيانات والمعلومات صيغة الملاحظة أو الاستبيان، أو المقابلة، أو الملاحظة بالمشاركة. ومهما كانت الوسيلة المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات، فإنه ينبغي للباحث أن يكون ملماً بالمجتمع الذي يجمع البيانات الخاصة بالمقارنة عنه، إذ تعد معرفة لغة شعب وثقافته وعاداته وتاريخه ورموزه المختلفة ومعاييره ضرورية، لصياغة المداخل النظرية التي تتولى الاقتراب منه ودراسته.

هـ- الشرح والتفسير: يقصد بالتفسير، تلك العمليات العقلية التي يستخدمها الباحث في دراسته المقارنة للظواهر المتشابهة في المجتمعات المختلفة، وهو يستهدف الكشف عن أسباب الاختلافات ودلالاتها، وسبب لجوء الباحث إلى عملية التفسير هو نقص المعلومات الكافية عن المجتمعات كلها، فالباحث عندما يستخدم التفسير يكون قد توصل إلى إطار لتفسير صاغه من رصده لمجموعة أنماط بنائية، أو سلوكية تلازم بعض الظواهر المتشابهة ظاهرياً - على الأقل - في تلك الأنماط، ثم يعمل على تعميمها، إلا أن عملية التفسير في الظواهر الاجتماعية والسياسية تواجهها صعوبات شتى فتشابه الظواهر لا يعني تشابه حقائقها، خاصة وأن الظواهر السياسية تختلف سياقاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، زيادة على ذلك، تأثر الباحث في عملية تفسيره للظواهر التي تنتمي إلى سياقات أخرى، بمجموعة قيم وملازمات محيطة الأصلي.

١٦-٤- أهداف المقارنة:

تزودنا المقارنة بالمعلومات عن الآخر، وهي بهذا تساعدنا على تقويم ثقافتنا الخاصة، فهي رحلة ثقافية وفكرية تزود صاحبها بالمعارف والمعلومات عن الأمم والشعوب الأخرى، كما تمدنا المقارنة بالتجارب التي تجنبنا الوقوع في الأخطاء السابقة التي وقعنا فيها في بلدان أخرى وبالمقابل نقيدها في إعادة تجارب النجاح في بلدان أخرى، كما أن المقارنة تساعد على تصنيف الأنظمة السياسية، وترتيبها، وإظهار آليات عملها والمقارنة تقوم على الإدراك وتراكم المعارف وتفيد في الشرح والتفسير وتعطي الظواهر دلالات يجعلها قابلة للفهم، كذلك يستهدف المنهج المقارن البحث عن القواعد والنظم أي: السعي للكشف عن القاعدة أو النظام الذي يتحكم في

مسار الظاهرة أو الظواهر المتشابهة، أي: البحث عن القواعد العامة التي يمكن أن تسري على الظواهر المتشابهة في مواقع أخرى مختلفة.

١٦-٥ - مجالات استخدام منهج المقارنة:

إن الظواهر القابلة للمقارنة هي تلك التي تتضمن قدراً من التشابه وقدراً من الاختلاف، فلا مقارنة بين الظواهر المتشابهة بالتمام ولا الظواهر المختلفة بالتمام، والمقارنة قد تنصب على دراسة ظاهرة واحدة في مرحلتين أو أكثر لمعرفة أثر العوامل في تشكل الظواهر، وعلى الباحث الذي يستخدم المنهج المقارن أن يدقق في استخدام المفاهيم وأن يكون ملماً بالسياقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية للظواهر محل المقارنة، وأن يجمع البيانات الكافية عنها، ولا بد من صياغة فروضه صياغة علمية صارمة تتميز بالوضوح والقابلية للاختبار. وأن يحذر من المقارنة السطحية التي قد تنصب على الظواهر الشكلية وتغض الطرف عن الحقائق، إذ يمكن القيام بمقارنة لعملية صنع القرار في أنظمة عدة، لأن كل الأنظمة تصنع القرارات، ولكن من يتخذ هذه القرارات؟ هل البرلمان أم قيادة الأحزاب.

أهم مراجع وقرارت هذا الكتاب

باللغة العربية:

- ١- شلبي أحمد ، كيف تكتب بحثاً أو رسالة؟ (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٥م).
- ٢- سلامة أحمد عبد الكريم ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية (القاهرة: دن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧).
- ٣- ربيع حامد ، نظرية التحليل السياسي: نص محاضرات بقسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ٢٠٠٠).
- ٤- عبد الماجد حامد ، مقدمة في منهجية ودراسة وطرق بحث الظواهر السياسية (القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠٠).
- ٥- نصار جابر ، أصول وفنون البحث العلمي (القاهرة: دن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧).
- ٦- فوزي صلاح الدين ، المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث القانونية (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠).
- ٧- قنصوه صلاح ، فلسفة العلم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢).
- ٨- عطية طاهر مرسي ، إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه (القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت).
- ٩- رشاد عبد الغفار ، أسس المنهج العلمي (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٦).
- ١٠- غانم عدنان، علي نبيل ، الإحصاء الوصفي، كلية العلوم السياسية، (جامعة دمشق، ٢٠٠٧).
- ١١- غانم عدنان، علي نبيل ، الإحصاء التطبيقي، كلية العلوم السياسية، (جامعة دمشق، ٢٠٠٧).
- ١٢- غانم عدنان، مخول مطانيوس مبادئ الإحصاء، كلية الآداب، (جامعة دمشق، ٢٠٠٦).
- ١٣- القصبي عبد الغفار، التحليل السياسي: كيف نكتب بحثاً أو رسالة (القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠٤).
- ١٤- الشلبي محمد ، المنهجية في التحليل السياسي (القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، ١٩٩٦).
- ١٥- حمودة محمد عفيفي، البحث العلمي (القاهرة: دن، ١٩٨٠).

- ١٦- عارف نصر محمد، نظريات السياسة المقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٥).
- ١٧- بدران ودودة (تحرير) اقترايات البحث في العلوم الاجتماعية (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٢).
- ١٨- العش فوزي عبد الله، البحث العلمي: المناهج والإجراءات، دائرة المطبوعات والنشر، عمان ١٩٩٥.
- ١٩- عمار حامد، المنهج العلمي في دراسة المجتمع، وضعه، وحدوده، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٩٩.
- ٢٠- حسن عبد الباسط محمد، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنكلو المصرية، ١٩٧١.
- ٢١- بدر أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦.
- ٢٢- عريف سامي، مصلح خالد، نجيب مفيد، في مناهج البحث العلمي وأساليبه، ١٩٩٩.
- ٢٣- عليان ربحي، د. عثمان غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، جامعة البلقاء/ عمان، ٢٠٠٠.
- ٢٤- أوما سيكاران، تعريب، د. اسماعيل علي البيسوني، طرق البحث في الإدارة، الرياض، دار المريخ، ٢٠٠٦.
- ٢٥- محمد الحسن إحسان، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي (بيروت: دار الطليعة، ط٤، ١٩٩٤).
- ٢٦- جارول مانهايم وريتشارد ريتش، التحليل السياسي: طرق البحث في العلوم السياسية، إعداد ومراجعة ودودة بدران والسيد غانم (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٦).
- ٢٧- يوسف أحمد فاروق، مناهج البحث العلمي (القاهرة: مكتبة عين شمس، ١٩٧٩).
- ٢٨- المنوفي كمال، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٩٠).
- ٢٩- الشريف عبد الله محمد، مناهج البحث العلمي (القاهرة: دار عصمي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦).

- ٣٠- الفائدي محجوب عطية، طرق البحث العلمي في البحوث الاجتماعية (ليبيا البيضاء، منشورات جامعة عمر المختار، ١٩٩٤).
- ٣١- حمادة بسيوني ابراهيم، تصميم البحوث التجريبية، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦).
- ٣٢- العلي ابراهيم محمد، مناهج وأساليب البحث العلمي (جامعة تشرين، محاضرات أقيمت على طلبة كلية الاقتصاد، للعام الدراسي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠).
- ٣٣- الجميعي عبد المنعم الدسوقي، منهج البحث التاريخي، دراسات وبحوث (القاهرة، مطبعة الجيلوي، ١٩٩٢).
- ٣٤- حاطوم نور الدين وآخرون، المدخل إلى التاريخ (سورية، المطبعة العصرية، ١٩٦٤).

- ١- Dalen D. B. Van, Understanding Educational Research, New York, ١٩٦٢.
- ٢- Nachmias D., Research Methods in the Social Sciences, New York: St.Martins Press, ١٩٩٢.
- ٣- Whitney F., Elements of research, New York ١٩٦٤.
- ٤- Tyrus H., Imtrodutin to Research Writinr, Boston: Houghton Mifflin co, ٢nd ed, ١٩٦٤.
- ٥- Palmer Monte, The Interdisciplinary Study of Politics, New York, Haper and Row Publishers, ١٩٧٤.
- ٦- V. J. Shannon, Reading, Writing and Library Research, Iowa, Westmark Drive: Kendall/ Hunt co, ١٩٩٤.
- ٧- Neuman W. L., Social Research Methods, Boston: Allyn and Bacon, ٢٠٠٠.
- ٨- Dooly David, Social Methods (New Jersy: Prentice HALL – Inc., ١٩٩٩).
- ٩- Zollare Cheryl, the perils of periodical Indexes: Some Problems in Constructing Samples for Content Analysis and Culture Indicatore Research, Communication Research, Vol.٢١, ١٩٩٤.
- ١٠- Louis J. Coutori and Andrew H.Ziegler. Jr (eds) Comparative Politics in the Post – Behaviral Era. Boulder. Lynne Rinner Publisher. ١٩٨٨.)

مواقع الانترنت:

١ - www.minshawi.com/vb/showthread.php?t=٧٨

٢ - www.dentarab.com/site/index.php?page=show_det&id=١١٨

٣ - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مناهج البحث العلمي، ٢٠٠٧

٤ - <http://www.pathways.cu.edu.eg/>، القاهرة، ٢٠٠٧



قائمة المصطلحات العلمية

Terminology

A

Abstraction From Publised	المصادر التاريخية (الوثائقية)
Applied Research	البحوث التطبيقية
Area Sampling	المعاينة المساحية
Action Research	البحث الموجه للعمل

B

Bias in Surveys	التحيز في المسوح
Bias	التحيز
Bibliography	قائمة المراجع/ مصادر البحث
Broad Problem Area	التحديد العام للمشكلة

C

Case Syudy	منهج دراسة الحالة
Census	تعداد
Census enumerator	عداد
Census Schedule	استمارة التعداد
Classification	تصنيف
Code	رمز
Correlation	ارتباط
Cluster Sampling	المعاينة العنقودية
Criterion Variable	المتغير التابع

D

Data	بيانات
Data analysis Methods	بيانات طرائق تحليل
Descriptive Study	دراسة وصفية

Deduction	استنباط/ استنتاج
Design of experments	تصميم التجارب
Diagram	شكل بياني
Double samling	معاينة مزدوجة

E

Effect	تأثير
Editing Data	مراجعة البيانات
Efficiency in Sampling	كفاءة المعاينة
Exploratory study	دراسة استكشافية
Elements of Research	عناصر البحث

F

Face- to- Face Interview	المقابلة الشخصية
Forms	استمارات
Frame	إطار
Frequency	تكرار
Field Study	دراسة ميدانية

G

Generalizea Gility	قابلية التعميم
General From of Research plan	الشكل العام لخطة البحث
Graph	رسم بياني
Graphic Presentation	عرض بياني
Grouping	تصنيف/ تجمع

H

History Effect	تأثير العوامل التاريخية
Hypotheses testing	اختبار الفروض
Hypothetico- Deductive Method of Research	طريقة البحوث الاستنتاجية

Hypothesis of Research

فروض البحث

I

Independent Variable

تغير مستقل

Inferential Statistics

احصاء استدلالی

Interview

مقابلة

Itemized Rating Scale

مقياس ترتيبي متعدد الإجابات

Importance of Research

أهمية البحث

J

Judgement Sampling

المعاينة القائمة على التقدير الشخصي

Jop Amalysis

تحليل العمل

K

Kurtosis

تقرطح

L

Lab Experiment

التجارب المعملية

Leading Questious

الأسئلة الایحائية

Likert Scale

مقياس ليكرت

Large Sample

عينة كبيرة

Linear Correlation

ارتباط خطي

Level of Significane

مستوى المعنوية

Lungitudinal Studies

الدراسات الطولية

Linear regression

انحدار خطي

M

Master Sample

عينة رئيسية

Model

نموذج

Multiple Factor analysis

تحليل عاملي متعدد

Multistage Cluster Sampling

المعاينة العنقودية المتعددة المراحل

N

Nominal Scale	المقياس الاسمي
Null hypothesis	فرضية العدم
Non Probability Sampling	معاينة غير احتمالية

O

Objectives of Reseach	أهداف البحث
Objectivity	الموضوعية
Observation	مشاهد
Ordinal Scale	المقياس الترتيبي

P

Population (Statistical)	مجتمع (إحصائي)
Prediction	تنبؤ
Problem of Research	مشكلة البحث
Probability Sampling	المعاينة الاحتمالية
Primary Data	بيانات أولية
Purposive Sampling	المعاينة الهادفة

Q

Qualitative analysis	تحليل نوعي
Questionnaire	استبيان / استمارة
Quota Sample	عينة الحصص

R

Random Sample	عينة عشوائية
Random Selection	اختيار عشوائي
Ratio	نسبة
Research	بحث
Reseach Report	تقرير البحث

S

Sample	عينة
Sample Census	مسح بالعينة
Sample design	تصميم العينة
Sampling	معاينة
Sample Size	حجم العينة
Secondary Data	بيانات ثانوية
Simple Correlation	ارتباط بسيط
Simple Random Sample	عينة عشوائية بسيطة
Small Samples	عينات صغيرة
Statitied Random sampling	معاينة عشوائية طبقية
Statistics	إحصاء
Survey	مسح (استقصاء)
Systematic Sampling	المعاينة المنتظمة

T

Telephon Interview	الاستقصاء بالهاتف
Theoritical Frame Work	الاطار النظري للبحث

U

Unbiased Questions	أسئلة غير متحيزة
Unit of Analysis	وحدة التحليل

V

Validity	الصلاحية
Variable	متغير
Variance	تباين

W

Weight averge	تثقيلات / أوزان
---------------	-----------------

X

X- axis

محور السنيات

Y

Y- axis

محور العينات

Z

Z- test

اختبار z-



اللجنة العلمية:

a. د. امطانيوس مخول

أ. م. الدكتور رمضان درويش

أ. م. الدكتور نبيل علي

التدقيق اللغوي:

أ. د. نبيل أبو عمشة

